ديوان المحاسني

للشاعر الدكتور

زكي المحاسني

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

لمحة عن حياة الشاعر

- ولد في دمشق ١٩٠٩ تخرج من مدرسة «مكتب عنبر» عام ١٩٢٧.
- نال شهادة الحقوق وشهادة الآداب من الجامعة السورية معاً عام ١٩٣٦.
- حصل على الماجستير من الجامعة المصرية وكانت أطروحته عن أبي العلاء المعري كما حصل على الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول عام ١٩٤٧ فكان أول سوري يحصل على الدكتوراه من مصر.
- بدأ حياته العملية بتدريس الأدب العربي في إنطاكية وتجهيز دمشق قبل نيله الدكتوراه.
- في عام ١٩٤٧ عين أستاذاً للأدب العربي في الجامعة السورية.
- في ١٩٥٢ عين ملحقاً ثقافياً في السفارة السورية في القاهرة ومندوباً في الجامعة العربية للشؤون الثقافية.
- في عهد الوحدة بين مصر وسورية عمل في لجنة التربية والتعليم بوزارة التربية والتعليم في القاهرة.
- شغل منصب مدير دائرة التراث والمخطوطات في وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦١– ١٩٦٥.
- أوفد معاراً إلى الجامعة السعودية وعمل أستاذاً في الجامعة اللبنانية حتى عام ١٩٦٩.
- توفي عام ١٩٧٢.
- انتخب عضواً في الجمعية الملكية للدراسات التاريخية في القاهرة ١٩٥٢ كما تم انتخابه عضواً في المجمع الملكي الإسباني عام ١٩٧٠ ثم عضواً مراسلاً في مجع اللغة العربية المصري.
- بعد وفاته قررت محافظة دمشق تسمية إحدى الساحات في حي المزرعة باسمه.
- له خمسة عشر مؤلفاً مطبوعاً في الدراسات الأدبية والنقدية وعشرات المقالات في الصحف العربية.
- كان متزوجاً من الأديبة العربية وداد سكاكيني وله منها ثلاثة أولاد.

* * *

صديقي زكي المحاسني

كلمة للأديب المؤرخ الدكتور عمر فروخ–

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق وفي القاهرة

بيروت – لبنان

إذا استمرت صلتك بشخص أربعين عاماً أو تزيد يحق لك أن تقول إن بينكما صداقة ووفاء..

يقول المتنبي: إن نفراً من الناس لا يشبع حقدهم أن يصب الدهر أنواع الشقاء على واحد منهم، بل نرى هؤلاء بعيون الدهر على ما كان منهم بالأمس وقد يكون صانع عزهم أو كافل رزقهم، ولا ريب في أن المتنبي قد شاهد أمثلة كثيرة على هذا الخلق النافر، فإن هذا الخلق النافر في الناس منذ كان الناس، وبيت المتنبي الذي أشير إليه:

وكأنا لم يرض فينا بريب الـ   ـدهر حتــى أعانــه مــن أعانــا

وأنا أختار أن أقرأ (يُرّضْ) بالبناء للمجهول وإن كان المشهور خلاف ذلك!.

* * *

عرفت زكي المحاسني منذ أول عشر الثلاثين، يوم لم أكن أنا قد شققت طريقي في الحياة بعد، ويوم لم يكن هو أيضاً قد اهتدى إلى وجه عبقريته، من أجل ذلك لم يكن أحدنا ذا طمع في وجاهة الآخر، ولا كان لقاؤنا إلا الصداقة صرفاً.

كنت أنا معلماً في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت حيث لا أزال، وكان هو أستاذاً للغة العربية وآدابها في المدرسة الحكومية التجهيزية في أنطاكية قبل أن تتقلب به الحياة تقلباً عجيباً، وأحسب أن اللمحة التي ترجم فيها زكي المحاسني لنفسه قبيل وفاته قد لفت وجهه عن كل العقبات التي ألقاها الدهر ومعينو الدهر في طريقه، ولعل زكي المحاسني كان المثال التام الذي ينطبق على بيت المتنبي انطباقاً صحيحاً.

لا أريد أن أعرض هنا جميع المصاعب من تلك التي انتصبت في وجه زكي المحاسني أو من تلك التي نصبت في وجهه، ولا أنا في سبيل أن أعلل نجاح الدهر وأعوان الدهر في التسلل إلى اطمئنان صديقي زكي المحاسني،،ولكن الحق والوفاء يدعواني إلى قول هو أن زكي المحاسني قد لقي الدهر وأعوان الدهر بوجهين من أوجه العزيمة: بالخلق الكريم الذي استطاع به أن ينسى إساءات أولئك الذين كان قد أحسن إليهم بالعزيمة الصادقة التي مكنته من أن يتخطى العقبات واحدة واحدة من غير أن يرى الناس شيئاً من أثر ذلك على وجهه أو في خطواته على وجه هذه الأرض.

وما كان ظفر إنسانيته بمكائد أعدائه إلا ليزيد أولئك الذين فسدت فيهم معاني الإنسانية حقداً عليه، ولقد كان بإمكانه أن يميل– في الحين بعد الحين– مع الرياح بعض الميل فيتجنب عدداً من العواصف التي كانت تهب عليه من حيث يخشى ومن حيث لا يخشى، ولكنه آثر ألا يفعل ذلك لأن الرياح الهوج التي لا تقصف الشجرة الباسقة لاتبالي الشجرة الباسقة بها، ثم إن العاصفة مهما عتت فإنها لا تستطيع أن تقصف إلا الغصون الضعاف وإلا الجذوع النخرة.

ومضى زكي المحاسني في طريقه غير عابئ بالأحداث التي كانت تتساقط حوله فيصيبه رشاشها حيناً ولا يصيبه رشاشتها حيناً آخر، يتوفر على المسلك الأدبي فينظم الشعر الوجداني أو ينثر الدراسات الأدبية والمقالات الفنية.

ولقد رافقه نظم الشعر في حياته كلها، ذلك لأن الشعر– في وجه من وجوهه نفثة الرجل الكريم في دياجي الدهر، أرسل المحاسني الشاعر إلى مجلة (قافلة الزيت) نشيداً من ملحمة كان يكتبها فنشرت المجلة ذلك النشيد (ربيع الثاني ١٣٩٢هـ، ص٢٣–٢٤)ولكنه هو لم يقرأ نشيده مطبوعاً.

وفي آخر يوم له من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة أملى على ابنته «سماء» ثلاثة عشر بيتاً كانت خفقة السراج قبل أن ينطفئ، وقد كانت كخفقة السراج شديدة اللمعان رقيقة الحواشي صافية الأديم صادقة الحس شفافة عن نفس صدقت في حبها لله ولرسوله ووثقت بمنزلتها عند الله ورسوله– إذ ليس وراء الإيمان

الوطيد منزلة تطلب! ولقد طلب أن ترسل هذه الأبيات للنشر (قافلة الزيت، جمادى الأولى، ١٣٩٢هـ) مع علمه أن عينيه لن تقرأها.

ومع أن زكي المحاسني قد تأخر في نشر دراساته– فلم ينشر منها شيئاً في كتاب قبل مطلع الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٣٩)، فإنه قد بدأ له – وهذا منتظر– بدءاً جدياً سليماً، ثم إن نشاطه الأدبي في التأليف والنشر ظل على عزمه وتطوره إلى العام الذي فارق فيه هذه الدنيا، ومع أن نشاط زكي المحاسني قد أعطى ثمرات يانعة من عدد من أغصان دوحة الأدب فله الدراسة العامة والداسة الخاصة وله تحقيق الأصول، وكان لتآليفه حياة طويلة، فإن عدداً من كتبه قد طبع مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً.

وإذا نحن علمنا أن زكي المحاسني قد زاول المحاماة حيناً ثم تولى مناصب إدارية في فترات مختلفة– وهذه كلها صوارف عن التأليف الذي يحتاج إلى استقرار وتوفر خلو المشاغل– أدركنا ماكان في نفسه من العزيمة ومن الطاقة على المضي في السبيل الذي كان يخطه لنفسه في غمار الأحوال المضطربة.

وبعد فإن (ديوان المحاسني) سيحدد مكان صاحبه في مواكب الشعراء وبين الذين صنعوا الملحمة العربية الإسلامية في أيامنا.

كلمة في الديوان للدكتور شوقي ضيف

القاهرة– مصر

هذا ديوان قيم لشاعر كبير، عرفته في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينيات من هذا العصر، ونعمت بإخوته الصادقة حيناً من الدهر، كما نعمت– في الحين بعد الحين– بالاستماع إلى حديثه الطلي وحديث قرينته وشقيقة نفسه الكاتبة القصصية الكبيرة وداد سكاكيني.

وكنت كثيراً ما أتحاور معه في شؤون الأدب والشعر وتشاركنا السيدة وداد بعقلها الحصيف وذوقها المصقول، وكانت حينئذ ثلاث زهرات لهما:

ذكاء وذكوان وسماء– تستقبل الحياة هنيئة بجوار الأبوين، وكل منهما مملوء براً وشفقة وحناناً وعطفاً لفلذات كبده وحبات فؤاده وشمس يومه وبدر ليله وكواكبه ونجومه، أو كما يقول زكي والفرحة بأسرته تملأ أعطافه وجنبات صدره وقلبه:

ولأنت عندي الكوكب الدري	أذكاء شمسك نورت زمني
بدجى حياتي شعلة تسري	وسماء أختك لمع أنجمها
في الرأس والأعطاف والصدر	أما (الوداد) فكل نابضة

وكانت ذكاء وسماء وأمهما (الوداد) ينشرن– مع ذكوان– حوله عطراً لايدانيه عطر، وكان مألفاً لي وأنساً لنفسي، وكان ينشدني – من حين إلى آخر– بعض أشعاره فأعجب بقدرته الأسلوبية والتصويرية ورصانة صياغته، وكان– حينئذ– يعد رسالة للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة،حتى إذا نوقش فيها أهدت إليه لجنة المناقشة الدرجة العلمية المأمولة شغل نفسه بتحقيق ديوان الشاعر المصري الفاطمي: الشريف العقيلي، وحققه تحقيقاً علمياً دقيقاً، رد به الحياة إلى الشاعر نابضة نضرة. وكنت أمزح دائماً معه، وأقول له: أليس نظم الشعر خيراً من البحث والتحقيق العلميين وأكثر خلوداً وتعبيراً عن شخصيته، فيبتسم ولا ينازعني فيما أقول.

ولا ريب في أن عناية الدكتور زكي المحاسني بالتحقيق والبحث قد شغلت وقته وإن لم تصرفه عن نظم الشعر، فقصائده كثيرة وطوالها أجود من قصارها مما يدل على أن نفسه في الشعر كان مديداً.

وليس بين قصائد الشاعر ومقطوعاته إلا القليل من المديح فلم يكن من أهل الزلفى لصاحب السلطان، ولا سخر شعره لحاكم أو مايشبه الحاكم، وقد كان حر الفكر كريم السجايا سمح النفس وفياً حافظاً للعهد مما جعله يرثي بعض أساتذته وبعض أصدقائه من الأدباء الذين سبقوه في الرحلة إلى وادي الموت، واصفاً مدى خسارة العلم والأدب فيهم، ونحس في تلك المراثي بالحزن يفعم قلبه حتى كأنه نسيج فؤاده، ومن قوله في رثاء أديب لبنان: رئيف خوري، وكان الموت قد هصر غصنه الناضر سريعاً:

أذكاء شمسك نورت زمني	ولأنت عندي الكوكب الدري
وسماء أختك لمع أنجمها	بدجى حياتي شعلة تسري

أما (الوداد) فكل نابضة في الرأس والأعطاف والصدر

وكانت ذكاء وسماء وأمهما (الوداد) ينشرن– مع ذكوان– حوله عطراً لايدانيه عطر، وكان مألفاً لي وأنساً لنفسي، وكان ينشدني – من حين إلى آخر– بعض أشعاره فأعجب بقدرته الأسلوبية والتصويرية ورصانة صياغته، وكان– حينئذ– يعد رسالة للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة،حتى إذا نوقش فيها أهدت إليه لجنة المناقشة الدرجة العلمية المأمولة شغل نفسه بتحقيق ديوان الشاعر المصري الفاطمي: الشريف العقيلي، وحققه تحقيقاً علمياً دقيقاً، رد به الحياة إلى الشاعر نابضة نضرة. وكنت أمزح دائماً معه، وأقول له: أليس نظم الشعر خيراً من البحث والتحقيق العلميين وأكثر خلوداً وتعبيراً عن شخصيته، فيبتسم ولاينازعني فيما أقول.

ولا ريب في أن عناية الدكتور زكي المحاسني بالتحقيق والبحث قد شغلت وقته وإن لم تصرفه عن نظم الشعر، فقصائده كثيرة وطوالها أجود من قصارها مما يدل على أن نفسه في الشعر كان مديداً.

وليس بين قصائد الشاعر ومقطوعاته إلا القليل من المديح فلم يكن من أهل الزلفى لصاحب السلطان، ولا سخر شعره لحاكم أو مايشبه الحاكم، وقد كان حر الفكر كريم السجايا سمح النفس وفياً حافظاً للعهد مما جعله يرثي بعض أساتذته وبعض أصدقائه من الأدباء الذين سبقوه في الرحلة إلى وادي الموت، واصفاً مدى خسارة العلم والأدب فيهم، ونحس في تلك المراثي بالحزن يفعم قلبه حتى كأنه نسيج فؤاده، ومن قوله في رثاء أديب لبنان: رئيف خوري، وكان الموت قد هصر غصنه الناضر سريعاً:

رئيف أيا زين النهى والفضائل نفديك لو نسطيع رد الغوائل
فيا زهرة نفح العباقر طيبها لقد كان فيها الغصن زهو الخمائل
ويا نغمة ربا الحنان لعازف أمن بعدها يصفو هديل العنادل

وكان زكي يضم إلى رهافة الشعور انطلاق الخيال، وتلقانا في أشعاره تصاوير بديعة على نحو تصور قصيدته في بافلوفا راقصة الباليه الروسية، ومن روائع شعره قصيدته في ذكرى أبي تمام، ولا تقل عنها روعة قصيدته في ذكرى ابن سينا، وقد تمثل فيها عينيته المشهورة في النفس والبعث والخلود، وفيها يقول ذاكراً مواهبه الطبية:

أأبا علي أين طبك مسعفي فاتته أدوية الزمان الموجع
هات الشفاء الخافق متوله كالطير في قفص الصدور مروع
لم يكفه حمل الهموم وجرحها حتى تتعلق من هواه بمصرع

وله في التاريخ قصائد بديعة كقصيدته في تدمر والزباء، وفي الأقصر وطيبة ورمسيس ومصر العتيقة، وعرض في قصيدته «النيل» تاريخ مصر من القديم إلى الحديث، وقصيدته في ذكرى مولد النور: المولد النبوي إحدى بدائعه، وكنا نتمنى لو مد الله في حياته الخصبة بالشعر والبحث حتى يزداد متاعنا ببحوثه وتحليقاته في عالم الشعر، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء على ماقدم للغته ووطنه وأمته وشعرها الخالد.

شوقي ضيف– القاهرة

القاهرة في ٢٥ من ربيع الثاني سنة ١٤٠١ للهجرة

* * *

مقدمة

لشاعر العروبة الأستاذ شفيق جبري

في كتاب من كتب (أناتول فرانس) الأربعة التي سماها (الحياة الأدبية) مضى لهذا الكاتب العظيم قول في ثلاثة من شعراء فرنسا فحمد الله في فاتحة قوله على أن في فرنسا شعراء وعلى أنها سيكون فيها شعراء على وجه الدهر.

ولما شرعت في تقديم ديوان الدكتور زكي المحاسني أدخله الله في واسع رحمته تذكرت عبارة (أناتول فرانس) فحمدت الله تعالى على أن في بلادنا شعراء ورجوت أن لاتخلو هذه البلاد الكريمة من نوابغ الشعراء، وإذا كان العلم غايته البحث عن الحقيقة والكشف عن أسرارها فإن الفن غايته الجمال والتنبيه على خفاياه، والحياة إذا كانت كلها حقيقة كانت جامدة كئيبة فلا بد لها من شيء يحركها ويدخل السرور عليها، لا بد لهذه الحياة من صور فنية تحسّن قبحها وتحييها إلى النفوس ولولا هذا التحسين وهذا التحبب لعافها الناس وضجروا منها، فنحن نميل إلى الخيال بطبائعنا، فمن منا لم يكن وهو طفل يصغي في بيته إلى حكايات جدته وهي تخوض في ضروب من الخيال فتغلب على شعوره وتستولي على خواطره فينقاد إليها دون أن يفهم كثيراً ما تقص عليه ولكنه تستهويه هذه الصور الغريبة الخارقة التي يسمعها فتبلغ من قلبه كل مبلغ، هذه هي غاية الخيال، إنه يحملنا على محبة الحياةويخفف من متاعبها.

فإذا كانت بلادنا لم تخل من الشعراء في قديم الدهر وحديثه فلا ينبغي لنا أن نغفل عن ذكر الشاعر الدكتور زكي المحاسني، وقبل أن ألمح إلى شعره لا مندوحة لي عن الإشارة إلى قليل من محاسن صفاته التي عرفتها وكان يكاتبني من حين إلى آخر فأجد في خلال رسائله الخاصة أدب النفس ورقة الطبع والشعور وحسن التواضع وكرم الوفاء، ولا شك في أن من لوازم الشعر ورقة الطبع ولم يحرم الدكتور زكي المحاسني هذه الرقة، ولست من رجال الفلسفة حتى أستطيع أن أردّ رقته إلى مصدرها ولكني لما وقفت على ترجمة حياته المختصرة واطلعت على عيشته في طفولته وصباه استطعت أن أدرك السر في رقته ولست أدري أكنت مخطئاً في هذا التعليل أم كنت مصيباً، على أني لا أبالي كثيراً بهذا الخطأ وبهذا الصواب فحسبي أن أقنع برقة طبع الدكتور زكي المحاسني.

لقد حمله يتمه على الاجتهاد حتى يكّون نفسه وشخصيته فانصرف إلى تحصيل الأدب فكان من الطلاب النابغين ثم أصبح بعد ذلك من الأساتذة المبرزين فكثرت مقالاته وقصائده كما تعددت محاضراته ومؤلفاته وآخر ما اطلعت عليه من هذه المؤلفات كتابه عن أبي نواس، ومن مزية هذا الكتاب أسلوبه الواضح.

ولقد تجلت لي رقة الدكتور زكي المحاسني في بكائه على أمه في شعره، وأي مخلوق أرفع منزلة من الأم؟ لقد بكى على أمه في قصائد ظهرت في تضاعيفها آثار ولعله بها وعطفه عليها وكثرة تذكره بها ومن كانت لأمه مثل هذه المنزلة في قلبه يعرف ما ينطوي عليه هذا الولع وهذا العطف وهذا التذكر.

ولم يقتصر بكاء المحاسني في شعره على أمه وحدها فقد بكى أباه وشقيقته ورثا بعض أساتذته وأصدقائه الكبار من رجال اللغة والأدب وذكر زوجته الفاضلة مد الله حياتها فجاء ببرهان قوّي على كرم وفائه.

فإذا أعجبت بمحاسن صفات الشاعر المحاسني فلم أتباعد عن الحق في الإعجاب، غير أن الدكتور زكي المحاسني لم يكن ضيق الآفاق في شعره فلم يقتصر في هذا الشعر على رثاء الأعزاء من أهله وأساتذته فقد اتسعت آفاق شعره فاتسعت بذلك مجالات خياله وتعبيره فكان للطبيعة أثر كبير في هذا الشعر، فتغنى بالبحار والأنهار كما تغنى بالصحراء، وأفاض في مناجاة الكواكب والنجوم والتفت إلى وطنه فأكثر من نزعاته الوطنية الصافية فلم ينس في قصائده بلاد العرب الخالدة وعلى رأس هذه البلاد دمشق والقاهرة، كما أنه لم ينسَ ما حوته المدينتان العظيمتان من الآثار التي غالبت صروف الدهر فغلبتها وبقيت جاثمة في أرضها تنطق بعظمتها وعظمة من بناها.

لا يشعر القارئ وهو يتصفح ديوان الشاعر الدكتور المحاسني بوحدة الموضوعات التي تدخل على الصدور بعض الملل فقد تنوعت موضوعاته وتعمقت ثقافته فوجد الفكر في صورها كثيراً من المتعة والنشاط ، كما وجد البال كثيراً من التأمل فالقارئ يتنقل في شعر الدكتور زكي المحاسني من مشهد إلى مشهد فتغلب عليه الهزة والارتياح.

نحمد الله على أن الدكتور المحاسني لم يكن في شعره من الشعراء الخارجين على روح الشعر العربي الأصيل فقد حافظ في قصائده على روح هذا الشعر كما حافظ على سلامة اللغة والتركيب على الرغم من بعض الشذوذ في عصرنا الذي نعيش فيه.

وإننا نترك للزمن وحده تصفية الشعر الخارج على روح ميراثنا الأدبي ونعتز بشعرائنا المحافظين أمثال الدكتور زكي المحاسني لحرصهم على اللغة الرفيعة التي هي عنوان لعظمة أمتنا في كل عصر من العصور.

شفيق جبري – بلودان

أغراضه الشعرية

١- العروبة والوطن

بعد الهزيمة

ما هُزِمنا لكي نموتَ ونَفْنى ونُبَكِّي الحَياةَ إنْ نحنُ عِشْنا

خَسِرَتْ غِيلَةً جَحا فِلُنا فأسُكْب على زوُرِ من تَبَجَّح لَعنْا

وامْسَح الدمع عن جُفونِ شَرِيدِ باتَ في خَيْمَةِ الشَّقاء مُرنّا

تصرَخُ الأرْضُ بالضَّحايا وما يُجدي عَزاءً إنْ رُحتَ تَلْطُم أذْنا

من فِلَسطينَ كانَ مُنْطَلَقُ الثَّارِ فأعْدِدْ للخَطْبِ ما استطَعتَ مِنا

بطلي لا تنح على سيفك المكسور فالحرب مثلنا تتجنى

وابغ مزمارك الحنون فردد فيه ماصغته لدى الحرب لحنا

دمشق في أول كانون الثاني ١٩٦٣

لبنان والشام

لبنان يا من سكنت القلب والسُحبا
اسكب كؤوسك حباً واجلها حببا
هذي المظلات في السفح الندى لها
في خضرة الروح ظل ينبت الذهبا
على مهارك جنات معلقة
جاءت من الخلد تحتل الدنى طربا
ياغاسل القدم، الممراح صاحبها
في البحر، أمعنت في سحر الهوى طلبا
الفن عاد بوحي منك ملهمه
فكنت (أولمب) شعر ينفح العربا
الشام داري ولكن الفؤاد أتى
لبنان يقطف منه زهرة عجبا
والشام أخت لبنان الحبيب هما
في فؤم المجد خطا في العلى كتبا
فاشرب بنخبيها وارفع يديك إلى
رب السماوات أن يبقيهما حقبا
مجد أن في الأمة العرباء نبعهما
عز الزمان ورى للذي شربا

دمشق

بغداد

يأسى الفؤاد وقد يزيد عنادا	حتى أيمم بالهوى بغدادا
حلم وراء الجفن بت أعيده	ونسجت فيه على البعاد ودادا
أأجيء دارات الخلافة مثلما	كانت تفيض على الدنى أمجادا
هارون في عليائها وبنوه	وجنوده تسع المدى إعدادا
أم أغتدي وعلى مشارف عزها	المأمون يملؤها حجا ورشادا
وبساحها تحت القباب مجالس	شعت جمالاً وازدهت إنشادا
تتكسر الأضواء في أجوائها	من فوق من ملكوا الزمان قيادا
وتدور راقصة تموج بدلها	فتزلزل الأوتار والأعواد
والصوت في عذب الأغاني ساكب	سحراً ليسبي ناظراً وفؤاد
أما الكؤوس فخل وصف سقاتها	لأبي نواس، وتبه الأجواد

* * *

بغداد جددت العهود زواهرا	ورجعت حاضرة البلاد عتاد
ويلاً (لهولاكو) أكان مصدقاً	إن الزمان يعيد فيك عماد
وتروق دجلة مورداً ومباهجاً	وجدت بنكبته دما ومداد
تلك الجروح مغارس لحضارة	كانت لتخليد النضال مهادا
وإذا الشعوب تعلمت درس الردى	ملأت مواقف عزها أجناد
سيوف العداة فإنها	هي سددتك فما بليت رقاد
والسيف ماجردته تلك سالما	والسلم راح يخادع الأغمادا
أفذاكر (يوم الرميثة) في الوغى	أبطاله ثبتوا لديه صلادا
وبدا العراق كأنه مأسدة الثرى	عادت إليه تزعزع الأطوادا
قل للمؤرخ ما كتبت لمعرك	ذكره صارت للعلى أعيادا
حلف الشهيد بيومه أن المنى	قد ألبسته من المنى أبرادا
وهو الذي أعطى البلاد حقوقها	فغدت به لاتعرف استبدادا
أما الخصيم فذاق فيه ثبوره	ذهبت به ريح الهلاك بدادا
إن شئت تفزع من نجا من قومه	(فرميثة) قد أشبعته سهادا

* * *

رف النخيل على مسارب دجلة	وثنى الغصون على المدى ميادا

عجباً أراد يبث شوقاً أو جوى	أو راغب لفراقه ميعادا
حفلت أعاليه بتمران القدى	رطباً جنياً ينعش الأكبادا
وترف روحي فوق أضرحة التقى	فتصيب بالنجف الشريف مرادا
عند الشهيدين اللذين عليهما	لبى الدجى قبل الوجود حدادا

* * *

أبغداد ماشخصي قريب ولا الدار	فلا بدّ مهما طوح البعد ازدار
طويت الليالي والشجون ملحة	تقول ألا يصبو إلى جاره الجار
أتفصلك البيداء عن أرض فتية	مناذرة فهم تميم وأنصار
فقلت فدا البيداء ماضم خافقي	أتجمعني يوماً إلى البيد أسفار
فما رملها إلا عيون دقيقة	تجول لها خلف السموات أنظار
كأن عليها ألسنا هدها الظمى	تسير بها في مرتع الحلم أنهار

* * *

أبغداد يابنت العصور وسحرها	حوت مسمع الدنيا بذكرك أخبار
سجيس الليالي سوف تبقين فتنة	ونبعك للعافين بالجود ثرار
وجدتك سر العرب روحاً وعنصراً	وما عرفت في كنه مجدك أسرار
أرى الحقب الروعاء عادت جديدة	إليك بها جيل من الناس أحرار
صناديد نزالون للخطب كلهم	قريب إلى الحق شهم ومغوار

* * *

جملك مرسوم على ألف ليلة	ووجهك ياأسطورة الشرق دينار
سأعرف عند الكرخ آثار شاعر	وإن كان من دنياه لم يبق خمار
وأشهد رقصا للجواري أجدنه	فكادت له عين الخيالات تحتار
أعود إلى عهد الرصافة والمها	وفيها من الغيد إلا ماليد معطار

* * *

ليالي خف الحلم فيها لأنها	وماجت بها قصفاً طيوب وأنوار
أحن إلى أرض الرشيد كأنني	على تربة فيها من البيت أطهار
تعال أقرأ التاريخ فيها فإنه	تعجّ به روعا حروف وأسكار
أدجلة ياراوي العراق تبخترا	تمش على جنبيك نخل وأثمار

فياليتني طير أغرد في المسا عليك إذا ناغت جمالك أطيار
وأصغي إلى نجوى العروبة في الدجى وقد حدثت عن سرها الحلو أسمار
فديتك يا أم العواصم شوقنا إليك لو شطت بنا عنك أمصار
لك الشعر مني باقة بنواضر تدوم، ولولا رمق على الروض أزهار

* * *

دمشق والقاهرة

أم العواصم، هل وعيتَ سؤالها نادتْكَ، واهتاجَ الوغى أبطالَهَا
مرت عليك طيوفُها ممزوجةً بدمِ العصورِ وسلسلت أنسالها
أترى الكواكبَ حين بثْنَ غوامزاً بلحاظُهن تمثلت عذالَها
أحسبنها فيهن كانت درة ثم انثنت للأرض تجلو حالها
ملتْ مطالعُ لأنيسَ يشوقها عبرَ السماءِ ولايعي أقوالَها
فرمتْ على الشطآن حر فؤادها ظمأى لإنسان يعبث جمالها
هذي (دمشق) وعهدَ فاتحها رمى قلبَ الزمانِ فخطْ فيه مثالها
نصبَ السيوفَ لكي يشيدَ حضارةً يختال في شرع الردى مغتالها
ومشت على الآفاق فرسانٌ إذا حان الفدى صبَّتْ عليه نصالَها
من ساكبٍ في قاسيون خواطري أترى (معاوية) يثير خيالها
أم من (يزيد)وجيشه طحم العدى فرض بزنطةَ واستباحَ جلالها
أو (لابن مروان) النشيد بغادةٍ تغريه بالتخليد، نال وصالها
يغدو له (الحجاجُ) في غمراته متنكبا قوساً يريشُ نبالها
لهفي على تلك الروائعِ في العلى لم يفتر التاريخ يروي آلها

دلفتْ إلى بنت الحضارة والندى ذاتُ النخيل التاريخ المانحات ظلالها
رفتْ علىالنيل وهي حاضرةُ الدنى وتغمرتْ منه فكان زلالها
دار الكنانة وهي حاضرةُ الدنى خضعَ الزمانُ لها وصانَ منالها
ملأت نفائسها الوجودَ ففنُّها ينفي على كرِّ الدهورِ زوالها
عجبي أينطق مرمرٌ من تحتِها خفقتْ به روحُ أرى تجوالها
حَيَكَتْ مناط خلودها بعروبةٍ يومَ المآثر نضَّرت أعمالها
أنِسَتْ (بمأمونَ) الخلافةُ وانبرتْ تعطي (الفواطم) في الملوك غلالَها
نهدتُ لعدوانِ الفرنجة فانثنوا ذلاً وقد ذاقوا المنونَ حيالها
أهوى (صلاحُ الدينِ) يومَ لقائهم بيدٍ تجيل المكرماتِ نوالها
وهفا (بنور الدين) يوم شهادة شهدت شفار الدارعين صيالها
أفديكِ (قاهرةَ) الخطوبِ وقد روتْ أخبارَ مجدِك للزمان مقالها
ستكرُّ أعصار وأنت فريدة كالشمس يهوى العاشقون عجالها
ضم الشآم إليك عهد وفائه في ألفة حفظ الإله كمالها
في أمة من يعرب مشولةٍ وعلى المعارك ربَّت أشبابها

كانوا بعزِّ نسائِها أهلَ الملا وارفع على هام النبوغ رجالها
وامزج كؤوس النيل في بردى على ذكرى ملاحم يعرب واهتف لها

القاهرة في أول يناير سنة ١٩٦١

مصر في العروبة والإسلام

أراوية الآباد نجمي أسامره ... وعندك في لوح الزمان مصائره
مررت على الأجيال هلكى من السّرى ... أسائلها في المجد أين مصادره
فصاحت بي الأغوار ويلك غنّي ... فما الشعر إلا أن تؤج مشاعره
فديتك يا أسطورة الخلق إنني ... بمصر وهذا النيل تطفو مغامره
بالحياة ألوذ بأفياء النخيل مردداً ... أناشيد من شعر تحن مزامره
أرى عمرو عند البقيع مجوّلا ... يسير إلى قبر الرسول يشاوره
تلمس أكتاف الضريح كهائم ... وأسمع صوتاً في الغيوب يحاوره
يقول له افتح واملك بها الدنى ... فمن حاز مصراً لم يجد من يكاثره
فصاح أيا ابن العاص ويحك لبني ... أرى النصر يدنو جاثمات مناظره
فهرول عمرو بالسلاح مدمدما ... كميّا عليه لأمة لاتعاشره
وقال أبا العدل المطاوع أمره ... أتيتك، لبيك، الممات أبادره
وما أنجاب وجه الفجر حتى تحمحمت ... خيول الوغى والجيش ماجت قساوره
يسد فجاج الأفق ملتف جحفل ... كما سد غاب أدهم الجمع زاخره
وراح يلف البيد حتى بدت له ... طلائع في الأمصار والشام خافره

إلى أن أتى مصرا ورنت سنابك		على بابها فاستفتح الباب قادره
مقوقس هذي زحمة العرب أقبلت		عليك بقرآن تسامت منابره
فلا فتح للإسلام إلا بنوره		ولا سيف إلا منه يستل باتره
تطأطيء تيجان الملوك لعزه		وتبني لإبقاء الشعوب عمائره
أقبط احفظي الأديار قدسا ربوعها		صليبك محمّي ونحن مغافره
يرنّم ناقوس ويشدو مؤذن		بتسبيحة الحب الذي مات كافره
كتابك والقرآن في ظل منزل		قضى عمر ألا تهان شعائره
ولم يكن الفتح المنبين تعلّة		ولكنه أمر من الله ناصره
دع البطل المغوار يسدد ظطوطه		على الغرب حتى يزحم البحر عابره
يطيف بي التاريخ في نشوة الصفا		فأسدر بالوهم الذي حام ناظره
كأني بالمأمون في مو كب العلى		يجول بمصر والحشود تسايره
أتته عجوز بالصعيد تعيره		دنانير والجاه المؤثل مأثره
فقال أحزت المال نهبا وخلسة		أم الكنز في ناديك باتت مطامره
فمدت يديها للتراب مكبّة		وقالت ثرى مصر وهذي جواهره
أأذكر كافورا وقد لجّ بطنه		ومن جنح ليل خدّه ومشافره
أبا المسك لولا جهمة منك للندى		لخلَّدك الشعر الذي فاق شعره
تركت الفتى الكوفيّ تبكي حظوظه		شريدا وقد دارت عليك دوائره
فضاع لك الصيت الحميد يهجوه		وما قام في العلياء ما الشعر دائره

وإن شاق عهد الفاطمي خواطري تنسمت ذكراً لا تزول عواطره
أرى الأزهر المعمور والألف أقبلت تحييه في كر السنين مآثره
أقاهرة الإعصار زالت عواصم ومصرك لم يولد على الدهر قاهره
هو النيل يطوي فتّاً وسؤددا أنهر من الإبداع تجري هوامره
على ضفتيه الخير والرفد والجني تقال على ضيم الزمان عواثره
أرى كبرة التاريخ تزهو بعمره مجددة في كل عام بشائره
وليست عروس البحر إلا تحية لريّان في زهو الشباب نواضره
أطيف به تحت العشايا كأنني محب له عند الحبيب أواصره
لئن كان رمسيس ابتنى مصر بالقنا وخطّ لها ملكاً يعزّ مناظره
لقد جاءها ابن العاص بالدين والهدى فزادت على الفخر التليد حواضره
كررت على أدواحها مثل طائر وكم هاجهها شعر يغرد طائره
وجئت هداها اليوم أبصر وثبة يجللها فكر تعالت بصائره
أرى ثورة في غير بطش ولادم فأحبب بإصلاح ترفق ثائره
فيا غضبة الأحرار للعدل والتقى سلمت ولم يسلم من القوم ماكره
لصوت السما ملء السامع في الورى ينادي بعهد قد أهلت سوافره
هو الأمل المنشور في الأرض بعدما أطيل الشقا فيها وعجت مناكره
أيا روح مصر أنت أقوى من الهوى وكان الهوى أقوى من الموت دامره
ينافس فيك الخلد آثار عبقر فيا كوكب الشرق المشعشع باهره
لقد صاغك الخلاق حصنا ليعرب وأعطاك عزاً لا يزحزح عامره

مهرجان الجلاء

من قصيدة للدكتور زكي المحاسني ألقيت في نادي خريجي الحقوق بمناسبة العيد القومي (عيد الجلاء مهرجان الجلاء)

عاد الحبيب وعادت منه ذكراه ... بالقلب أفديه بل بالروحِ أرعاه
واعدته العام بعدَ العامِ مرتقبا ... وصاله وجعلت العين مثواه
أحببت والعمر واتاني بكل هوى ... لكنه لم يروّ العمر مهواه
يزول كل حبيب رحت تعشقه ... إلا الذي أنت مثل الله تهواه
الموطن الحر في نعي بشاشتُه ... في يوم فرحته الكبرى ومنجاه

* * *

عيدَ الجلاء جلوت الخصم وانقشعتْ ... بك الدجنّة عن روض ومغناه
أرى البشائر في ناديك وارفةٌ ... مع الربيع بزهر فاح محياه
أقول للصحبِ والأعلام خافقة ... وأعرف السبب الأسمى وفحواه
ماذا على جلق من وهج زينتها ... أعرسها عاد أو زادت عطاياه
فقال لي الصحب والذكرى مرفرفة ... قد عاد عيدك فاستمتع بجنّاة
النورلألاؤه شمس على قمر ... والمجد يرفده والسعد وافاه
هذي الأحبة في عيدي مدانية ... لا بُعد يفصلني عنها ببيداه

* * *

ياربَ عيد على تحنائه رجعت ... بنا العوادي وبالبلوى ذكرناه
أيَّام قد فتك الباغي بجحفله ... فراع أحياءنا واهتاجَ مرماه
فالنار مشبوبة والأفق مشتعل ... والليل يدلف بالويلات مسراه
دار النيابة مصبوغ مدارجها ... دم الشهادة، يهفو منه أذكاه
كأنه ميسم التخليدِ في نفرٍ ... من الأباةِ، فداءٌ ما سلوناه
حريةٌ كانت الأغلال تُرسفها ... عشنا عليها بدمعٍ ما سكبناه

* * *

كان الرصاص لها فتحاً وتكرمةً ... تؤز أصواتُه فيما فديناه
وكلُّ حرية نيلَت بلا تعَب ... زَالَت وشيكاً بيومٍ ذلَّ مسماه
حتى انجلت غمراتٌ عن مرابعنا ... جرحٌ شفيناه لكن مانسيناه
تنسى الشعوبُ أغانيها وفرحتَها ... وليس تنسى أساها منذ تلقاه
والشعب إن ذهبت أحزانه بليتْ ... أسباب ماضيه حتى ضلَّ دنياه

أستاذنا الألمُ الباقي فإن خلصت منه النفوس خسرنا ما جنيناه
فاقرأ كتابك أحزاناً وموعظة حتى توافيك بالأخلاق نجواه

* * *

هذا الربيع أتى والزهَّرُ حفَّ به وفي المباسم من نيسانَ نُعماه
ذكرى ال جلاء وأيامُ الربيعِ هما عيدٌ توحَّدَ في الوجدانِ معناهُ
فجدد العهدَ كي تحمي الذمارَبه في كلَّ عام إذا نيسانُ أدناه
كما يجددُ زهرُ الروضِ مطلعُهُ فيملأ الكونَ عطراً طابَ رياه

دمشق في ١٧ نيسان ١٩٦٧

تحيتي ليوم الجلاء

خلِّ عنك الردى فإن العوادي سكبَ الموتُ كأسَها للأعادي
واسترحنا منهمُ كغَصَّةِ عُمْر ذهبت بعد فرية وجهاد
لا رعى الله عهدهم كان شؤماً ووبالاً عليهمو في القيادِ
تركوا أرضهم تعِجُّ بزيغٍ وأتَوا أرضنا ابتغاء رشادِ

ووقفنا في «ميسلون» ضُحى الحربِ نصدّ المجتاح ذا الأحقادِ

لم يكن زادُنا السلاحِ كفاء فخسرنا العراك من سوء زادِ

طحَمتْ دارنا جيوش الفَرَنسيس و(غورو) يقودُنا للنفاد

فتعالت ثوراتنا تتنزّى علَّنا أن نُطيحَ بالأصفادِ
ما عرانا يأسٌ بآمالِ يومٍ تطلُعُ الشمس فيه بالإنْجاد
يوسفُ العظمةِ الشهيدُ تحرك من رفات لم تَغْف للآبادِ
واصْرخ الصرخة المدويِّة الكبرى «بغورو» المَهينِ طَيَّ اللِّحادِ
قل له الرَّدُ كان يومَ جلاءٍ قد ثَأرنا والله بالمِرصادِ
هبَّتِ الشآم فيه من كلِّ صوبٍ نفضتْها انتفاضةُ الأمجادِ

أدموعُ الأفراحِ تلك أم العُرسُ الذي عَمَّ كلَّ بيتٍ ونادِ
يالها ساعةُ رأيتُ بها العِزَّ سيوفا تنضى من الأغمادِ

طالَ عهدُ الأبطال بالصبر حتى صاحَ صوت الجدود بالأحفاد

* * *

جاءَ نَيْسان بالربيع يهادينا بريا أزاهر وَوِرادِ

فالتقينا في مصرَ عيدَ نسيم بخلاص مضاعَفِ الأعيادِ
قال حجي بضفة النيل رَيْحانٌ ورَوحٌ فقلت ذاك مُرادي
ونَضَونا صباحنا عند «خوفو» ولبسنا مساءنا (بالمعادي)
قلت لما رأيتُ صفو الليالي ورواحَ النسيم بعد الغَوادي
وابترادَ الظِّماء تحت نجوم زاهياتٍ بالمَلْمَحَ الوَقّادِ
ليلُ مصر يُنّسي النهارَ فَدَعْهُ يتمايل في أجمل الأبرادِ
فرأيتُ الحياة تُسكَبُ منها سلسبيلاً لكلّ آتٍ وغادي

كُلَّما شاء حاسدٌ لي بُعْداً عَنْك يامصرُ عُدتُ رَهْنَ ازديادِ
عادَ للنيلِ كلُّ من ذاق كأسا من طِلاه، قُلْ ذاكَ للحُسادِ
يا بَني النيلِ قَدْ عَرَفت حماكم كَانَ صَوْنَ الأحرارِ والرواد
وكتبتُم تاريخَكمُ بالضحايا كم شهيدٍ منكم وكم من مُفادي

أنتُ مِشْعَلُ الثقافة في الشرق وفيكم كتائبُ الأجنْادِ

أَلَّفَ العهدُ بيننا بوفاء يَقرَعُ الدهر إنْ أتانا بعادي

قد ورثنا حضارة تزحمُ الشمس ومجداً يسد عرض البلادِ
وحَلَفْنا نَفْدي العُروبةَ والإيمان يوم اللقاءِ بالأكبادِ

هو يومٌ آت يزيح عن الدارِ اغتصاب الصهَّاينِ الأوغاد

أيّها الضيغم الذي يَزأرُ اليوم غَدٌ مَرتجاكَ بالميعادِ

إنزَعِ الشوكة المهيضة من كفك فالجُرْحُ ما اشتَقى بالضِّمَادِ

أمَّةٌ أنت تَحمل الأمل الأعظم حَمَلَ الأبطالِ للأطوادِ

* * *

روايات الملاحمِ الحَمْرِ قولِى أين قيثارتي لدى الإنشادِ
التهاويلُ والحَماساتُ مَرَّتْ مَع ركبي وكنْتُ فيها الحادي
أنا أوقَدْتُللفتوّة أشعاري وكان القصيد قَدحِ زنادي
والفُتُوّاتُ مُرتجى كلُّ جيل عَبقري الذِّمارِ والإعدادِ
عَرَفتها الشعوب تحمى وتبنى وتصون الحمى من استعباد
سَلِمتْ للوفاء والنبل والسؤدد حُلْمِ الشعوب يَوْمَ التنادي

* * *

مصر

ورثت مصر تراثا زادها
منعة والسيف منها ما نبا
وجربالنيل لها خيراته
فزهت علما وعزت نسبا

* * *

بأبي العرب لئن حط بها
الدهر وقوف جواد قد كبا
الجواد النّدب يكبو مرة
وهو مازال مريعا سلهبا
وغيوم في السما مهما تكن
جائلات لي تمحو كوكبا

* * *

غني لحنا دعت قلبي به
«أم كلثوم» يناجي يعربا
أيها السائل نحن العربا
قد كسبنا المجد آمّا وأبا

* * *

تونس

قصيدة الشاعر موفد سورية للمهرجان الثلاثين لذكرى أبي القاسم الشابي بتونس ١٩٦٥

أنعمْ بتونسَ نسوةً ورجالا بلدٌ تألقَ عزة وجمالا
عقدوا المحبة خنصراً وتآلفوا عند العهودِ أخوةً وعيالا
والحافظوه تدرّعوا بكيانه فغدا العدو يهابه إجلالا
أأعود فيه إلى الجهاد بسيرةٍ نسجتْ بطولتها إملاءً وكمالا
قل للفداء وصوته ملأ الدّنى فرواه تاريخ الدّما أهوالا
لو رحت أقرأ صفحة من سفره لوجدت أسطرها بكى وثكالى
يترنم الآي الحكيم مباركاً فيها الشهادة معركا ونزالا
تلد الشعوب لترتوي من غوثها لتبل في واحاتها الترحالا
في شاعر ملأ الوجود تحفّزا وسما فخطّ على النجوم مقالا
دهشَ الزمانَ لصرخة دوّى بها أرض العروبة، حكمةً ومثالا
لكأنها في الكهرباء هزيمها أو في الصواعق تندى الأجيالا
أو ذرةٌ ثارت بقيد حديدها فتفّجرت وتحولت رئبالا
هتفت بنا الأحداث تنشدشعره حتى حذونا بعده الأمثالا
الشّعب إن طلب الحياة كريمةً حطمت له أقدارهُ الأغلالا

* * *

يانغمةً رنَّتْ على آفاقنا فأهاجتِ الأفكار والأعمالا
مثل الصدى المرودِ ضجَّ نشيدها زحمَ الحدودَ على المدى وتعالى
قبسٌ كشعلةِ عبقرٍ رفعتْ به كفُّ الزعيمِ فأوقدَ الآمالا
رحنا نلو عليه في مددِ الوغى لما طوى تاريُخنا الأفيالا
دأب الكفاح بلا هوادة واجلٍ حتى شفاه على الذخار سجالا
هو خطٌّ في التاريخ نقش شهادة رمى به العدوَّ عن الديارِ فزالا
ولربَّ سائسِ أمةٍ بكياسةٍ بلغَ المرامَ وما أهاجَ فتالا
هتف الشيوخُ مع الشبيبةِ باسمِهِ وألامُ قد غنّتْ به الأطفالا
نبأ من (الطائيّ) جاء بشعرِهِ فيه السيوفُ تحقّقُ الأقوالا
هو في ضمير الغيبِ بشّر باسمه وأجابَ في طلب العصور سؤالا
حبّ (الحبيب) الأول مرصوده فانقّل فؤادك في الهوى أشكالا
فسّرتُ للشابْيّ بعد هجومهِ الشّعر الذي في الخافقين آجالا
سلني عن القدر الذي رجّى له أن يسجيب لشعبه التسآلا

هو منحة الأقدار همّام الورى ... أنا قدْ شددْت إلى ذراه رحالا
ياليتَ عاش القاسمّي لعهدِهِ ... فرآه يختم في الوغى أنفالا
في أمّة قد أشرقت بصباحها ... شمس الصعودِ ولن ترى الآصالا
وتأدبت أذي الرسولِ بحربه ... فغدت لديها المكرمات حلالا
صحب–الحبيب –وكلهم– بورقيبة– ... خاضوا الجهاد وجنبّوه جدالا
قد عبأ الإخلاصُ عدة عونهم ... بشجاعة زنتهمو عقّالا
هو لايتيه عليهمو برياسةٍ ... فيهم يعزّ قرابة وزمالا

وتفهّم الشعب النبيه رسالة ... قد رمّمت وبنت ورادت مالا
لنسوره في الجو راعة فتكة ... ولجيشِهِ أن يكتسب الآجالا
أجلي الخصوم عن الدّيارِ بحسبِهِ ... أن يستديم شجاعة وبيالا
الجيش حصن للبلاد يصونها ... حصِّن بجيشها واستزده نصالا

* * *

يا أيها الشابّي لم تمهلْ ولو ... انسِئت جاءتك المُنى أرسالا
لهفي عليك أفي الشّبابِ وزهرِهِ ... كان النسيبك لمحة وزوالا
أني لأفكر فيك في أيدي الضنى ... وبل السلالِ وقد براك سعالا
أمل أضيع بأن نرى بدر النهى ... ضنّ الزمان به فعاب هلالا
لو تُفتدى لوجدت كل مواطن ... نذر الدّماءَ وقدَّمَ الأموالا

* * *

يا وقفةً لك في الشطوط رحقة ... والبحر يزجي موجه مختالا
نفذتُ إلى قاع الظلامةِ حيثما ... تشقى الشعوب وترفضُ الإذلالا
فرجوت لو ندى الآله مخلصا ... وهو الذي يتخيّر الأبدالا
حتى استجاب لك ربّ عادل ... نصر (الحبيب) وغيّر الأحوالا
درجا على (بنزرت) مركب غالبٍ ... موج الآلهِ طما عليه وسالا
فإذا الرواسي زعزعت من تحتِهِ ... فعوى وخاضَ وشمّر الأذيالا
لولا وصاة الله في الأسرى وفي ... أهلِ الكتاب لزلزل الزلزالا

* * *

«زيتونة» من غير نارٍ شعشعتْ ... مشكاةَ جامعها هدى يتلالا
القاسمي نما بظلِ بيانها ... والسّحر كان من البيانِ حَلالا
هي عمدة الإسلام، في نفحاتها ... طيبُ الرسول، أصالةً وجَلالا

دعني أقبّل غطاء الرأس وعمائماً فيها، وأخلعُ للوقارِ نِعالا
روّادها تقفوا الشريعةَ وارثو من نبع ديّانٍ يفيضُ نوالا
حفظوا تراث الدين في آثاره صَدَقوا به الأقوالَ والأفعالا
خذني إلى المحراب أسجدُ شجدةً روحي بَكَتْ لحنانِها إعوالا
بسمعي يصيخ إلى آذان هداتها لكأنَّ فيه على الجهادِ بلالا

* * *

يا شاعري، غادرتَ جامعةَ الحجى تبغي الحقوقَ تفهماً وصيالا
حتى وقفتَ عن البلاد مدافعاً بالشّعر تقذف شطرتيه نبالا
قبل الأوان ذهبت لكن روضةٌ من زهر شعرك عاودَتْ إقبالا
عادت لتشهد (تونسا) في عرسها تعطي السلام وتنعم استقبالا
من بعد ما زحمت على غمراتها ف كيد عادية تكيل وبالا
نورُ الدم الزّاكي على حسبانها مجدٌ أذل عدوها المختالا
أنسى الحرير مودعاً، أو اكسر إذ جاء قبلُ يجررُ الأسمالا
طال المقام وحانَ يوم فراقِهِ فجلا ثقيلاً ماأفاد مطالا
قولوا له في دار قومِه غنية فارجعْ إليها واحملِ الأثقالا

* * *

ضَفَرَتْ بناتْ الوحي إكليلاً على الشعر الرفيع وقبلته دلالا
وأتت به يهدي إلى شابيِّها وزينَ الشباب وأشبعته وِصالا
ولعلَّهِ خسر الهوى في حبِّه لكنّه كسب الخلود بدالا
مازال يشرب روحه في حزنِه حتى بدا بين الشخوص طلالا
بالشعر يخلد شاعر عرف الشقا في وجده وطوى الحياة نضالا

* * *

القاسمْ ابنك لم تَلده، وإنّما خلَّفْتَ ولدا في القريضِ تنالى
ناحت عليه مرنَّة أبياته لبستْ عليك حدادها سربالا
متمردّاً جزت السنين تشاؤماً لم تشك في عثراتها إقلالا
لكن شكوت مواجداً جيّاشة يفنى الأنام ولاتهم زيالا
ورثيت والأنام نبع أن يغّص تُفي المشاعر حسرة وهزالا
ومرحت في الغزل المباح تفننا حتى انتشيت وما عرفت ملالا
وغردت خلف الغيب أجنحة المدى وسموت في الصورِ الحسانِ خيالا

وتركتَ للوطن الأعزّ قصائدا　　تحيا بديلك عمرها أطوالا
إن كلَّ قلبك في الخفوق فما أرى　　بقلوبها– مهما يعشن– كلالا

* * *

ذكراكَ حالية الدَّنى يا شاعري　　نصبتْ بتونس للوغى تمثالا
في محفل للعرب عند وفوده　　تلقى العمومة فيك والأخوالا
قد جددوا الشعر المبين وإنما　　ترعى الشعوب بشعرِها الأشبالا
الشعر في صفة الخلود ضرورةٌ　　لا تقطعّن من الخلود حبالا
والشعر مرآة الحضارة وحبه　　يحيا بجمهورية هطّالا
لولا امرؤ القيس العظيم وشعره　　ووقوفه وبكاؤه الأطلالا
ماحثحثت بخواطري لهفاتها　　حتى سلكت مفاوزا ورسالا
ورأيت في عبر العصور حواضرا　　عربيّة تهب الزمان فلالا
ووردتَ شطّاً للمرؤة والندى　　في تونس الغرباء أكرم حالا

* * *

لاتحسبي أبناتِ.. تونسَ أنني　　أنُسيتُ فيك ملاحة وعدالا
لكِ في النبوغ وفي السناء (وسيلة)　　بلغتْ مجالاتِ النجوم مطالا
كانت فتاة العرب مثلكِ حرّةً　　ترعى البيوتَ وتصنع الأنجالا
وتخوض معتركَ الحياةِ رشيدة　　مثلُ الرجالِ وتقحم الأهوالا

* * *

هذي أزاهير الشآمِ نثرتها　　هزّ التشوقُ غصنهنّ فمالا
والمغربُ الوضّاح رهن مشاعري　　كم بتّ أحلمُ في لقاء منالا
في تونس الخضراء ماء ربيعها　　يسقي النفوسَ من الشفاءِ زُلالا

ذكراك حالية الدَّنى يا شاعري　　نثبتْ بتونس للوغى تمثالا
يا جنة الإنسان في أرضِ المنى　　زيدي صفاكِ وروقي الأنسالا
عيد لمجدك قد ركبت ليومه　　سحبا سمعت هديرها أزجالا
قد رددتْ شعري على أفلاكها　　لتبين أني قد بلغت محالا
وبالشعر قلت لأمتي متوسلا　　لاتتركي بثغر الأغوالا
يا أمةً بالحبِّ مجمع قومها　　أحقادها تهب العدى استغلالا
لا ترفدي بطلال مجدِكِ سلوةً　　إن الخطوب من الزمانِ حبالى
قد جاءنا القرآن ينذرنا العدى　　كيما نعدّ لدفعها الأبطالا

* * *

مراكش

خلِّ شعري على شطوط المغارب   ضمني منربوعها خير صاحب[١]

غنَّ شمس المرّاكّشية تلفحني   فروحي منها بلحظ وحاجب

لوّحت لي البرائس البيض والبعد ترامي والشوق مني مواثب

لقصيدي في الشرق رجع تلاحين   ومالي في الغرب بيت يجاوب

وفؤادي في غرب صدري فدعني   أتلمس خفق الحنون المغالب

بأبي مطلع العمائم بيضا   فوق هام العقاة آهل النجائب

البقايا من عبد شمس المزاويد   كلمع النجوم خلف الغياهب

وصل تاريخنا بأندلس الأمس   وبعث العلا لتلك المناقب

ياجدار للسحر نمنه الفنّ   عليه من حسنه ألف جاذب

سوف أحنو عليك حين أراك العبقريّ الخلود رغم النوائب

غير أن الدموع تطفو على الجفن   إذا شمت (ماسوى الله غالب)

وعلى البيد من فوارس عبس   في ظلال الحتوف ركب محارب

يتنزّى إلى المحامد لا يقبل ضيماً ولا يقرّ لغاصب

افتدى طلعة (المحمّد مبّراقا   بعين هانت عليها المعاطب

كلما ناشه العداة بخطب   فرّعنه العدى بوصمة شاحب

مغربيّاً ليعرب نسبوه   وهو مولى الولاة يوم المراتب

ما مدحت الملوك قبلك لكني   لك اليوم مادح غير كاسب

أنت حصن الإسلام في مغرب الأرض   وأنت الذي تجيل الكتائب

* * *

فتاة الجزائر

أيا جارتنا في ربى المغرب حنانا لمجدك في المطلب
تبيتين من فوق حد السلاح وما نمت في معرك الغيهب
أأبصر زندا على مقبض يدير الرصاص على الأجنبي
تعرى وأين أساوره غداة الفدا والرى الطيب
وفي العين لا كحل ولا للنحور بريق من الفاتن المذهب
هي الحرب من أجل حرية ولم يك في الحرب من الملعب
أباه الجزائر عما غد ستحيون في الشرف الأرحب
فكا نيل حق لدى غاشم بغير الدما والفنا الملهب
سلكنا العوادي من قبلكم وذقنا من الجاحم الصيب
وحين تطيف بنا الذكريات نغص على سائغ المشرب
أأمتنا بعد فتح الدهور تهان وتحيا على معطب
يساجلنا الغرب حرب المنون فشلت يداه لدى المضرب
لقينا بزنطة في حربه هجوماً وقد راغ في المهرب
فتلك الثغور روت بأسنا لدى سيف دولتنا المرهب

وحط الفرنجة في شطنا جموع الغزاة ولم نرعب
فراحوا على ال قدس أشلاؤهم يموجون بالموت في موكب
وفي بور سعيد أذيقوا الشنار فآبوا بعاقبة الأخيب
فتاة الوغى اعصفي بالخطوب فأنك نسل الفتى اليعربي
ابنت الجزائر درب النضال يتبيه بأبطاله فأتعبي
وأوراس تزحم في الخالدات جبين النجوم فلا ترهبي
لملحمة العرب صيغي النشيد ومن غمس دم الشهداء اكتبي
وفي غمرات الفداء اذكري إلهك واعتصمي بالنبي

* * *

الصوت الحزين
(رمزية من أجل الجرح)

من وراء الوجود أسمعت صوتا ... يتلوى كالنادب المحزون
قلتُ يا صوت فيكَ رنة دمع ... مثل دمعي وحرقة شجوني
أترى أنت من صداي وحزني ... قد تمثلت لي فهجت ظنوني

وتري لا يحنُّ أَجْمَدَ أوبحَ فقيثارتي تبكي حنيني

ضج وجدي ولست أهدى سبيلا ... لشكاة فهل يطول رنيني
سأل الليل عن هيامي وسهدي ... فأجاب الصباح طلع جفوني
بهواها من عهد عاد سلالاتٌ ... تمشت جياشة في القرون
مثل بحر أمواجه تتلاقى ... في شطوط منثورة في العيون
حير الروحَ جرحُها فبكاها ... كلّف قلب على مثار الفتون
نورها في الورى يشع كالهامِ ... نبيٍّ يسري بسكب هتون
أين غابت؟ ولحنها عندليب ... رحت أجتابه حفيف غصون
كيف نامت على الثرى مثل سكرى ... وهي لم تدر ما سبيل المجون
شعرها كان بالضفائر يسبي ... عبقري الخصال طيف فنون
ويك يا ريح هل هببت عليها ... بسموم فأدرجت كدفين
لا ورب العلى فليس لها موت ... ولا فقد طرة وجبين
ستعود العروسُ، أبهى من الصبح ... وأحلى من فاتنات وعين

لبوة همهمت وأسد شراها ... ملء أرض الكماة ملء العرين
تتوارى الذئاب خوف لظاها ... في شتيت من الوهاد لعين
أيها الصوت عد إلينا طروبا ... لست أرضاك في النداء الحزين

* * *

في تاريخ المغرب الدبلوماسي

بقلم : عبد الهادي التازي

عندما كان المؤرخ المغربي ابن خلدون يتحدث عن ملوك جزيرة العرب ذكر أنها كانت تتألق من خمس مناطق: الحجاز والسحر واليمن وحضرموت وعمان[١].

وتقع عمان هذه (بضم العين وتخفيف الميم) شرقي شبه الجزيرة العربية اليوم، وقد لعبت دوراً هاماً منذ فجر الإسلام فقد استقر بها أنصار عبد الله بن أباض الذي نجا إليها بعد إيقاع الإمام علي بالخوارج في النهروان، وقاموا بثورات متوالية على الخلفاء الأمويين والعباسيين بينما كانوا بدورهم يتعرضون لموجات مقاومة من لدّن الجماعات الأخرى: جماعات أهل السنة الذي ظلوا ينعمون في المنطقة بوجودمستمر على مر العصور..

وقد اشتهرت عمان بأنها من الجهات العربية التي كانت تمتلك أقوى اسطول بحري فرض سيطرته قروناً عديدة علىسواحل زبجيار وسائر أفريقيا الشرقية ومعظم موانئ الهند وفارس وأطراف البلاد الشمالية التي تحتضن اليوم إمارات الخليج.

وكان اسطولها التجاري يجوب البحار حاملاً تحف الصين والهند إلى الأسواق الكبرى في مختلف جهات العالم.

وقد كان الملوك هنا منذ بدأ التاريخ يختصون بلقب «الجُلَّندي» على نحو ما يقال مسرى في ملوك فارس وقيصر في ملوك الروم والمقوقس في أصحاب مصر.

وبهذا الوصف نعت النبي عليه الصلوات حَاكمي عمان: جيفر وعبد ابني الجلندي[٢] وقد بقي هذا الوصف معمولاً به إلى أن ظهرت قبيلة آل بوسعيد التي عوضته بلقب السلطان وهو السائد اليوم في سلطنة عمان..

* * *

حنين إلى الشام

سلي الريح هل حملّتها القلبَ واجبا ... وكانت رسولَ الحبِّ تشفي الحبايبا

أرى عاشق البيداء يهفو مع الصبا ... فيودعها الوجد الذي كان ذائبا

وكم مرّ في خفق النسيم تلهف ... من الواله الهيمان مادام غائبا

فإن درجت تحت العشبات هبّةٌ ... على سفح قيسون ورفت جوانبا

فشوقي بها للشام تحنان ذاكر ... سلاه الذي يهوى فبات معاتبا

---

(١) ابن خلدون: المجلد الثاني طبعة بولاق ص١٨-٤٧-٧٦،الدمشقية نخبة الدهر، ص٢١٨.

(٢) كان ذلك عندما بعث لهما سفيره سيدن عمرو بن العاص، وهذه غير على رأسها سيدنا العلاء ابن الحضرمي وقد كان أول ماورد المدينة خراج البحرين (سبعون ألف درهم) وابن الحضرمي يحمل اسمه اليوم شارع على سطح البحر.

أمنثورة الشعر المضمخ عطره
على مصبح الشباك أغويت راهبا
بروحي كف منك تسقي أزاهرا
وتسحب ردنا لاح للعين ساحبا
تداولت أنفاس الصباح بزفرتي
ولم تعلمي أني تسللت ساربا
تمرين عطف النيربين وان لي
على الضفة العلياء أهلا وصاحبا

مواطئ أقدامي محتها لك النوى
وكم كنت فيها اطبع الخطو حاديا
أنادم صفصافا على النهر ظله
وكان الهوى مثل الخيال مجاذبا
أجاذب أشعاري لأجلك منحة
وكم كنت لي في الشعر وحيا وواهبا
لأعمدة الصحراء تعرف سيرتي
وقد كنت للصحراء ربان ساكنا
فيا بردى ما عاقني النيل عن صدى
ولا بنت فرعون أتتني نائبا
أبيت بأظلال النخيل نظرتي
علىالغوطة الخضراء تتبع ناهبا
فيا موطن الصيد ميامين كنت لي
فؤادا ولا أرضى بغيرك سالبا
وقومي هم الغز المغاوير في الوغى
إذا الويل نادى حاميا ومحاربا

عرفتهمو في ميسلون قساورا
وما غلبوا لمّا أتي الثأر غالبا
وفي سمخ صبو الحميم على العدى
فماجت بهم شم الروابي معاطبا
وما وقعة في كعوش جلجل الردي
صداها فكانت كالسعير نوائيا
لتنس الأعادي هجمة يعربية
أبي الهوب أن يجلو لديها الغياهبا
وفي التل من هام العزيزات وقعة
الهية الفتح استشاطت غواربا
كأسطورة أروى لظاها وأنني
لمرغوبها أن تطلب الحرب راغبا
فياشعلة الخلد التي من عروبة
على الشرق زدت الفخر فيه مكاسبا
عروبتنا كانت أمانة مجدنا
لها الصون لا أرضى لها الدهر عائبا

* * *

بيروت

مشعل للعلا ولبنان كف ... عملته رمزاً ليوم مظفر
هي كأس إذا رشفت لماها ... أبداً وتشافها العذب تسكر
وهي عين إذا رمتك بهم ... كان كوبيد عن ذراعيه شمر

رقصت في السفوح رقصة بفلوفا ودقت لها الشطوط بمزهر
قدم رفرفت على الموج من لبنان قد صاغها الجمال لتسحر

رب ليل سهرته في لقاها ... ما أرى على الليل أسهر
منظر فاتن وشعر ولحن ... فكأن المكان بالأنس أزهر
الرعابيب كالثمار تدلت ... فاحذر القطف أيها القلب فاحذر

كالتماثيل إن سكنَّ وإن طُفن فطيف بجنة الخلد أجدر

يتثنين كالأفاعي نشاوى ... ثم يقبلن في مواكب عبقر

حين مرّالدجى الرواق علينا ... قال صحبي: هو اقتحام نمر
فسرينا في بلدة هي سر ... وضللنا حتى إذا الصبح أسفر
وسوس النوم في الجفون وأغرى ... ونعمنا بكل حلم معطر

إن بيروت دار علم وفن ... وجمال ودار حب وأكثر

* * *

الوطن والحبيب

عاشق الليل خفية يتكلم ... فلقانا السماء والليل ارحم
لا تطل النجوم إلا كأرواح ... حيارى عبر الفضا تتألم
غمزت بالعيون في هدأة الدنيا ... ولاذت بالصمت والصمت أسلم
بدى الفلاة يرصد أقصاها ... ويرغو على حصان مطهم
مد كفا لقافلات الهواليك ... ظماء والزاحفات لمغنم
أنا روحي تطيف في جبل المجد ... وتأتي قيسون بالسفح تنعم
موعدي ثم افتح العين بالصبح ... على مسرح الجمال المنمنم
وبنات الربيع ينسجن أحلامي ... ندايا من شعرهن المجمجم
هو بحر الأزهار في فرحة ... الأرض وموج بخضرة يتلطم
سكبت ذوبها الحلاوات في ... أثمار واهتاج كل غصن مطعم

يابعيدي لاتهدم القلب ثنتين بسلواك فالفؤاد مهدم
ما بي الذنب أن تصر يميني دون لقياك مستحيل تجسم
أنت والموطن الحبيب مزاج النفس ترداد مغرب يترنم
ذكريني روابي الشام عزي وابعثيها أنشودة تتضرم
نحن نلنا حرية بالضحايا فغلونا بحفظه لاتسوم

فعلى ميسلون شاهدها البا قي وفي دارة النيابة معلم
يا دماء في الغوطتين تروت بك ثوراتنا ترابك أكرم
كل حرية بغير دماء نشتري فالزوال فيها محتم

غد قومي في الشرق فتح المغاوير فويل لحائل يتحطم

حلف الدهر أن يعرب باق وأبو المجد في المعارك يسلم
اذكريني أيا شبيهة روحي عند قيسون أنني في المقطم
وإذا ربوة الخميلة ماجت بالتلاوين من هواك المكتم
فاسفحي دمعة علي مع الصمت لعل الخيال يسري ويحلم

* * *

في ذكرى ٦ أيار.. بيوم الشهداء

هات الأزاهير وانثرها على الشهدا ... واجعل دموع الأحبا فوقهن ندى
الدمع للنوح، لاتبخل بساكبه ... فربما.. عبرة تشفي لي الكبدا
قبلي امرؤ القيس داوى وجده ببكا ... وفوق إطلاله قبل الرحيل شدا
والذكريات لقد تنسى حوادثها ... وتستحيل خيالا في الشفوق بدا
إلا التي هي من جرح يجدده ... كر السنين فلا تنسى إذن أبدا
كقصة العمر اروي يوم مقتلة ... راح الرعيل بها في حتفه بددا
كانوا البناة عقولا مثل كوكبة ... من النجوم وكان الوعي متقدا
اظلهم أعهد للبغي كان بها ... حكم الطغاة يدير الكأس ملء ردى
قالوا، وأصفادهم تجتاح أرجلهم، ... نحن الأباة فما ذقنا بكم رغدا
أنا لمن معشر الأحرار، ما خشيت ... آمالنا في الوغي ممن بغى وعدا
فريع طاغيهم في الشام واندفعت ... جنوده تأخذا الأحرار أخذ عدى
ياللمشانق قد صفت قوائمها ... في ساعة بات فيها الشرق مرتعدا
عاجت بها الشام والطغيان مبتسم ... كأنه الذئب غال الأهل والولدا
أين العيون وراء الغيب تنظرنا ... في زحمة مجدها سد الدنى عددا
لنا على البحر أسطول نجرجره ... وفي السما طائرات تبلغ الأمدا
وجيشنا طحم الآفاق عسكره ... زحوفه تتنزى للعراك غدا
يا فتية الشام من مصر أساجلكم ... شعر الوفاء، وهذا النيل من بردى
على ضحاياكم رفت خواطرنا ... من فيض أدمعنا في محفل الشهدا

* * *

في ظلال السيوف

أيّ سيف أغمدت في ميسلون؟ غيبته الهضاب خلف الجفون
يهدأ الدرب في الليالي وتبقى نزوات الصدى نواح حنون

* * *

يا نجيع الأبطال في ساحة المجد سلاماً من فيض دمع العيون
أنت سطر من اللهب على صفحة حرب مكتوبة بالمنون

* * *

ينسج الدهر كل صبح وممسى لوعة عندها وشوق حزين
قل لأهل السيوف إن جراحي داميات والثأر يرقددوني

* * *

دوخ الأرض نصرنا يوم كنا لانبالي فيها بحرب طحون
أيقظينا أيا بنات الليالي فقد طالع بجمر الظنون

* * *

كل مجد بغير حد سلاح زائف العمر وهو غير مصون
فظلال السيوف أروع روحاً ورياحين من ظلال الغصون

١٩٥٠

إلى روح البطل السوري الشهيد يوسف العظمة
القائد الأعظم للجيوش السورية

أيا حامل السيف لاغيد ولاغزل ... من بعد يوما، محبوبي هو البطل
قل للصفوف التي تمضي فيالقها ... نحو الوغى وبها التخليد يتصل
أنا الفداء لخفاق عليك هفا ... بالأنجم الحمر رفاقا به الأمل
شهدت عسكر قومي يزحفون إلى ... المجد الكبير لهم في زحفهم زجل
يطيف بالنفس ضرب من حماستهم ... فابتغيني فتى للحرب ارتحل
برج بين ضلوعي حين أذكرهم ... قرع الطبول عليها المشي يعتمل
كأنني أسمع الإنشاد هاتفه ... أنغامه ترتوي من صوته الغلل
يافتية الشام إن جد اللقا على ... النقع المثار فلي نحو الوغى سبل
إنا نعيش بدهر لاقوام له ... إلا السلاح وفيخ الناس تقتتل
أرى الشعوب طغت والظلم يحفذها ... وراح فيها ضعيف الطول ينخذل
وللطواغيت عن يوم الردى خدع ... دووا بها السلم وازدادت به العلل
ياويح قلبي من دوني البلاد عدى ... تربصوا غرة منها وقد جهلوا
نحن الأباة وما قوم يطاولنا ... سل عن لقانا الأولى يوم الوغى نزلوا

* * *

قف بي عى حدث في ميسلون ضحا ... ترجو الجوانح لو تحويه والمقل
روحي على البعد رفت فوقه زهر ... يكاد ينضحه من دمعها بلل
يايوم يوسف كنت البدء منبعثا ... منذ الضرام وأنت الحادث الجلل
كتبت تاريخنا جمرا فحق به ... ورد السيوف التي يحلو بها الأجل
راوح دمشق وغاد اليوم بهجتها ... ويوسف عندها تمثاله مثل
في كفه السيف مرفوع كأن به ... للحرب نارا على الآباد تشتعل
ما كان يوسف إلا رمز تضحية ... وللضحايا دماء ليس تنغسل

* * *

زحزح فلسطين عن يوم الهوان وخذ ... بالثأر إنك أنت المنقذ البطل

* * *

الجندي (١٩٥٥)

الأرض منبتنا ونحن جسومها ... وأديمنا بعد الممات أديمها
ياحفنة الترب المقبّل ثغرها ... كم فيك من شفة يحنّ حميمها
إنّي أرى الأرواح في زهر الربّى ... ويشوقني عبر النسيم نميمها
وعيون ماء روّقتني كأسها ... كانت عيونا في اللحاظ قديمها
ما الموت إلا حادث عبرت به ... الدنيا كريح في الفضاء هزيمها
وكأنما الأرياح آهات الجوى ... يبكي على مر الحياة رحيمها
هذه المنية من يزيج رتاجها ... حتى نرى ما يستفيد كتومها
لولا الأحبة والقلوب وودها ... جفّت مواجدها وضاع غريمها
لكنها الذكرى تؤج بأنفس ... حتى يلفّ الكائنات عميمها
أسليم (يا جنديّ) علم فاتح ... أنجحت حرباً كان منك سليمها
وبلغت شأو الخالدين بسمعة ... حفت بها الدنيا ودام نعيمها
حسدوك وانطر حواو خاب دويّهم ... لما نعمت وللعداة جحيمها
وامّر ما يصمي المكارم عصبة ... طبعة علىالبلوى ولست ألومها
إن كرّموك فبعض ما يكفي العلى ... ولأنت من كلم الرثاء كريمها
قل لي عن الدنيا التي غادرتها: ... ما شأنها وهل استراح مقيمها؟

عصفت بها الأدواء واستشرى لها ... طبع اللئيم وقد أضيع حليمها
ياواحد الفصحى وكنت أمامها ... من بعد يومك سفرها وعليمها؟
لبست بعهدك حلّة محبوكة ... وتنسّم البرء المجير سقيمها
وأطلت وجدك للمعرّة تبتغي ... رهن المحابس واستباك حكيمها
روّيت في أفق الشآم عظامه ... حتى أعيد إلى الوجود رميمها
لم يبق صوبك حاجب فانهد له ... واجمع به قربى عراك وسيمها
من لم يجد عند الحياة خليله ... وافاه من خلف القبور نديمها
يانفحة الذكرى وقد مرت على ... خفق القلوب وماتزال كلومها
كانت ضفاف النيل مسرح خاطري ... أرنو إلى إمسائها وأرومها
حتى أتاني نعي علّام الملا ... فلممت آلامي ورحت أديمها
بردى فديتك جئت دارتك التي ... كم بتّ عند الذكريات أشيمها
وخشيت أرقد في البعاد وشاقني ... مثوى الجدود وفي الشآم قرومها
مرّوا على جدث الحبيبة واذكروا ... أن المدامع ما يغيض نميمها

أستاذي[1] في اليتم أين دفاتري ... ياليته لم ينحسر تعليمها
هاجت لك النجوى وسيلة راحل ... أن الوفاء لأجله تكريمها
واسترجع الماضي مواكب معشر ... حملوا المشاعل لاتغور نجومها

* * *

(١) ألقيت هذه القصيدة بدمشق في غياب قائلها المحاسني بالقاهرة عام ١٩٥٥م.

نهر الدماء

صعاليك، هذا الدرب رجع مسافر
سنابل للهامات انضجن فادهمي
فلا قوت في مجد بغير كواسر
بمنجل حصاد أطاف بمغنم
وبعد طعان اللفظ ليس لمصرع
لعل مسامير الكماة تجيرها
وجود ولا يغري كلام لمدع
معارك للثارات لاح نذيرها

* * *

أأنهار دمع؟ ويل أعين سكبها
أخا السلم، لا سلم وللصّل نّابه
تجنّت هواميها وخابت بحربها
وللأسد المغوار، ماعاش، غابه
أرى المطر المدرار في الصخر شقه
متى دهمتك الحادثات وجلجلت
ولو كان دمعا لم ينل فيه حقه
طبول الردى الفيت أمّك ولولت

* * *

تباعد شأوى عن لزام طلبته
كذاك خلقنا فانزع الشرّ وارمه
ولولا الليالي المعثرات لنلته
على الصخر ينبت قلب شرّ بلحمه
فواتك أحلامي لقومي سلاحها
صراع هي الدنيا بنا أو بغيرنا
ألم يكف ما ضمت عليها بطاحها
مواليد كي تفنى ويعجبها الفنا

* * *

عروبة، ما معنى العروبة؟ مالفدا
نطل على نهر الدماء وننحني
وقد زحمتنا عند دارتنا العدى
لنلقى مرايانا على وجهه السني
إذا لم يثر حماس الرجال سعيرها
نبتنا كأشجار عليه وسوقها
فطاحمة الويلات آت مصيرها
تمص دما كيما تعيش عروقها

* * *

تنمّر يستشري ويوعد بالوغى
إذا دب ماء في عروقي تغيّرت
عدو ولو حطمت جنبيه ما طغى
صفاتي وتلك النازعات تحّورّت
ففك سلاحاً من قيود تزينه
من الدم داء الأرض فهو دواؤها
قعود شجاع عن لقاء يشينه
فروّبه حتى يحين شفاؤها

* * *

عرس العروبة

عرس العروبة في الدنيا غدا عهدا ... ياسامر الحي زودْني الأناشيدا
لاتلمزوا الدهر بعد اليوم إن له ... نصراً يجود به إذ يمنح الجودا
أين العيون من الآباد تنظرنا ... وقد ملأنا مدى الأجواء ترديدا
« ياناصر الله» وافتك المنايا فدى ... إذ حان وعدك أن توفي المواعيدا
ماجزت في الدرب إلا فوق أفئدة ... ولاسمعت الندا إلا زغاريدا
وقفت في الأعين الولهى حقيقتها ... من بعد أحلام يومٍ كان مشهودا
هذا أخوك صلاح الدين مبتسم ... خلف الغيب أنال العهد تجديدا
وكان شبهك سيف الدولة استعرت ... أعداؤه، ما أحال السيف مغمودا
فضمك العرب في أوطانهم مثلاً ... أعلى فزدهم على الأيام تحشيدا

* * *

أراك للشعر الهاما لتنعشه ... فقد براه الهوى أو بات مكدودا
لولا البطولة تذكيه وتنفحه ... بمثل وجهك آثرناه مؤودا
من جندك الشعر والأبطال تعرفه ... فهو الذي ملأ الدنيا أغاريدا
وللفنون تحايا جلّ ملهمها ... كانت على الدهر تستهوي المعاميدا
وللمعارك أوصاف مجلجلة ... الشعر يلبسها الغرّ المناجيدا
وحين يفتقد التاريخ كاتبه ... يبقى لك الشعر إذ يتلى أسانيدا

* * *

يا واحد العرب قد وّحدت أمتها ... من بعد إن كابدت دُهماً مناكيدا
تلك الجراحات أفواه مشكيّة ... بغي العداة تمجّ الظلم محشودا
مشت عليها الليالي السود كالحة ... تحتاج شمسك حتى لحت مرصودا
في كل أرض لهيف أنت طالعه ... ترقب العمر أن يلقاك مسعودا
أرى الأكف وقد سلّت سواعدها ... إليك تبغيك محبوبا ومقصودا
مثل السيوف تريك العزم منبعثا ... رف الهتاف عليها فيك تمجيدا
لو استطاع الثرى أعطى مراقده ... شوقاً إلى نظرة تهتاج ملحودا
فكم شهيد تمنى الموت ينسونه ... حتى يراك ويلقى الله محمودا

* * *

رقّت على بردى الأفراح راقصة ... وشعشع النيل يعلي فيك تغريدا
أرى عداتك تحت الحجب باكية ... أودعت أعينها خسرا وتسهيدا

تأبى العروبة انسابا تواصلها
إذا الفعال نفت عنها المواليدا

هم العبيد أسافوا الذل فاعتزلوا
فكيف تنهض اقنانا عباديدا

«جمال» يا منية التوحيد في غدنا
أضحى لواؤك بالآمال معقودا

حان الخلاص وهبت كل رازحة
خلف الحدود لتلقى الحد مهدودا

على جبينك أكليل العلا ضفرت
أوراقه الخضر كي تزداد تخليدا

دمشق ٦ آذار (مارس) ١٩٥٨
بطولات في جيشنا

حيّ الطولات في جيشي وفي بلدي ... وارع المسائر في الأعداد والعدد
لما مشى الجيش يوم الزحف قلت له ... قلبي حملت وفيه خفقة المدد
يا ليتني كنت جنديا، فواحربي ... بديل أقلامي الرشاش ذو الأيد
وما تنكرت يوماً لليراع ولا.. ... للطرس أفديهما بالروح والولد
أنا الذي كتب الأشعار ضاربة ... وجه العداة بيوم النصر والبدد
ورب شعر تراه كالسلاح مضى ... يصمم الطعن في البلواء والشدد
حييت يوماً عليه القصف معترك ... أصواته تملأ (الجولان) بالرعد
قد دوّخت فيه أبطال فساورة ... جيشا لصهيون أمسى فاقد الرشد
يحصى على الخسر قتلاه واعتدة ... صرعى ينوح عليها يوم ملتحد
قد اشطت فيه طياراته فهوت ... شهبا تمورت ولا تبقى على الأمد

* * *

ما زالت الشام درعاً صان بارئها ... جمالها وعلاها الثابت العمد
فقل لآسادها يا عز موطننا ... ما عزّ موطن قوم دون معتمد

* * *

لبنان والشام

لُبْنان يا مَنْ سَكَنْت القَلبَ والسُّحُبا   أُسْكُبْ كُؤوسك حُبّاً واجْلِها حَبَبَا
هَذي المظَلاتُ في السَّفْح النَّديِّ لَهَا   في خُضْرةَ الرُّوْحِ ظلٌ يُنبتُ الذَّهَبا
على مهاركَ حَبَّاتٌ مُعَلَّقةٌ   جَاءَتْ مِن الخُلّدِ تَحتلُّ الدُّنى طَرَبَا
يا غاسِلَ القَدمِ، الممراحِ صَاحبُها   في البحرِ، أَمْعَنْتَ في سِحْرِ الهَوى طَلَباً
الفَنُّ عادَ بوحي منكَ مُلْهِمُهُ   فَكُنْتَ « أولِمبَ» شِعر يَنْفَحُ العَربا
الشَّام داري ولكنَّ الفُؤادَ أتى   لبنانَ يقطفُ مِنْهُ زَهرةً عَجَبَا
والشام أُخْتٌ لِلُبنانَ الحَبيبِ هُما   في تَوءِمِ المَجْدِ خَطَّا في العُلى كُتُبا
فَاشْربْ نخبيهما وَارْفع يَديكَ إلى   ربِّ السَّماوات أن يبقيهما حُقُبا
مَجْدانِ في الأمَّةِ العَرْبَاءِ نَبْعُهُمَا   غِرُّ الزَّمانِ وَرِيٌّ لِلَّذي شَرِبَا

* * *

الرجوع إلى النيل

ماذا تركت من الهوى لفؤادي		من بعد تسهادي وطول ودادي
خل التواصل للأحبة كلهم		كان الهوى أقوى على الأبعاد
خالفت في أهل الصبابة حكمهم		فهمو أداوا الحب في الآحاد
لكني أُبقى الغرام (شراكة)		فاحمل معي عبء الهوى المنآد
كل يحب الشمس فاسكب ضوؤها		في العين والأضلاع والأكباد

* * *

إنَّا نزلنا مصر، لا في زورة		محسوبة الأيام والميعاد
فسل الزمان يجبك، هذي دارنا		أيام كان الفتح بالأجداد
فإذا عشقنا أرضها وسماءها		وهفا النخيل بنا على الآباد
فلقد رأيناها مرايا عزنا		عكست دمشق وملتقى بغداد
فاعذر حبيبك أن أتاك مكاثرا		يحدوه نحوك باشتياق حادي
خلق الجميل لكي يحب ويشتهي		ويقول من يلقاه ذاك مرادي

* * *

يامصر يا بنت الخلود جديدة		وقديمة يا كعبة القصاد
هذي وفود الشام أقبل جمعها		ليراك بين مطارف الأبراد
مهد الكنانة أنت بل دار الندى		شهد الوفاء عليك هذا النادي
فأعجب بكل معلم من أهله		نذر الحياة لحكمة وسداد
واشرب كؤوس من رحيق نيله		يشفي من الأدواء والأحقاد
وإذا رجعت إليه يوماً مثلما		رجع الطيور صدى إلى الأوراد
فقل الذي أسكرتموه بنيلكم		أنتم كتبتم عوده لمعاد

* * *

الوجدانيات والتأملات

لهفة المستغيث

أراك في القلب وياليتني ... أراك بالعينين مرأى العيان

وآخذ الألفاظ من عمقها ... فلا تؤدي عنك ظل البيان

ياجوهر الغيب وعون الملا ... سامح مؤالا لم يقله الجبان

من أنت؟ بل فيم خلقت الورى ... تسقيهم بالموت كأس الهوان

وبعد موت الموت ترمي بهم ... في جاحم يهتاج أو في الجنان

أبو العلا عيّ فقال التقى أجدى ... وبالحكمة صان اللسان

وعذب الخيام أفكاره فيك ... فداواها ببنت الدنان

يا واسع الغفران كم مذنب ... يمضي إلى الآثام مرخي العنان

أنا الضعيف المشتكي همه ... وأنت ذو القوة والمستعان

حرمتني المحبوب(١) في ميعتي ... أبكيه في حرقة كل آن

لا كانت الدار التي أقفرت منه ... ولا يوم النوى منه كان

---

(١) هي أم الشاعر المحاسني، توفيت عام ١٩٣٣م.

ميكيل آنج والمتنبي

سألوه كيف استطعت بديعا قال هذا المنقاش سرّ البديع
أنحت الصخر من تماثيل فكري مثل من أيقظ الدّنى في ضجيع
هي كانت في جوفه نائمات أزل صاغ عهدها بمنيع

وهي لولاي راقدات سبات رهن آبادها بغير رجوع
مثلما تكشف الغطاء عن النائم زحزتها عن التهجيع
ويك (آنجيل) قد ملكت من المرمر روحا في كل فن رفيع

جئت (فينيس) كي أراك (بين مرك) والمسجو إلى نداك الشفيع[1]

وحضنت المسيح يهبط من صلب بجنب العذارء ذات الهلوع
ذاك تمثال (رحمة) أبد الدهر يسحّ البكا بحمر دموع
وتمرست بالتلاوين حتى زدت فيها معابدا بخشوع
وتسجّيت في الشهور على الظّهر لتعطي السقوف سحر الصنيع
خالدا عشت في الزمان بلا موت وكان الممات شأن الرفيع
أنت أشبهت في العلى (المتنبي) (في مفنّ) تلقاه خير ضريع

كان تصويره كسحر التلاوين بحرف له سميع مطيع
وعمري الأقلام ذات ابتداع مثل ريش الرّسام في التبديع
يا أبا الطيّب الذي وصف الحرب سجالا في الطعن والترويع
أنت صورت معركات عيانا تتنزى أبطالها بجموع
مشهد للوغي، كأن عليه سيما العصر، مائج بالدروع
تلك هيجاء بالدماء لسيف الدولة الندب عند ألف صريع
زلزلت دونها بزنطة بالحتف وراحت تسقي الردى بالنجيع
والمنايا مواثب (بحيرات) لديها الصفوف ذات جزوع

* * *

أيه انجيليو) لنا (المتنبي) ناحِتَ الشّعر عبقريّ النّزع
في تماثيله الحياة (كغالاتي) التي حركت بحسّ الضلوع

---

(١) في كنيسة (سان ماركو) الكبرى بمدينة (فينيس) ذات المشارع المائية السابية تمثال لميخائيل آنجيلو، وضع فيه نفسه وهو يحتضن المسيح بعد صلبه والعذراء ولهى بجانبه وقد سمى آنجيل تمثاله هذا (الرحمة).

صورتان

أيا صورة منسية وهي في نفسي   أعاودها مازلت أصبح أو أمسي
مددت إلى الأوراق كفى وعهدها   قديم كأني كنت أعهدها أمس
تلمستها مثل الذي نال ضائعا   ولم أدر أن الكهرباء لدى اللمس
رجفت واصماني من الحزن سكتة   بقيت لها حينا كأني من الحرس
بكيت على تلك المجاثم في الثرى   وعهدي بها كالورد رفافة الغرس
فيا طول ذاك النأى ما منك رجعة   وهل يرجعن الدهر ميتاً من الرس
أقبل منك الرسم وهو بقية   كما قنع الصديان من ثملة الكأس

* * *

علامَ التجافي ياحبيبي وإنما   خلقنا لكي نحيا اليفين في أنس
فوالله مهما عشت لست ببائع   هواك ولو أمعنت بيعي في بخس
سيبدلنا الله الرحيم بكوكب   من السعد إن نحن اصطبرنا على نحس
لو أن المنى حقت لجرنا مع الهوى   إلى مطلع الأفلاك حتى مدى الشمس
تعالي أمثل فيك رسما مجددا   لصورة محبوب تصور في حس
وأعبد فيك الطهر والحب والوفا   كما تعبد الأوثان في الهيكل المقدس
يسبح في نجواك بي كل خافق   فإن قلت ختال فها كبدي جس
إذا شئت بيضت الحياة بمنظري   وخليت لي دنياي ترقص كالعرس

* * *

أربعة

أن عين مانطفا
ضوؤها الباقي

ليس لي غيرك في
هذه الدنيا

بعدها خمري غفا
في يد الساقي

في شقائي هل تفي
كيفما نحيا

آه لو يدري الهوى
ما بأيدينا

رب نطام لغا
وانتقى سيري

علمه فيما روى
كان يروينا

هو يوم قد بغى
نغمة الطير

* * *

إعجاب واعتزاز

كان تيجانكم لدى الروم غاراً فوق جبهات طلعة شقراء

ولدى العرب كان لوثُ العمامات أكاليل جبهة سمراء
ويح هومير منه بدء الأناشيد وخلد الإلياذة الغراء
وسلاماً على امرئ القيس إذ راح أمير القصيدة العصماء

يابناة الأبيات صوغ القوافي صنعة الملهمين والشعراء
نمنموا صفحة الحياة قصيداً كبتوها من ضحكة وبكاء

صوروا الهزل والمزاح وسلوى الهم والركض في مراح الغناء

ولقا الوالهين والعذل غاف وهناهم في الليلة القمراء
ومجوناً حامت عليه الندامى مترعين الكؤوس بالصهباء
واختلاس الهوى من العمر لما فات والخوف من دبيب الفناء
وخفوق المعاصم البيض لُدْناً بأساوير سابيات الرواء
واكتناف الغنى وشح الأشحاء وطبع اللئام والبخلاء

وصفوا اليتم والمساكين والهلكى ابتئاساً ولقمة الفقراء

والغريب المضاع يشكو ويبكي والتياع الثكلى بغير عزاء

والقلوب التي شواها غرام والمعاميد من ضحايا النساء
رسموا زهرة الأقاح على الثغر فشهَّوا تقبيلة الحسناء
شبهوا الشَّعر بالدجى فوق بدر ولحاظ الفتون لحظ الظباء
وأعانوا على الصبابة والشهد فكانوا بلاسم الأدواء

مدحوا الحاتمين بالجود فازدان عطاء السخاء بالكرماء

وبكوا بالقريض كل شريف عاش حراً يعيا على الأدنياء

* * *

حواء

في جنة الخلد بين الزهر والماء أفعى، تلوح لحواء باغراء
لم يدر رضوان كيف الباب أدخلها وكان يحذرها كالحذر للداء
أتت كما يحضر العطر الشذى فلا تصدر رياه في حجب واغطاء
قالت – أحواء مملول بقاك هنا أكل وشرب ولهو صنعة الشاء
فلو تطلبن أن الأرض دار هوى يقول ساكنها عدت لأحياء
لها صباح كتقبيل على شفة وكالتواصل فيها حلو اساء
فأهتز في الغادة الأولى جوانحها وأدرجت في ألاعيب وإغواء
هوت إلى الأرض لا يمحى لها خطا صبت على الخلق منه سوط بلواء
خبث النساء من الأفعى التي غبرت فهن أمثالها في كل نكراء
لمس يلين ولكن فيه معطبة ومهلك الجسم في بسم وأغضاء
وللعذارى سجايا الثيبات فكم حسبت منهن بنتا غير عذراء
لو يخبر السيل عن كيد النساء لما هفت خواطرنا دهر الغيداء
ماذا أقول ولى منهن واحدة خذني على العمر في نعمي وبأساء
لولا الرعابيب لم تحل الحياة ولا كانت عليها صبابات الأحباء
ونحن أسرى ملذات النساء وقد نثور فيهن ثورات الأرقاء

* * *

الصديقة

لا تحبيني وكوني
لي في الدنيا صديقة
يذهب الحب وأبقى
لك في الدنيا شقيقه

إن حرمت الأخت كوني
أنت أختي وتصيري
لم أجد غيرك يأسو
الجرح في اليوم العسير

نحن في الحب فراش
وهوانا مثل شمعه
تنطفي يوماً وتبقى
في خبايا النفس لوعه
أحرقتنا فغدونا
في الهوى نهتاج دمعه

ربما جئتك يوما
حاملاً عبء الهموم
فطرقت الباب أبغي
رحمة القلب الرحيم
لا أنادي ياحبيبي
بل أنادي ياحميمي

* * *

الأقلام السامة

اكسر يمينك لا تمسك بها قلما أنت اللئيم الذي صاغ الردى كلما
قد أقسم الله بالأقلام يحفظها في كل سطر فخنت العهد والقسما
فم البعوض على شق كتبت به كلاكما من نقيع الآسنات نما
أرى الخليقة في – اسطورة– نتجت بعض البهيمة لم أعرف لها حكما
هذا يعادي وفي أنيابه شغف للغس لكن إذا أطعمته رغما
وذاك حلّ يفح السم ملتويا ما يسم الروض حتى ردّى حمما
يا نقمة الجهل من فضل ومعرفة سؤاك بالذنب من ساواك واحتكما
وناسج تنسخ الأيام حرفته شاء السمو فنال نخفض حين سما
صوغ المهازيل ما يختط مغربه فعدوا هشش به غنما
يا نابح القمر الوهاج مطلعه الصوت ضاع وظل البدر محتدما

* * *

سررت كالنهر فياضاً ومعتدلا أروي الضفاف ولا أبغي بها نقما
تصبو إلى مشربي الأغصان حانية فيلثم الماء منه الزهر ملتهما
ما حيلتي عند أعشاب موسوسة تلعّب الشوك فيها والتراب طما

* * *

دقات قلبي

قلبي يدق بإلحاح على صدري
كأنه اليد تبغي الفتح في الأسر

الباب أُغلق لا مفتاحُ ملك يدي
ولست سجّانه والعذر لا عذري

قد كان عصفوره غنى على فنني
عصر الشباب وأنى طار؟ لا أدري؟

لم يُرضه قفص يحويه من ذهب
وما أطاق حياة النهى والأمر

نهر على العمر يجري في تدفقه
دَمي، فما شأنه طول المدى يجري

النهر راح بلا عَودٍ بلا مللٍ
ماءتتابع عبر السهل للبحر

تمر أحبابه حسرى مُفكِرة
لا عشب في الضعّة اليسرى على النهر

أنام علَّ دوياً منه يهجرني
على الوسادة فألقى الصوت في سري

وأحسب الحلم يسليني ويبعدني
وكم تنبهت والأنفاس في ذعر

إن لطّخوا القلب بالآلام جئت به
إلى الجحيم أُزيل الهم بالطهر

فقال دنتي لفرجيل: يطارحنا؟
أما كفاه المعرّي لعبة الدهر

لديه في الجنة لغناء محشرها
وكوثر بالجنى المعسول يستمري

للشّعر قلب وعذب الفن خفقته
دلُ الأنام عليه وانتظر دوري

« سعيد ياعقل ياروح الشعور فتى
قد كنت أسطورة في خاطر الشعر

حتى تمثلت في العرباء مُنيتها
حقيقة سطعت في هبَّة العصر

صوت من قبل الوجود

سمعت صوتك من قبل الوجود، ندا ... روح لروح على الآفاق يغريه
فرحت أبحث في الآفاق أنشده ... وأسأل الريح هل راحت بواديه
فقيل جاء إلى الدنيا غناك، دوا ... أهل الغناء يتحيوا في تجليه
فعذت بالمبدع الآداب يبعثني ... إلى هواك لأحيا فينة فيه
أتيت أرضك لا وعد ولا خبر ... يضم شمل حبيب عند أهليه
ألوذ بالصوت في الأصباح أنشقه ... وفي ظلال المسا المذياع يحكيه
أنس الليالي وفرحات الضحى نغم ... من عالم الخلد عنك الحب يرويه
ظوامئ السمع عطشى أنت نفحتها ... نهر من الحب يسقينا ونسقيه
صاح الهزار وهل يدري بحنجرة ... كانت له منك في الأغصان تشفيه يبقى
من طينة الحب قلبي كان منتفضاً ... الهوى بعدنا موروث حاميه
أوحيت شجوى في يوم الإياب، وما ... يبلي الجسوم عصيّ النفس يعييه
إذا انفصلنا بدنيانا فمرجعنا ... في لاحق الوجد مثل البدء نبديه
تروي الأساطير أنّ الفون حين شدا ... وداعب الناي بين السحر واليه (١)
مالت على كفه الأشجار ماسة ... أوراقها وبنجواها تناجيه
يابلبل النفس غني كالمجنون لنا ... حتى يذوب من الخفاق باقيه
على رفيف الليالي لمع أنجمنا ... يفنى الزمان بنا أو نحن نفنيه

* * *

الأذن تعشق

سمعتها في رخيم اللحن ترويه وتسكب البحر يغريها وتغريه
رفاقه تترك الألبابَ شاردةً في جوف ليل تناجينا غوانيه
السمع هبَّ كمجنونٍ يلاحقها يهيم في الأفق لا الأنظار تأتيه
ولا الخواطر في جنح الخيال لها وسيلة للهوى تحنو فتؤويه
على الأثير تلاوينٌ تلاعبه فتبصر الأذن ما الأفكار تخفيه
فهل عليَّ لدى المحبوب من حرج إن بت أهوى كلاما فاح من فيه
صوفية الفن لا حد يقيدها في شطحها غرق لا السبح ينجيه
وما المراكب فوق البحر تنجده وربما جنت الأسماك تفنيه
(سيرين) نحوك أذني شوق مسمعها (كعولس) أنا والأقدار تعنيه
في غنة اللفظ ترحال النشيد إلى دنيا التهاويل حين الصوت يحييه
لو قلت آه لماج النجم من طرب بغمز ألحاظه حلوا تناغيه
تفنى البشاشة أما جئت تظلمها بالكبت والحر لا يعنو لعاديه
يامن شغفنا به والليل معتكر لايدرك الحب إلا في معانيه
يكرس الرقص تفنيناً ويمزجه بالوصف حتى يكاد الحس يبديه
على أصابع رجل خفق هفهفة ترف كالطير في أحلى مجاليه
بيض التجرد مكحولات أجفنها يميد شيطانها حتى تلاقيه

فترفع الساق نحو الرأس لاعبة وتسفح الشعر في سكب ترويه
حي الخيال الذي ينساب جامحه في ليلة الشوق فالدنيا تحييه
نخاف يفلت من بين الجفون ولا نشاء حبسا له فالحبس يؤذيه
حطي على القلب ما قد شئت من ولهٍ فقد تمرس بالآلام ماضيه
أنا الذي زحزح الأحزان مبسمه وراح يضحك في أقسى مباكيه
هذه الحياة لها وجهان فالتمسي عذرا لمحياي فالآمال تبقية
ما جف قلبي من حب ولاولع رغم السنين التي بالبعد تطويه
يخضر عودي على نفح الغرام وما وجدي يذوب ولا تفنى غواديه
والعيش بسمة محبوب تواصله ولو بأحلامنا والوهم يكفيه
عصفورتي غردي فالعمر منصرم والصوت يخلد في أسمى أعاليه
سكنت سمعي فلا والله ما عرفت جوارحي منك إلا ما أناجيه
هاروتان وماروت أنا ولنا ليل على السحر بالأنغام نحييه

* * *

الله نبع المحبة
(فيروز)

صوفية الحب أصفى
فاجعل عليها المحبّة

أرى الصداقة أبقى
عهدا وأعذاب شربه

فاترك غراما وعشقا
قد يأتيان بسبّه

إن المحبين راحوا
وأشبعوا نوم تربه

عاشوا عذابا وضلوا
والدهر ضيّع دربه

دع الهوى والتصابي
فالقلب قد خاض حربه

رأى التقلب يترى
والصب قد خان صبّه

الحب يفنى ويبقى
ودّ تعبّد ربّه

فاشرب من الصفو كأسا
فالله نبع المحبة

١١/ ١١/ ١٩٧١

* * *

الصداقة

لا يدوم الحب لكن الصداقات تدومُ
وشقاء الحب يُفنينا وتطوينا الهمومُ
نحنُ فيه كالفراشات على النار تحومُ

وذوّب بنا الجسومُ   وإذا الأيام راحتْ
عندنا منه الكلومُ   ذهبَ الحب وظلت

الهوى داءٌ ولا يشفي بلا باه الطبيبُ
والهوى روحُ وكم عاش بلا روحٍ حبيبُ
والهوى سفرة مكدودٍ أضاعته الدروبُ
يا صديقي، يا شقيق العمر تفديك القُلوبُ
ذهبَ الحُبُّ مع الريح وأفناه الهبُوبُ

٣١/ آذار ١٩٥٩

* * *

قصيدة للزهراء

غاب الحبيب وضمه الوهمُ ... وانتابني من بعد الحلمُ
ويحَ الحقيقة كيف المها ... وتلفها ظلماتها الدُهْمُ
انكرتُ إحساسي وما جلبت ... ما نظرتي والذوق والفهم
ونسجت لي دنيا مجددة ... ما مسها حي ولا ظلم
دع يا حبيبي كل جانحة ... تهوى هواك يصيبها السهم
الشوق ما أحبت لواعجه ... والسهد فات أهله ومسوّا
وخلت رياض من عنادلها ... لا زهرَ لا نَسَمٌ ولا شمُّ

يا عقل يا صحراء، ما صنعت ... جدواك حتى غالها العلْمُ
جففت أحلامي فخاطرتي ... شوك وملء مشاعري غمُّ
سقط القياس فلا أعاونه– ... إلا وطوع بنانيَ الحُكَمُ
ورَعيْتُ عزالي بما نصحوا ... فأصابهم ببلائهم هَمّ
لا تعتقد بالحب، كاهِشُهُ ... أدري، وبيض حظوظه سُحُمُ
مارست الأعوام واندثرت ... أعمارهُ فكأنه يومُ
صفة الطبيعة في الغرام، فإن ... جاء الشتاء أصابه الغَيْمُ

* * *

نمنمت أوتاري على طربي ... في سجن روحي والنوى غُرْمُ
وانساب قيثاري يهدهدني ... حتى تعايا اللحن والعزم
لي وقفة عند الشطوط ولي ... فوق الوهاد معارج تسمو
عصر الفضاء يهيج شاعرتي– ... الزهراء حين يزفها النجم
نحن الذين غزوا عوالمها ... من غير أن يجتاحهم ذمّ
طفنا بها تأوى لعاشقة ... في الأرض كان يصونها عمّ
غمزت على الأبعاد تجذبنا ... والليل في أمواجه يطمو

* * *

الشاردة

يا نغمة عاشت بي مع النغم طواني مع الفكر في الأغوار والقمم
وإن رأيت حبيبي فاسكبي شغفي وبلغيه الذي ألقى من الألم
غداً إذا نسي العشاق رحت أنا أهفو إليه ولو كنا من الرمم
يا ناسي العهد إن يجمع بنا زمن نرجع لعهد الهوى في سالف الذمم

* * *

أنشدتها من أعاصير الهوى العاتي رددتها عند إصباحي وإمسائي
أسارت مدى الجو حتى قلت ليت لها يداً بحملي إلى أفاق غاياتي
يا حامل الحب عبئاً طول عيشته وطاوي العمر في نوح وأنات
اذهب مع الريح أنّى سار كل هوى انسى الشقيين في أثر الشقيات

آذار ١٩٤٣

* * *

مناجاة من الأودية

هاتي الخشوع ورمّمي قلبي حتى أجدد في الهوى حبي
هو قد جفا حتى ظننت به بغضي، فقلت جفاؤه حسبي
تتزاحم الأرواح جاهدة وتغذ في ملكوته الرحب
تهفو إلى أمواه رحمته لتزيل عنها ربقة الترب
فيها قذى لو أنها غسلت بالبحر ما خلصت من الكرب
أو طافت الأفلاك طامعه لطغت على وقادة الشهب
قد جررت فتن الذنوب وما شبعت وجاءت غافر الذنب
إن أمحلت جنائنها ركضت لتبيع محل العمر بالخصب
قالت غنائم ربنا كثرت فتبادرت للنهب والسلب
كل أعد لنفسه مرحا بعد النشور وهمَّ في الدرب
تلك القصور كأن ساكنها رفت مشارفه على السحب
تهمي الموارد في مساربها لتجود للهفان بالسكب
يا ناهلاً منك الظما رميت تلك اللهاة بمشرب عذب
أو ما كفى دنياك أكؤسها حتى استزدت النبع بالعبّ
في ليلة الأقدار مئذنة رفعتك كي تمسي على قرب
لما ابتردت غفوت في حلم بملائك نادتك في الركب
فدعوت ربي هات غانية من حور عينك تستبي لبي
فهوت عليك غلائل عطرت فأخذتها باللين والجذب
ودنا المؤذن فجر صيحته فأكب يسمع ناسك الكذب
فإذا يطوق يدٍ تعانقه وبقبلة تدعو إلى الضرب
ديان تجفوني ولي شغف مهما تزد أزدد من الحب

منتصف أيلول ١٩٦٤

* * *

خطرات على صيفي

وجم الجو فهو أغبر قاتم   لاهث الأفق والرياح سمائم

لا تعجل لي العذاب بدنياي   فتصلي جسمي بلفحة جاحم

كأن شرط الحياة بيني وبين الحشر تأخير يومي المتلاطم

لو عرفت العقبى الجحود للملمت ذنوبي وجئتها غير آثم

كنت عند الربيع مثل غني   لم يفكر بيوم فقر مداهم

ثمراتي على الربيع لها قطف   وزهري في طلعة الصبح فاغم

فتمتعت بالنسيم   وبالزهر في ظلال الحمائم

وضفاف الأنهار روّت شرابي   وشبابي، بكل ريان دائم

وحسبت الربيع دوم الرياحين   وأنسيت عمري المتزاحم

وأتى الصيف لافحاً يُنْضج الأثمار لكن يغل مني العزائم

من حصادي همّ وكثرة حصاد   فهذا صيفي وهذي الغنائم

إن يخاصم تموز آذار في الدهر فما شأننا بأحكام ظالم

لو ملكنا سر الشهور أدرنا   كل يوم كما تشاء المواسم

صوحتني لوافح الحر فالجسم مذاب واللحظ في شبه نائم

واشتكى النهر والظلال أفاءت   ككريم لم يبق من أهل حاتم

فأوينا إلى ظلال الحضارات بجو مبرد متراحم

جنة في الجحيم يحلو لقاها   عندها البرد والشراب الملائم

أسقني الذوب منّ نُميز محلّى   شبم في الحلوق خمر لزاعم

لا تشق الأبواب عنّى فتيار وقود من دون بأبي هاجم

أذنب الليل مثل طفل فلا تبغ حسابا والطفل عندك باغم

أترى الأنجم اللامع حريّ   مثل قلبي على الذجنّ الفاحم

والأساطير ليتها ساعفتني   فأرى نجمتي تلوح لحالم

يا حبيباً ينأى به الصيف عنى   كم أناجيه مثل تحنان واهم

هو في خالد الربيع وحسبي   عند صيفي ذكراه والقلب هائم

هو برد الظلال وهو نسيمي   جنتي في هواه والصيف راغم

* * *

تجرد الروح

يا مديرَ السلوان أين سُلافي كان أوفى لوجدتَ بالإنصافِ
قِسمةٌ ألقيتْ إليّ وهذي حلوة أستعيرُها لزعاف
يُمزج الحزنُ بالسرور فيمسي سائغاً فابغني المزاج المعافي
لو كرعتُ الأنهار ما انطفأ الشجوُ وهل للهوى المشتت شاف
أقتلُ الحبِّ أن تكاتم فيه وترى النجم دونه في المطاف
بسماتٌ كلمحة الخلد مرت في خيالي موّاجة الأطياف
قال للنيربين قلبي خلّفتُ على الجانب القريب شغافي
بعضُ صبحٍ ليلٌ، وهل كان عمري غيَرُ نور يغيب في الأسداف

* * *

يا ابن دنيايَ كلنا نتساوي لؤلؤاً صافياً مع الأصداف،
يومَ يفني بغيُ البغاة ويبقى الخبر قِسمَ الدناة والأشراف
اسأل النجم في الثرى وأخاه في السماوات عن هدى العرّاف
نحن صرعى الظنون في اليمّ فاضرب حيثما شئتَ وارمِ بالمجذاف
لا حبيبٌ وفي، فلملم بعداً أو صدودٌ أقل في الإسراف
كان سرحُ الخيال أدنى فدعه يتمثلْ وجهَ الحبيب المحافي
ملء عينيكِ لمعةٌ كان فيها عالم الشعر في المدى الشفاف
ما السهوبُ التي تدوي ولا الأجواز حالت دون الشعاع الموافي
عند تفحِ الربيع حسبي أني أبتغي زهرهُ بغير قطاف

* * *

أكرِمِ الروحَ بالتجرّد حتى تتهادى بثوبها الهفاف
كفقير الهنود رقّ هياماً فتجلى لعينه كل خاف

* * *

على مجر بشر

١

هات حدث مدى الحِقب
ضاع دهري فيا شجن
كل أرض بها حَزَن
حدثت عن أبي لهب

٢

راح وحيي فمن طربي؟
مِن دماءٍ جداولها
غوص دنياك نآهلها
جن شعري فواخز بي

٣

لمع سيف من الشُهُبِ
كان إلهام مَنْ شعروا
عندما في الردى سدروا
ليت أني بهم سببي

٤

قد كتبنا من اللعبِ
من خيالٍ يراودنا
عن حبيب يعاندنا
سيرة الشعر في الأدبِ

٥

وسوست لي على كذبِ
وهمةٌ لا تعي أملي
غادرتني على طللِ
والصبا ركضُ نتهب

٦

دع دنائي لمنسكبِ
مِن غدي لست أشربها
قاحلاً كان أخصبها
مثل ضِحْكاتِ منتحب

٧

ضل شعري عن الحَبَبِ
والندامى ذود فَنَدِ
أفعموا الشعر بالزّبدِ
موهوا زائف الذهبِ

٨

أين (هومير) في العَرِبِ
منعش المجد مِن رِقمِ
كي نرى في ذُرى الأمَمِ
لا هوى وابنةَ العنَبِ

تموز ١٩٤٣

* * *

صوفية الفن

ما لعينك تسموان إلى الجو كطير لم يلق في الجو حدا

تبيت الدجى كأنك شبح خافق في ظلامه ليس يهدا

شده الناس من لغات فظنونك سليبا في جاحم تتردى

ورآك الحبيب تدلف سهوان فبكّى وراح يلطم خدا

أنظر الغيب في مداه فلا تملك عيني عن وجهه الحلو ردا

أسمع اللحن خلفه فأراني هالكا من صداى أبصرت وردا

وإذا لفني الظلام ترنّحـ ت على عطفه وقد نمت سهدا

أن يقولوا اني جننت فأنا قد فقدت بالعقل رشدا

والجميل الذي تحسر لوكا ن حبيبا لصار لي اليوم ندا

أنا روح خرجت منّي إلى الأفق البعيد البعيد قد عفت قدا

طفت فوق الربى على الزهر احنو وتخذت الغمائم البيض مهدا

وهفا بي إلى الجمال خيال فتراءى فما وعينا ونهدا

والصباح الندّى عطر أنفا سي وكانت لي العشيات أندى

أيها الفن ما تقربت من علـ ياك إلا وازددت بالقرب بعدا

أنا أهواك في السما وفي الأر ض وأسعى إليك ما استطعت جهدا

* * *

دربي

يا حبيب الروح قل لي أين دربي
في مهاد الغيب أو في الأرض دربي
منذ فتحت العين قالت لي أمي
يا يتمي أنت في حبه قلبي
أنت يا أماه وضحت سبيلي
ومضينا نطلب العيش ونمشي
نحو آفاق عليها نار حرب

* * *

أين يا أماه أبصرت مصيري
فلقد ودعتني عند البكور
سفرة ما طال في العمر مداها
ثم عرجت على دار القبور
سرت وحدي وانطفا بعدك ضوئي
يا رفيقا كان في كفيه نوري
كلما طال أضناني طريقي
قلت يا ركبان من أين مروري

* * *

يا حبيبي لي في عينيك دنيا
وظلال عند هدب وسحب
درب دهري لم أضع فيه ولكن
ضعت في عينيك إذ حدقت فيا
ههنا دربي فدليني عليه
قد يؤدي بي إلى نجم الثريا
لا تلومني على صنع هيامي
ليس مقدور الهوى صنع يديا

* * *

مثلما ينبت عشب في البراري
ثم تسفيه رياح في القفار

جئت دنياي فلا أدري سبيلي
مثل فلك شاقة لمح المنار
أترى لو كنت طيراً فوق غصن

* * *

عرس الشعر

يا راوي الشعر كم رويت ظمآنا   وكم تركت الهوى بالود يلقانا
نحن الذين على الإلهام قد فطروا   ما بال إلهامنا قد بات حيرانا
نمد طرف الأماني نجتلو حجبا   للغيب تنفحنا بالشعر ريانا
فأين عهدك يا طائي من ملأ   عافوا البيان وزادوا فيه هجرانا
وأين من يحتر من عاد يسمعنا   من وحي عبقر إيدانا وتبيانا
من لي من التنبي عفو خاطره   أعطى قصائده في الحرب حرانا
وأرجع الدهر في شرح الصبا لأرى   دنيا من الشعر وماجت فيه ألحانا

* * *

الشعب بالأدب الخلاق نصرته   كما روى الماء عند الدهر بستانا
والشعر حق على شعب له مدد   من مجده وحوى التاريخ ديوانا
وخاطرت المعالي في شوامخها   الشعر يمنحها روحاً وريحاناً
آمنت بالشعر شوقيا مطالعه   أهل مبسمه يهتاج تحنانا
هذا العزيز الذي قد رد رونقه   وحاز درته العصاء فما زدانا
وكنت أندب حظ الفن أحسبه   من بعد شوقي سيبقى العمر أسيانا
تصلو شكايته من فتية عيشوا   بحسنه وأروه الضيم أفتانا
يمزقون قصيدا رحت أحسبها   نثرا وما هي في نثر لانا
لولا الحماة على الفصحى وهم رفدوا   حر الكلام لما أيقظت وسنانا
ولبيان على الآباد حارسه   باق على الدهر في الآيات قرآنا

* * *

حي العروبة في إخلاص شاعرها   من كان في نكبات العرب يقظانا
خلف البحار تغني باسم عزتها   وأرسل الصيحة الروعاء مرنانا
إذا سمحت إلى ناياته حليت   منك اللباب إلى أن بت سكرانا
وإن أصخّت إلى أوصافه رقصت   لك التهاويل حتى شمت أكوانا
وإن رغت لك في روع حماسته   حسبت أن جحيما فح نيرانا
يا شاعري، قروي أتيت من جهل   ينزل الوحي كالأولب هتانا
أنت البوادي التي مرت بخضرتها   على خيالك خلايا ومقتانا
بك النسيم من التصوير في حلم   يأتي الصنوبر من لبنان هيمانا
رأيت شعرك قد هاجت بلابله   يا من رآى عندليبا حل أغصانا

وراع وصفك حتى كدت ألمسه فهل صبغت حروف اللفظ ألوانا
وأنكرت وحي شياطين مزمزة تطيف بالوهم والوسواس جنانا
لكنما وحينا الربات سابيه تبدو على فنها المطبوع إنسانا

* * *

الشعر والقوم كم نافحت دونهما حتى غدوت على العرباء إعلانا
وراح ناس من التجار قد جعلوا هوى العروبة للأحزاب أثمانا
قل للألي تاجروا بالعهد إنكمو من العباديد لم تولوه إحسانا
أرى العروبة والإسلام واحدة منها إلى زحمات المجد مغدانا
غنَّى بنا الدهر في ترداد ملحمة وبالكواكب يوم الفخر حيانا

* * *

يا مصر يا دارة الخلد التي وقفت تطاول الدهر والتاريخ أزمانا
أنت الملاذ لا حرار إذا سلبت أوطانهم وجدوا لقياك أوطانا
أرض الكنانة بل أرض العروبة يا خير الزمان الذي بالبشر وافانا

رقت على نيلك الفينان خاطرتي فاطلعتني على ناديك قينانا
هاتي الكؤوس نعب الحب من بردى والنيل ممزوجة بالمجد دنيانا
وللنخيل ظلال طاف ساحرها على الندامى فبات الروض نشوانا
سرب النخيل أم الغيد التي انسدلت منها الضفائر، قد حلين شطآنا؟

* * *

سل قومنا عن مدى الثورات في دمه ما أن رآى الضيم حتى هب بركانا
لنا مع البغي يوم راع موعده في مصر والشام يملأ الأرض أرنانا
يا شوكة في يد الضرغام آن له بأن يسلك ما أصررت أمعانا
نصر من الله معقود بجبهته قد خطه الله للتوفيق عنوانا
في وحدة ستضم العرب أجمعها فيم الخصام وكان العرب إخوانا

* * *

حلما لمحت وراء الجفن عزتها وأن ترى حرة تسمو بها شانا
حتى تبدت لدى العليا حقيقتها فاملاء على عزها ما شئت أجفانا

* * *

هات الليالي التي أعطتك أنجمها		أبهى قوافيك أفكاراً وأوزانا
من يصنع الشعر يبضن المجد في وطن		كان الخلود له بالشعر إيذانا

القاهرة ١٣ فبراير شباط ١٩٦٠

* * *

العام الجديد

كيف انضو في العمر أقوابَ عامي		وشهوري لم تُبلِها أيامي

لا أريد المعادَ من مطلع الشمس إذا شارف الغُروب أمامي

حملتني إلى الحياة رياحٌ		سافياتُ المصير بالأقوامِ
فنسجتُ الأصباحَ عبر الأماسي		مثلَ نبتٍ قد أطلعته الموامي
يا أحبَّاي أينَ مِنِّي وجوه		عوَّدتني تحنانَها بابتسام
في مَسَار الإنسانِ ألف طريق		مَنْ دليلي إلى سبيل المَرامِ
أيها العامُ هل حسرت قِناعاً		لأرى الوْجه منك خلف اللثامِ
ما غدٌ؟ ألفُ سائلٍ يتمنَّى		أن يراه على مشفٍّ الظلامِ
ملأ الأرضَ عامُنا بالضحايا		وانغماس العتاة في الآثامِ
وتلظَّت عليه أحرارُ قومٍ		ما ابتلوْا فيه غير خفْرِ الذِّمامِ

يا شعوب الفِداء آن لك النصرُ وقد عزَّ في اندحار الأنامِ

كل صِقْعٍ عليه بلوى عراك		تتشهي طلوعَ صبْح السَّلام

شغِلَ البيضُ في مقاتلة السود وما الذنبُ عند أولادِ حامِ
فاغسلي عامنا الجديدَ أيا أقدارُ في مُسْتَحَمِّ ماءِ الوِئامِ

وانْضحيه بالعِطْرِ مثل حِسانٍ		ضمَّخَتْها وصيفةُ الحَمّامِ
كان قَحْطُ النفوس أفدحَ للروح		فجودي من ماطِرٍ بانسجام

علَّ ورْداً يطفو على الروض محمَّراً بديلاً من الربوع الدوامي

جددي لي فيه الأماني فحسبي		ما تحَملتُ من خطوبٍ جسامِ
واملئي في المَلا بشائر شمسٍ		أشرقت في الدَّنى من الأحلام

* * *

خيال وحقيقة

لمَّا شبعت من الهوى لمَّا
راح الحبيبُ يعدّني خصما

قلتُ الشباب مضى ولست أرى
بعد الشباب من الهوى غنما

يا زهرةً ظمأى مباسمها
بعدي النسيمُ يزيدها شمَّا

قيل الأحبة لملموا خبري
ظمأ وكنت إليهمو أظما

مروا على داري وغالبهم
دمعٌ فزادوا غربتي غمَّا

همّي همو كانوا فهل كتموا
حبي فصرت جزاءهم همَّا

روحي إلى بردى عشيته
وعليه عين تلهفي ترمى

وإذا رمى الصفصاف خصلته
في النهر حرّان الصبا مغمى

لُفِّي الضفيرةِ واشكلي زهراً
فيها، وكيدي الليل والنجما

ما ضيّ طفّ كآبة وجوى
أني ورثت بوالدٍ يتما

فحنت علي الأم باكيةً
حتى فقدتُ على الصبا الأمَّا

ولقيتُ وجهكِ فامحي ألمي
إلا بقية نفسيَ الكلمى

أي خاطرٌ تهفو هواجسه
مهما كتمتِ مرامه مهما

من خمر عينيك رشف مكتئب
وجد السواد بجفنها كرما

رمز الخيال تعش حقيقته
فيهِ الحياة وإن يكن وهما

* * *

صدى

رويدكَ في شعري إذا خفيَ المعنى ... فإنَّ نداءَ النفسِ لا يبلغُ الأذنا
تريدُ أداءً سافراً للذي أرى ... بلا وضحٍ مهما جمعت له العينا
تمر بنفسي خاطراتٌ كأنّها ... بوارقٍ في جوف من الليل يلمعنا
أأفضي بحسٍ لستُ أعرف كنههُ ... ولا يستطيع وصفه منطق يفنى
إذا شئتُ تصوير الجمال تشوهت ... مناظرهُ عندي فصوَّت ظنا
وقد عيّ بالخمر النواسيُّ ناعتاً ... فأقنعه أن ينعت الشرب والدنا

* * *

عجبت لنظَّامين عاشوا لزخرفٍ ... يظنونه فناً، به نحروا الفنا
وما في حدود اللفظ عونٌ لشاعرٍ ... لما غاب عنه منتهاه من المعنى
تغلغل في سمعي غناءٌ وأين لي ... بقولٍ إذا ما قلته مثله غنى
كأني حين أكتبُ الشعر ضائعٌ ... تغوَّرَ في الآباد يستلهمُ الجنّا
وصفتُ حنانَ الأم لما فقدتُها ... فوالهفي هل غيرها لي قد حنا
وحاولتُ إرجاعَ الأنينِ فلم أجدْ ... كلاماً يفي حال السقيم إذا أنّا

* * *

اللحن الشرود

غنني يا حبيب في السر لحناً ... لا أرى جهره سلاماً وأمنا
سار فينا كساحر عبقري ... فهدانا وخالط النفس منا
زاحم العظم بعضه في ثراه ... وتمنى لو كان يملك أذنا
أنت يا منشدي بعثت بنا ... الأرواح من بعد ما شقينا ومتنا
ما على الروض زاهر نجتليه ... منذ ذاك الهديل فارق غصنا
رب ذكرى على المرارة تحلو ... وأراها أصفى لدي وأغنى
عشت في ظلها بصمت وصبر ... وطويت الجناح قهراً وحزنا
هات لي سيرة الليالي المواضي ... وارو لي في هنائنا كيف كنا
يهتف الأبرياء باسم هوانا ... ولنا في الوجود ما نتمنى
قل لذاك الحنون صوتك أبق ... في لسان الزمان لها يتغنى
ملكك السمع فاحتكم فيه حقاً ... كلنا قائل سمعنا أطعنا
يا حبيبي هذا النشيد من المهجة ... صاغوه جل لفظاً ومعنى
فترنم به لدى كل وجد ... موغلاً في عُلُوِّه ليس يفنى

* * *

لوحي

أين لوحي وأين أقرأ سطرَهْ ضاع طرفي من طول ما راح شطْرَهْ
قدر خطه فهل قال فيه أنني في الهوى سأشهد غدرَهْ
يا عيون السما عرقت التياعي وسهادي على فِراشٍ كجمرَةْ
طال سبحي إلى المجاهيل حتى ضيعتني أمواج نهر المجرَّةْ
أتُرى في النجوم كان دليلي وهي عبْرَ السنين تقدحُ نظرةْ
لست أدري لعلها هي مثلي نَشَدَتْ لوحها لتعلم أمرَهْ

* * *

في غمامِ البخورِ والجن تلغو بعزيفٍ لا يفهم الإنس شعرَهْ
قلت للساحر الذي قد دعاني ليرى لي حظي فأنطقَ سحرَهُ
نستوي في الغيوب فوصعيد فيه حلو الزمان يشربُ مُرَّهْ
قال فانظر على تهاويل ناري لاح كهف وفيه شيخُ المعرَّةْ
عاش عمراً ليهتك السرَّ حتى خسر السرَّ والصفاءَ وعمرَهْ
إنها الشمس أحرقت من أتاها كفراشٍ في النور يفتح قبرَه

* * *

يا رياحي كما تشائين هبِّي كان عمري درباً وعيشيَ سَفْرَةْ
مثلما يُذْبل الخريف غصوناً ويعرّي أوراقها بعد نضْرَةْ
سوف أمضي إلى رقاد سحيقٍ فيه صحوٌ إن كان في الموت سكرَهْ

* * *

واحة

يا واحتي نسج الظما بعدي | النبع منك وسره عندي
هدب على الضفاف تغمرها | كزواهر الريحان والورد
عينان من ليل فهل غرقت | في النجوم بمسبح السهد
دربي تفرع فيهما بدداً | ظمآن ضل صداه عن ورد
لم تنعم الأحلام في ملأ | أحلى ولا استرخت على مهد
خلي العتاب لرجعة فعلى | هام الغيوم بعدْتُ عن قصد
أنا مثل أصدائي انعكست على | نفسي وبت على الفنا وحدي
إن رف منك الليل فابتعثي | نغم السماء ووسدي زندي
قاتلك أشباحي فعاودها | كرَّ الوجود وعاندت مجدي
وتساءل الغفران ما ألمي | فأهمَّ سمعيه عن الرد
ألمي على سهلي له خبر | مذ كان نفح الريح في الجرد
هل نوحت في الحي ساجعة | سكبتْ أغانيها على لحدي
كنا بغيب نلتقي أبداً | روحين طارا في مدى المدِّ
فعلام في الدنيا تفرقنا | ويل الجسوم وطبعها المردي
أحباب تذكاري ملأت لكم | كأسي ففيم منيت بالصد
يا ليت أنفاسي تطاوعني | حتى أذوبها على وجدي

* * *

الصوت الحزين

من وراء الوجود أسمعت صوتا   يتلوى كالنادب المحزون
قلت يا صوت فيك رنة دمع   مثل دمعي وحرقة كشجوتي
أترى أنت من صداى وحزني   قد تمثلت لي فهجت ظنوني
وتسري لا يحسن أجمد أو بح   فقيثارتي تبكي حنيني
ضج وجدي ولست أهدى سبيلا   لشكاة فهل يطول رنيني
سأل الليل عن هيامي وسهدي   فأجاب الصياح طلع جفوني
وتغنت بقصتي ذات دل..   عذبتني وجنّ فيها جنوني
بهواها من عهد عاد سلالات   تمشت جيّاشة في القرون
مثل بحر أمواجه تتلاقى   في شطوط منشورة في العيون
حير الروح جرحها فبكاها   كل قلب على مثار الفنون
نورها في الورى يشع كالهام   نبي يسري بسكب هتون
أين غابت؟ ولحنها عندليب   رحت اجتابه حفيف غصون
كيف نامت على الثرى مثل سكرى   وهي لم تدر ما سبيل المجون
شعرها كان بالضفائر يسبى   عبقري الخصال طيف فنون
ويك يا ريح هل هببت عليها   بسموم فادرجت كدفين
لا ورب العلى فليس لها موت   ولا فقد طرة وجبين
ستعود العروس، أبهى من الصبح   وأحلى من فاتنات وعين
لبوة همهمت وأسد شراها   ملء أرض الكماة ملء العرين
تتوارى الذئاب خوف لظاها   في شتيت من الوهاد لعين
أيها الصوت عد إلينا طروبا   لست أرضاك في النداء الحزين

* * *

الشاعر

أيها الشعراء الأكاديميون الأربعة،
سائر من الشرق رفّ على روضكم الخالد
ليس شريداً كما تشرد الطيور
لكنه مثل السنونو فرد جناحيه
عبر البحار إليكم بروحه ودمه وآماله
ويحتاج إلى حَبّةٍ من الحُبّ لتردّ إليه الحياة
يحوم حول شجرة الحبُّ التي عندكم
تردّوه خائباً عطشاً جائعاً

* * *

الشعراء الذين يعيشون في عالم الوقار ويخرجون إلى دنيا الابتسام، وقار الكلمة معروف منذ كانت المجامع اللغوية هذا الوقار للحِفاظ على عبقرية اللغة بمفرداتها المتناثرة الرئيسية على جداول المعجم تستطع أسر عبقريتكم في الشعر والتأمّل والغِناء.

الشعر الذي حلّاكم اللّه به هو الذي يجول بكم في كل أثير يذهب إلى كل بلد ويدخل إلى كل قلب تتبعه الطيور لتتعلم منه أناشيدها.

الشعر الصافي الذي عندكم لا تحده حدود ولا سدود.

أنا طائر من الشرق أقول الشعر وقفت على أشجاركم المثمرة التي ربيعها اثنا عشر شهراً.تحمّلَ بصفاء وتغريد من أعماق نفسي (الملحمة العربية) التي أنظمها منذ سنين لأطلب من خالقنا أن يمد بأعماركم الغالية هنيئاً لكم بميلاد سيدنا المسيح وبمطالع العام الجديد ١٩٧٠.

* * *

الحرب

نفسي الحرب ذات طعن وضرب — وحياتي ما بين حزب وحزب
رف فوق الجمال والحب نعمى — فالهوى والجمال مطمع قلبي
وادعى النصح أن هذي دواه — توقع الجسم في عناء وكرب
ودعتني حبالة الثعلب المغري — فهمت بي النعاج تلبي
حسدوني فحل بغضي عليهم — فتعجبت: حال للبغض حبي
وأردت المنى محاسن دنيا — ومنالي لبعضها كان حسبي
حرت: إن ملت للهوى مال فضلي — وتخوفت تتلف العمر كتبي
ولذكرى الحبيب أبكي وقد غاب — وبالأمس ها هنا كان جنبي
ثم أستن صاحكاً لوليد — يتناغى على السرير بقربي
خفت لما رأيت روحي شجاعا — ولجد قصدت ثم للعب
إن «أوربة» استعاذت بسلم — وقديماً ساح الردى في الغرب
وعلى الأرض أنهر من دماء — ليس يروي الفناء منها بشرب
عمرك اللّه لا تدافع قتالا — كلنا للممات ماش بدرب
يا زهير وداحس تتلظى — كنت نور السلام بين العرب
كيف تدعو للسلم إنسان سوء — وهو حرب في نفسه أي حرب

* * *

«أنا أسطورة»

أنا أسطورة عليها دليل — أنا علمت كل جيل ولو أني
أني باذل وأني بخيل — أنا ديهمو لما غاب جيل
ربما كنت في الوجود ولكن — ولقومي كتبت ملحمة العرب
كان خلف الوجود مني مثيل — أناشيد عزها لا يزول
وتعشقت منبع الدور حتى — المروءات والحماسة فيها
قادني في ظلام حبي عذول — تتسامى رماحها والنصول
يا أحباي، والهوى كالمنايا — بنت الياذني أعيش لأعلمها
ما لقلبي إلى الخلاص سبيل — ولي عندها الرضا المأمول
جئت دنياي واستطبت مقامي — أهل تغنت بمجدها أم كلثوم
وحياتي، مغم عنها الرحيل — بصوت من الخلود يسيل
كان في الدهر نرجس بمرى — رب أه لها تجيء رميما
ومراياه نجوه المصقول — فينادى بالروح: حان القفول
فهوى فيه واستحال الزهر — يا سماوية التلاحين غني
هف عند الصفاف وهو عليل — كوكب أنت لا عراء الأفول
يا أساطير كيف صرتن حقا — رب نصر جوادنا قد كبا فيه
يملأ الناظرين منه الذهول — وقد عاد في قواه الصبيل المبهل
كان حقي يحيا بقصة عمري — ولراياتنا رفيف على الأفق
وعلى مسرحي له تمثيل — محال في لونهن النصول

* * *

إخوتي

إخوتي لا يسوغ حلو الشراب
وطغاة اللئام في الأبواب
قمري هل فجعت أن داسك
الإنسان، يا بني الأحباب
عصر علم إذا طغى المرء فيه
بهواه فافزع إلى الآداب

* * *

سحر العيون

الهوى موعدي لدى لقياكِ لا تظني أكون من قتلاكِ
أنا بالحب ارتوي غير أني عفيف من الهوى أهواكِ
أعشق الروحِ في شميم الرياحين وبرد الندى ووجه الملاكِ
كل جسم فانٍ فلا تدعيه يهدم الروّح باللقاء الهلاّكِ

* * *

إيه سحر العيون ياسر سربٍ يغزِلُ الحبَّ في جمال الوجودِ
لكِ هُدّبٌ تُظِلُّ دنيا غرامٍ سيحت في رفيف وجدر غيدِ
قد سكنتِ الفؤاد حرزاً منيعاً يتلقاك بالندى الموعودِ
أودَعَ الله فيكِ فتنة عُمْرٍ لاسير في شعره المعمودِ

* * *

يا بيْاضاً يطفو بحسنِ سوادٍ هو سيف يظل في الأغمادِ
لو أتيحت له انطلاقات منك قتلِ الناس واحتمى بالعناد
هو نعمي في طيّ شقوة حُبٍّ وعَذاب لدى ضنين فراد
قد كفاني منه السلام وحسبي منه نار من نوره الوقاد

في شباط ١٩٧١

* * *

أنت الوجود..

الحبيب والفن

هذا الحبيب الذي في السر أضمره ... أحس دنياه ولكن لست أبصره
طلبته مثل أوهامي وكم هجعت ... عين المحبة بالأحلام تغمره
بحثت عنه باوداء مفردة ... وطفت حول الروابي علِّ أنظره
ناديته يا حبيبي أين أنت فما ... أجاب إلا صدى في الغيب يستره
غنيته الشعر أستوحيه دقته ... فصاح همساً خفياً كان يجهره
جننت فيه فهل نفسي التي خلقت ... نعيمه أم شقا حظي يصوره

* * *

يا واحد السحر طلعني على خير ... أغني به القلب أو في الشعر أذكره
الشعر فن إذا النظام عانده ... طفت على فلكه المحطوم أبحره
له معان من الأرواح مبعثها ... ومن جواهرها العلياء عنصره
يا رب نغمة شعر قد خفقت له ... وخلت داود في المزمار يزمره
في كل لفظ أنين مثلما ولهت ... ثكلى، أو الدمع يا حران تهمره
فكرت فيه طويل الليل وارتشت ... خواطري منه حين أهتز أسطره
يا ناعي الشعر لا تنظمه زخرف ... فالشعر وحي، ودين أنت تنشره

* * *

لهوت عنك بوصف الشعر يا أملي ... والشعر شبهك عندي أو يفسره
أنت الوجود ولكني أنا عدم ... لعل تجمعنا في الموت أقبره

* * *

ريحانة الذكرى

فاتوا فوات الحظ ما تركوا شيئاً ولا لفراقنا ناحوا
ومشوا على الذكرى بجفوتهم فمحو رسوماً عندها لاحوا
هم شمّة الريحان عابقة بطيوبها في الأنف مذ فاحوا
هم نشوة فينا، وصحوتنا هلك فلا قدح ولا راح
في غور أنفسنا نحسهمو وهما تراءى منه لماح
سنظل نهواهم وعالمنا ظن ومخاوفوه أشباح
في الليل نادونا فقيل لنا والله ما هتفوا ولاصاحوا
جعلوا لنا الدنيا حلو مهمو وتنبهوا وبحبنا طاحوا
فينا تغلغل سرهم وجرى بدمائنا، وبسرنا باحوا
ولئن أشاعوا موتنا كمدا فلسوف نشتمهم ونرتاح
ندعو بأن نصيبنا ترح ونصيبهم في العيش أفراح

* * *

فليعلموا أنا ظلالهمو سنروح معهم حيثما راحوا
ونصوغ حبهمو وسيرتهم شعراً وأن الحب فضّاح
لا نستطيع العيش دونهم فلنحن أجسام وأرواح

الشمس تطلع في سماوتهم فهمو لنا نور وأصباح
إن جاءهم موت نمته معاً كل لمن عاداه مسماح

* * *

الجحيم

عند باب الجحيم طال مقامي		كفقير يرد فضل الطعام
جبت والناس يحشدون الوفا		ويساقون في غمار الزحام
يسحبون الأغلال وهي تقال		سلبتهم في الحر كل اعتزام
سلكوا في الحديد عتقاً ورجلاً		وأطيحوا نحو السعير أمالي
دمدمات سمعتها وشكاةً		بعثوها من الضلوع الدوامي
فتح الباب وهو أحمر قاز		فرماهم بلفحة وضرام
ألسن اللهيب ترقص كالجن		فيعلو دخانها في القتام
واستدارت على الغض الجونْ		هالات وقود كاكات الغمام
دخل القوم بين باك دراج		ثم كانوا أواخر الأقوام

فرآني بالباب «مالك» مطروحاً أنادي هل من يبل أدامي
ظن أني نددت عن معشر النار فأدنى عليّ بالتلوام

قلت مهلاً أتيت أنظر داراً		زعموها أسطورة الآلام
كيف لي أن أرى الخليقة تشوى		ثم تكون من بعد ذوب العظام
أوحق أن الجحيم غسول		بعد مِر الشقاء والأسقام
ذكروها لنا ونحن بأرضٍ		أنها في العذاب ذات عُرام
هي عَبْر الخيال مهما تلظى		وهي في اللذع فوق وصف الكلام
قلت دعني أجزو صيدك، إني		لأحب الجحيم حب الهيام
إن لي ها هنا حبيبة دنيا		كان فيها ذاك الزمان غرامي

بسمة الحنان فم الغول وألقى في الغمد حد الحسام

قال صفها فقلت سوداء شعر		بضة الجسم فتنة في القوام
نادها باسمها المحبب عندي		يا «ظليماء» يا ابنة الأعمام
ثم جاؤوا بها كعذراء عرسٍ		وتقضى انتظارها ألف عام
قال لي «مالك» غسلنا شقاها		وصهرنا فيها مكان الإثام
قد سكبنا حياتها من جديد		فهي عادت إليك بعد الرمام
درة من محارة البحر تغلو		في بهاء كمثل بدر التمام
يا ملاك النعيم آن التلاقي		والفراديس غنية للأنام
فعببنا من نهر شهد مصفى		ثم جئنا نذوق نهر المدام
فأوينا إلى ظلال خلود		وسمعنا مفاتن الأنغام

لا تخافي شر المعادن فيه قاد ولا لقاء لئام

إن حواء لن تعود لغي   فالبسي في الجنان عمر الدوام

* * *

سيرين

احطموا القيد الذي اورثتموه
واتركوا النحلة ترقصْ في رباها
اتركوها فالأزاهير مناها
هي للعهد الذي ما عشتموه

أتت «سيرين» وملاحون قالوا
قد رأيناها وهجنا ودونونا
وإذا البحر علينا صار جونا
وسمعنا صوت من ليس تطال

* * *

إن سألت الموج عنها لم يجاوب
وارتمى في الشاطئ الحلو البعيد
وانتهى النوتي إليها كالشريد
فنأت عنه وقالت لا تقارب

يا ملاك الماء، امعنت اختفاء!
وأنا الهائم علي أن أنالا
إن يضع عمري ولم أبلغ وصالا
فبيوم الحشر أملت لقاء!

* * *

حنين

سلي الريح هل حملتها القلب واجبا ... وكانت رسول الحب تشفي الحبايبا
أرى عاشق البيداء يهفو مع الصبا ... فيودعها الوجد الذي كان ذائبا
وكم مرّ في خفق النسيم تلهف ... من الواله الهيمان ما دام غائبا
أيحرمني حكم الحضارة نفحة ... أبردّ منها في الحشاشة لاهبا

فان درجت تحت العشيات هبة ... على سفح قيسون ورفّت جوانبا
فشوقي بها للشام تحنان ذاكر ... سلاه الذي يلهو فبات معاتبا
أمنثورة الشعر المضمّخ عطره ... على مصبح الشباك أغويت راهبا
بروحي كفّ منك تسقي أزاهرا ... وتسحب ردنا لاح للعين ساحبا

تداولت أنفاس الصباح بزفرتي ... ولم تعلمي أني تسللت ساربا
تمرين عطف النيربين وان لي ... على الضفة العلياء أهلا وصاحبا

مسارح أيامي محتها لك النوى ... وكم كنت فيها أطبع الخطو حادبا
أنادم صفصافا على النهر ظلّه ... وكان الهوى مثل الخيال مجاذبا
أحاول أشعاري لأجلك منحة ... وكم كنت لي في الشعر وحيا وواهبا
لا عمدة الصحراء تعرف سيرتي ... وقد كنت للصحراء ريان ساكبا
فيا بردى ما عاقني النيل عن صدّى ... ولا بنت فرعون أتتني نائبا
أبيت بأطراف النخيل ونظرتي ... إلى الغوطة الخضراء تتبع ناهبا
فيا موطن الصيد الميامين كنت لي ... فؤادا ولا أرض بغيرك سالبا
ترابك قدسيّ فمن لي بلثمة ... أحيّي بها عند المزار محاربا
أخا ميسلون ما غلبت وإنما ... أتى الثأر لما هاجت الشام غالبا
صداك على كر السنين مجلجل ... يردده الأبطال بالنصر واثبا

* * *

حنين

سلي الريح هل حملتها القلب واجبا ... وكانت رسول الحب تشفي الحبايبا
أرى عاشق البيداء يهفو مع الصبا ... فيودعها الوجد الذي كان ذائبا
وكم مرّ في خفق النسيم تلهف ... من الواله الهيمان ما دام غائبا
أيحرمني حكم الحضارة نفحة ... أبردّ منها في الحشاشة لاهبا
فان درجت تحت العشيات هبة ... على سفح قيسون ورقّت جوانبا
فشوقي بها للشام تحنان ذاكر ... سلاه الذي يلهو فبات معاتبا
أمنثورة الشعر المضمّخ عطره ... على مصبح الشباك أغويت راهبا
بروحي كفّ منك تسقي أزاهرا ... وتسحب ردنا لاح للعين ساحبا
تداولت أنفاس الصباح بزفرتي ... ولم تعلمي أني تسللت ساربا
تمرين عطف النيربين وان لي ... على الضفة العلياء أهلا وصاحبا
مسارح أيامي محتها لك النوى ... وكم كنت فيها أطبع الخطو حادبا
أنادم صفصافا على النهر ظلّه ... وكان الهوى مثل الخيال مجاذبا
أحاول أشعاري لأجلك منحة ... وكم كنت لي في الشعر وحيا وواهبا
لا عمدة الصحراء تعرف سيرتي ... وقد كنت للصحراء ريان ساكبا
فيا بردى ما عاقني النيل عن صدّى ... ولا بنت فرعون أتتني نائبا
أبيت بأطراف النخيل ونظرتي ... إلى الغوطة الخضراء تتبع ناهبا
فيا موطن الصيد الميامين كنت لي ... فؤادا ولا أرض بغيرك سالبا
ترابك قدسيّ فمن لي بلثمة ... أحيّي بها عند المزار محاربا
أخا ميسلون ما غلبت وإنما ... أتى الثأر لما هاجت الشام غالبا
صداك على كر السنين مجلجل ... يردده الأبطال بالنصر واثبا

ففي (سمح) صبو الحميم على العدى ... فماجت بهم شمّ الروابي معاطبا
وما هجمة في (كعوش) أعول الردى ... لديها فكانت كالجحيم عواقبا
لتنسى الأعادي فزعة عافها الكرى ... وان حظيت جهدا به كان راعبا
وفي التل من هام (العزيزات) وقعة ... مكلّلة بالفتح طافت مواكبا
كأسطورة أروى لظاها حماسة ... وأسأل عنها الركب ان راح غاربا
فيا شعلة الخلد التي من امية ... على الشرق زدت المجد فيه مكاسبا
عروبتنا كانت أمانة عهدنا ... لها الصّون لا نرضى لها الدهر عائباً

* * *

غاوية

لك الأحاديث إن فسرت معناها عن زهرة كان في الصحراء مرعاها
أصابها شره لاه فقطفها وعاث فيها شميما ثم ألقاها
ثم احتواها ذباب واقع نهم من فرط ماعب منها الماء أذواها
أما الفراش الذي عفت مناهله فحام من حولها حتى توقاها
ظلت على الروض مسموما روائحها فويل أنف جهول حين داناها

* * *

إليك يا مرأة السوء التي ركضت خلف الرجال ولم يخجل محياها
إذا رضيت بزوج واحد سلكت بك الليالي إلى معسول نجواها
سألتك الحب ما معناه قلت غوى لا يشبع امرأة في المال مهواها
ولاح وجهك في ظل الجمال له من الدجى جبهة قد غار عيناها
أيعرف الواله المفتون مثلبتي بأنها لك أم يدري بمغزاها
وهل تصمين سمعا عن مهتكة من الحوادث هذا الشعر ناداها
ولو تكشف ماضيك الكئيب لنا لبان أهكومة تبكيك ذكراها
إني لأشفق من قول ينغصها ألا تركت لها أسباب دنياها
أنشدت أهجية في دار مضيعة مر الهواء بها يوما وغناها
تمشي البغايا كمشي الصيد بخترة إذا استسرت ولم تعلم خفاياها

٢٤ حزيران ١٩٣٥

أ... خانم

لك الحب يا حسناء انّ ابتسامةً
تسومينها النّظّارَ، فيها هوىً صالي

وما بي تشبيب، ولكنَّ خاطري
عَنَاكِ، ويَعْلُو الشعر من ذِكرِك العالي

رأيتك في شتى المراتع فتنة
وفي «درب بغدادٍ» وفي شارع الوالي

إذا كنتِ في ركْبِ التراموايِ أتْلِعتْ
لروعةٍ مرآكِ العُيون بإجلال

وإن ملت في الأسواق ضللت أهلها
فباعوك بخساً كل ذي ثمن غالي

وكم سالم من لوعة هم ظرفهُ
بطرفك ثم ارتد ما قلبه خالي

تحليتِ فوق الحسن والدل عفة
ومالكِ تربٌ تحتويكِ ولا مالي

فليت نساءَ الشام مثلك اطلقتْ
ولكنها مظلومة ذات أغلال

* * *

صديقي

ضِعْتُ لما عرفتُ وجْهَ الطريقِ مذْ كفاً إلى جبيني صباحاً
وسألت الذين مروا أمامي ملؤها اللطف والوفا والتأسيّ
كلهم قال مشية في ظلامٍ كفه ألهبت خوامد نفسي
غير صوت سمعته من صديقي ودعتني أرى الحياة كفاحا

جاء نحوي كأنه من بعيد لا حبيبي وفيّ وليس شفيقا
وهو في اسُمعته في شعوري وتحملت ناشئاً بؤس يمّي
فبكى ساعة لسوء مصيري وتحيرت في شكايات همي
ثم غنى أغنية لرقودي فأتاحت لي الهموم رفيقا

الأسى يجمع القلوب عليه
وصديقي في الحزن والصبر مثلي
هو أصغى لديّ من كل أهلي
وأنا في الوفاء أصفى لديه

* * *

روح الحبيب

أُنظرْ هناك إلى البعيدْ
شيئاً أراهُ ولا أراهُ
في الليل لا يهدأ سراهُ
وعلى الضحى مثل الشريد

ثم يا حبيبي مثلما
نامت عيون العاشقاتْ
إني شربت على الشتاتْ
كوباً مزهره بالدما

غاب المشع ولا يغيب
عن انفه هذا الشعاع
يخشى عليّ من الضياع
فينير لي وجه الدروب

يسرٌّ وأنت فهمتني
وتركتني فغدوتُ لغزا
لسواك ظلَّ بغير مغزي
يا ليت مثلكَ أخذتني

أحسست صوتك في الصباحْ
جبني ينبه نومتي
ويداً تمر بجبهتي
فأجبت حسيّ بالنواح

* * *

يا بنت

يا بنت... عنك الحبُ أرويهِ
فأنت ألهمتني أسمى معانيهِ
يأتي الصباح فتهفو فيه خاطرتي
لأن تمثالكِ المحبوبُ يحكيهِ
أخذت منك السجايا فالمليح إذا
رميته بقبيح صِرتْ أرميهِ
مشى الربيع بعطفينا وحبنا
إلى الزبابات يغرينا وتغريهِ
لما نظرنا إلى الأزهار قال لها
شبابنا وسمعناها تناديهِ
أعلاك كل لطيف في الوجود فما
يرى جمالك إلا وهو يعديهِ
الورد أهداك لون الخد...

* * *

منادمة صورة

أيا صورة نادمتها غير نادم كأني بها المجنون في روح حالم
على الرغم من شكلها وبهاؤها يدور بأفكاري ويغدو مكالمي
أنبت النهى مالي إليك وسيلة سوى لوعة فيها الخيال ملازمي
وما في كتاب العاشقين سريرتي فألتمس السوى به في مظالمي
رأيتك يا غيداء في الوهم لمحة وفتّشت عن محيّاك في وجد كاتم
أصورت من قبل الوجود وبخاطري ولما أتيت الأرض عشت بواهم
إلى أن أتاح العمر لقيام في الدنى وقد حانت الخمسون في خسر غانم
فلا تتكوى عتق الزمان على الهوى فاصفى دنان الخمر بالمتقادم
وزاحمني فيك العواذل، ما لهم سبيل سوى كيد يتاح لراجم
وجدتك في لبنان زهرة روضة فيا نفحة ريّا ترف بناسم
شربت عبيراً من يديك بقبلة تخطفتها يا ليتها في المباسم
فصوتك في أذني يرنّ على المدى تجنان الولهان في عين ساهم
أشاعريّ والشعر كان رسولنا من الملأ الأعلى بلذة حارم
ولولا السنون العاتيات تبيننا لجنتك في عمر الشباب بطاحم
صبيّة يا زين الجمال بفتنة تعبّدتها في السر في ظهر عازم
أأجناح أسواراً لها دون بيتها بفقد حلومي وانتهاك محارمي
سأحمل في قلبي هواك على الظما فما تصلح الدنيا لرغبة هائم
واجعل مغنا لها الحبيب تيممي على البعد عليّ اكتفى بالمزاعم
وأرسل في صوت الأثير تحيتي لتأتيك في الحصن المنيع بداهم
فكم عاش صوفيّ قنوعا بحبه يسبح في بلوه رحمة راحم

* * *

البيد

أنعش البيد نداء العبقرية | فانتشى الرمل بحبات نديه
وصبا الماء من الأعماق يطفو | ممرعاً يسقي جنان الأبديه
أين أغنامك يا راعي البوادي | أين راحت لا أرى منها بقيه
تلك أسراب من البيد الخوالي | زادها الزُّلُ على الدنيا الفتيه
كل شيء فيك قد ذاب سوى | نايك المسحور منذ الأزلية
انفخ المزمار حتى تغذي | كل بيدار جناناً سرمديه
العباءات على الريح الرطيبة | رفرفت تحت عقالات الشبيبه
والحضارات بأنوار الدراري | شعشعت تستقبل الدنيا الرطيبة
والهوي مرَّ بأعطاف الليالي | كل نجم سامر يغري حبيبه
تلك «أطلانتيك» عادت في الربى | بعدما ضاعت من الأرض الثبيبة
هي للعرب ومنها سوف يحيا | عالم يضفي على الخلد هبوبه
قص لي قصتها أسطورة | تملأ الدنيا بأحداث عجيبه

* * *

أحلام الإنسانية

لا تهدم الأرض بالفولاذ والنار ... ولا تعكر بها صفو الأبرار
يكفي الحياة ممات في نهايتها ... نسعى إليه كأفراس بمضمار
ما أهنأ العيش في خفض وفي دعة ... إذ تبرأ من هم وأوغار
إني لأعجب للإنسان مفترسا ... أخاه بالظلم المستأسد الضاري
يا ليت قابيل لم تسفك يداه دماً ... ولا تلطخت الدنيا بأكدار
أوليت آدم لم يهبط ولا قطفت ... حواء من روضها محظور أثمار
إذن ظللنا بجنات مغردة ... يروي صدانا بها معسول أنهار
لو أنصف القدر المحتوم ما اجترحت ... مظالم قيل جاءتنا بأقدار
أطبقت جفني على حلم رأيت به ... دنيا السلام وقد حفت بأنوار
الناس فيها حواريون خلقهمو ... يجل عن خلق من في هذه الدار
لا يغرقون كذاباً أو مقارعة ... وليس بينهمو آثار أشرار
يحيون فيها كأخوان بلا حسد ... يمضي بهم في مناها زهو أعمار
ثم انتبهت، إذا بالناس مائجة ... من نكرها في ضلالات وإعصار
فيا حبيبي خذني نحو معتزل ... لقد تباعد عن سمع وأنظار
وحدق الطرف بي حتى أراك به ... واجتني من جنى خديك أشعاري

* * *

الألم العظيم

مطلق قيدهُ الحِكَمْ جار في الحب واحتكمْ
شعرهُ نجمهُ الذي حيّر الشُّهب في الظلمُ
مِن قوافيه نسمة أنعشتْ خالي الرّممْ
كنتُ في الدهر مثلهُ راوياتي من العدمْ
منبتي في سفوِحهِ وهو يختال في القِممْ
يا حَنوناً رأيته خلف جفنٍ من الشممْ
غَلْغل النفسَ لحنُهُ في منيع من الشِّيمْ
عذب قيثارهِ شدا حزناً يقدحُ الحِممْ
فحملنا لهمِّهِ شكوةً تنسج الهِممْ
لاح حرمان روحهِ يترامى على النَّهمْ
نهمٌ للعلى ومن نبعه عبَّ واستلمْ
كان حيناً على الهرمْ وهو أسمى من الهرَمْ
جاذبتني حروفهُ وهي في موئِل الذِممْ
نسلَ المجد عِزهُ في عزيزٍ من الأممْ

* * *

يا عظيماً مُؤآلماً ولقد يُعظمُ الألمْ
عبقرياً خُلقتَ، لا تدع الشعرَ والقلمْ

* * *

مزاح

رأيت عينيك سماء الهدى فأين نجمي غاب بل أين راح
في ظل رمشيك على الخد في إطراقة ما سرها يستباح
قلت مزحنا فليكن ليلنا نسيا وطيفا إن مضى الصبح راح
ياسنحة الحظ ويا منيتي صبي ثمالاتي قبل الصباح
لسوف ألقاك وذكراك لن يكبح منها طول نأى جماح

* * *

ومرّ أعوام فلم ألقها وما وجدت الصبر يشفي الجراح
قالوا هنا تسكن في صرحها من مترف العيش عليها وشاح
فجئت والليل له نسمة أدور حول الدار صعب الطماح
وخفّ لي ينكرني كلبها خلف الحديد وهو عالي النباح

* * *

يا مزحة في الحب أورثتني شقاء عمري كان فيك الجناح
لو جدّ ذاك الحلو في هزله وقال في الحب الكلام الصراح
يا عبق الشعر لدى رقصة وكلما مال به الرقص فاح
شممت فيك الحب في نزوة فويح قلبي كيف جرّ المزاح

* * *

عتاب وحنين

لولا الأحبة عاف المرء دنياه ... ولم يجد في عذاب العمر سلواه
أرى الأعاصير تجتاح القلوب وما ... يظل واحدها مثلي برياه
زرعت في السفح من لبنان خاطرتي ... فأينعت في عُلى أجنتي أحيلاه
وحسدتني عيون في معاهدة ... عيت على أدبي تبغي مزاياه
فعفتها ووجدت السقم ينقذني ... من كاشح وأخي بغض ومولاه
لي في صدور أو دائي مطارحة ... هي الحجا والنهى فيمن تولاه

* * *

شياطين الشعراء

بنت شعري من حاليات الغواني | من ذوات الصبا وحور الجنان
كفراش يرف فوق رياض | وحمام يحنو على الغدران
ملكة توجت بغار وزهر | بل ملاك يوحي بأسمى الأماني
كان للبيد وامرئ القيس وحي | من مسوح تفوح بالنيران

وأتى العصر بالجمال وبالفن جديدين في لباس الزمان

* * *

قصيدة العذال

لست أدري داء عذالي ... كلهم من همه خالي
حين باغيهم رأى طربي ... ود لو قطع أوصالي
نمت لما سهدوا حسداً ... نومة المغتبط السالي
كيف أنساهم وأجهلهم ... وهمو قد شغلوا بالي
كبروا الشر الصغير وكم ... صغروا في الخير أفعالي
وإذا سبحت لم يجدوا ... غير كفران بأقوالي
أدبوني إذ رأوا زللي ... وأيما تعرضي على حالي
أنا أرضاهم وواعجبي ... أفيرضى الكاره الغالي
فيهم حسناء تفهمني ... فديت بالروح والمال
أذنبت فيها الخطوط فيا ... ضيعة لجمالها الغالي
من صباها صورة فتنت ... نزلت في يبليال
عودها في الليل يحمل لي ... نغماً من قصرها العالي
يا هدوء الليل همت على ... ونزيسري بإعوال
أطفئت منك النجوم لدى ... كوكب يرنو لظلال

* * *

يا عروساً فاح سوسنها ... وسجا مبسمها الحالي
لا تعيني العازلين على ... قتل من ليس بقتالٍ

* * *

شوكة

هل كنت نشوان وراء المذاع
يقودني في مدار نفحات الجنان
رأيت فيها وردة من جمان
في شائك حوّطها للدفاع

نظرتها حتى ارتوى ناظري
ثم تسرعت إلى شمها
فلم أجد فيها سوى سمها
وقد سرى السم إلى خاطري

قطفتها والشوك أدمى يدي
ومزق الثوب. ومثل الجناة
فررت من بين ينوب الممات
وقد تأملت ببشرى الغد

وضعتها قسرا بزهرين
زهريتي طنينها إلى سدون
وقبل جهدي أخفق الجاهدون
فلأوله آلامي بقمريتي

الشعر نجوى كل قلب كسير
فناجني بالشعر يا خاسر
ما أنت مثل ساكت صابر
على جحيم صارخ في الضمير

* * *

الحسد والنقد

ما أحسن النقد السليم من الدس   وأناه عن هراء وهجر
أنت أعمى أغمضت عينك عن   خيري وأظهرت للنواظر شري
وبك جناز قد أردت مماتي   ربما كان بعد قبرك قبري
كيف تمشي وملء صدرك سم   يتلظى وفي عروقك يجري
ابتعد لفحة الهجير على وجهك   تغلي ما فيك ذرة طهر
رب ليل أرقت فيه لذكري   فتقلبت فوق شوك وجمر
وسمعت الجموع تلهج باسمي   فطمى سمعيك صيحة ذعر

قتل الحاسد اللئيم فما أشقاه كم مرة يبوء بخسر

أنقد النقد كالسهام عبقري   قال حساده أيانا بكفر
أيها العبقري لا تسمع لنبح   فهذي الكلام يعوى لامر
واحتمل شقوة الحسود المعادي   ذاك شأن العظيم في كل عصر
وإذا شئت أسده الشكر ضعفين   فلولاه ما حظيت بذكر

* * *

ندامة

مدحت ناسا بمدحي لهم صاروا ... ولم يكن لهم وزن ومقدار
وزادهم صلفا وأبطرهم ... واستنمروا وانا فيهم سنمار [١]
حسب الجهالة أن تحيا بمعشرهم ... معطلين إلى بؤس البلى ساروا
قل لي فديتك ما شأني (وشأنهمو) ... عندي الغناء وهم في سوقهم باروا

* * *

يا ويح دهري كم عيت مذاهبه ... بمحفل هبّه جاه ودينار
لولا الوفاء الذي قد بت أحمله ... لطالبي أدبي والود مدرار
لضقت ذرعا بحساد مولولة ... تعج بفضاؤها والقلب محتار
أسفت إذ جار عصري في معاملتي ... والعصر مذ كان غدار وجوار
أقسى المظالم أن تبلى بفادحها ... والكف عاجزة ما جادها الثار

* * *

(١) سنمار بناء حداد قال له أحد الملك في الزمن القديم شيد لي قصراً وضع في أساسه حجراً إذا نزع تداعى القصر وانهدم فصنع له ما أراد ودعاه الملك إلى سطح القصر ليريه المستشرف من أعلاه وقذف به فهوى وتردى فصار المثل يضرب بسنمار.

تقديس

أربة شعري السيف في الغمد فديتك في قربي وأفديك في بعدي
أهيم بتمثال نقشتُ جماله لوجهك لكن لست أعبده وحدي
سأدعو له عشاق كل فضيلة لتنضحه بالياسمين وبالورد
إذا لاح وجه البدر والنيل طارح مجرته في الليل هيج لي حقدي
ولم يغرني فرعون، أحلى بناته تجاذبني عطفاً وتظفر بالصد
أمر على وادي النخيل وإنني لأذكر صفصافاً يرف على ورِدْي
فيا عبق الشعر الذي عطر الفضا على بردى، أين النسيم الذي تبدي
ويا فتحة العين التي في شعاعها مصير لذي عيش تلألأ بالسعد
أُقدس فيك الطهر حتى كأنني أراك عن العذراء آخذة العهد
هبيني شعري من وجودك فتنة كفاني من النبيان إلهامك المهدي
أرى «عبقراً» تحويك في وهج شعرها تهاويل من دنياك دانية الند
أ «معلوف» هل رفت عليك صبية من الشام حتى قلت شعرك في الخلد
أشعرك أم أسطورة جل صنعها تناديك طول الدهر بالشاعر الفرد
ملاحم من سكب التسابيح صغتها يرتلها العباد في غمرة الوجد
بها عبد باخوس يضج بعرسه وخفق الصدى المرنان يوشك بالرد
ولفحة نيران الجحيم تؤزها، وخوفي على حلو القوافي من الوقد
أربة شعري هاك مرآة «عبقر» ففي غورها تلقاك بالعين والخد
فلا كانت الأشعار إلا سوانحاً لوصفك يا أخت النجابة والمجد

* * *

آذار أمي

الورد لا وردي ولا زهري زهر الربيع الفاتح النضر
غنيت والأحزان مائجة تهتاج مثلَ البحر في صدري
أهل الهوى قاموا لنزهتهم دوني وهم يدرون ما غدري
وأتيت مهدوماً منهنهة عينيّ بكى ودنوت من قبر
فنثرت آساً فوقه وهمى دمعي على أوراقه الخضر
أمي بهذا القبر هادئه وأنا فجعت بها على الدهر

مثلت آذاراً لأنعته بالشعر فاستعصى على الشعر
فوصفته بالوهم أهجسه معنى أدقَّ كلمعه الفكر
ناجيت فيه الريح صافرة والغصن منعطفاً على النهر
ورأيت في علوائه أسفاً كم يزهد الإنسان أو يغرى
وأصخت للأطيار فاندفعت كغ على قارورة الخمر
أسكرت آلامي لأسكنها يا ليت لا تصحو من السكر

شرخ الشباب حملت رائقة وَغَدا يسير بمهيع العمر
هو منك آذارٍ على سفر لكن بلا عود من السَّفرْ
آذار سر الحب في يده أفضى به في مطلع الزهر

* * *

دنيانا

سعدت لأني جئت في هذه الدنيا كأني عرفت العمر من قبل أن أحيا
ألم أك في طي التراب غذاءه فأصلِ في نسل تقادم في الهلكى
سلكت سبيلي في الهواء مرفرفا وفي عاصف منه تعسف واستعلى
وفي الماء في أوج الغيوم وربما بمستنقع أوردت كدرته الحرى
فما انعكس الخيَّام في برح خاطري يوسوس في فكري بحيرته النشوى
لا كان لي عند المعري وسيلة لألبس فيها الزهد لبسته الكبرى
تنسمت في الدنيا نسيم معيشتي كنبتٍ نما يبغي الحياة ولو يشقى
أرى أمنا الأرض التي جاد بطنها بمولودها عادت لتشمله أحنى
ألم يكفنا أنا ندورُ بجوها مدى العام كالأطيار في الأفق الأعلى
تطل علينا في الليالي نجومها غوامز بالألحاظ في دلها الأحلى
أكانت رعابيبا فصارت كواكبا قناديل في الأفلاك تلمع في الممسى
وفي الشمس سر الكون ضاعت على الحجى مفاتيحه لا تلتمس عنده جدوى
إذا رحت تبغي كنهه متوغلا بمعناه لم ترشد وأحرقك المعنى
وردتُ الدنى كالضيف ملء تحيتي سلام لأهليها الأحبة في اللقيا
إذا قيل أعدائي فأين عداوتي تنازلت عنها لا أريد لها بقيا
ألملم أكناف الصدافات إنها بلاسم للجرح الذي ابدا يدوي
إذا فر غيري من اليم وجدتني الأزمة حتى أجنبه السلوى
فمن حقنا في العيش بؤس ونعمة ومن دأبنا أن نستطيب وأن نأسى
وما قيمة اللذات إن لم يكن لها كؤوس من الأحزان نملؤها نجوى
وفي الحب غصات على غمراتها رغائب يوليها الفؤاد لمن يهوى
تقبلت دنيا لا بجبر ولا رضى أعيش بها لا أبتغي عندها شكوى

* * *

حلم

أنشدينا نغماً يحيي العظاما فلقد متنا وأصبحنا رماما
ما خلقنا للشقا في عيشنا فكفانا منه أن نسقي الحماما
نرد الدنيا ضعافاً عُزَّلاً ثم نلقى بعد أن نحيا الرغاما
فامنحينا عالم النور الذي نتمنى واكشفي عنا الظلاما

* * *

إملئي الأرض صفاء وهدى وانشري الأجنحة البيض سلاما
قلت والميلاد يمضي ليله وهدى الناس في الدير تساما
رحمة للإنسان يا ربي وسلما فيه يرعى كل سلطان ذماما
ثم فاضت من جفوني عبرة دعت الله بما عيّ كلاما

* * *

عينان

عيناه نبعا حكمة وبراءة وبصيرة
سلكا سبيلك في الدنى درب النهى يا غادتي
(سيرين) أنت على المدى غنيّت لحن غواية
كنا جميعا (عولسا) تسري البحار لغاية
النجم يرشد فلكنا نمضي لغير نهاية
والجسم مسرح روحنا كلّ بلعب رواية
كتب المصير فصولها نظّارها في دهشة
انظر هنالك في الضحى نورا أتى برسالة
من شاعر سأل الوجود (لمن) وظلّ بحيرة[1]
ترك الصدى عبر الصدى في نظرة ويذكر

* * *

عينان ملؤهما السما صفوا وعمق نقاوة
غيم أفاء عليهما وانجاب بعد مطيرة
لولا رفيف الحب في حدقين عند حبيبة
كحلا جمال ملائك وتطلعا في فرحة
قدحا الخلود، لما ظفرت ولا سمعت برحمة

* * *

(١) (لمن) ديوان ذكر للأستاذ البير أديب.

غيوم

يا يد الدهر التي غيرت بختي
ربما في هدأة الفن دعاني
لترى رغد حياتي بؤسا
خاطري أن أنحر الشعر القديما
كبقاء الشمس رغم الغيم شمسا
وإذا صوت ينادي كن حليما
سوف أبقى في حياة رغم موتي
وإذا بي وسط البيدا تراني

كل روض فيه حظ من نعيم
وقعت عيني على الخد الأسيل
والأزاهير إذا فاح شذاها
فأثارت في فمي روح الحسود
عطرت كل نسيم في مداها
لو يكون العيش في غير قيود
هازئات بأنوف وشميم
لم يكن في سوى القصد النبيل

* * *

عزيف الجن

أسمع الريح زمزمت في القفار … مثل نوح الطعين في الأسحار
زعقت واستطال منها صرير … يملأ الجّو بالأسى الموّار
سافيات الرمال نوحي وصيحي … واركضي في الفضاء عبر الغبار
أنت تمضين ثم يأتي نسيم … يتناغى عليه لحن الهزار
أيها الكاره الرياض تمهّل … إنَّ فنّ الشميم للمعطار
خلق الزهر للعطور فمنذا … قال ظلما لا طيب للأزهار
من صميم الشام غنى حنون … لاعب الفن في هوى المزمار
فأتاني النشيد والنيل يسجو … سارب الدرب في الجنى المدرار
وعليه النخيل رفرف جن … ثائرات الشعور وهي عوارى
يا نبيل البعاد كفك برء … فوق جرحي وموضع الإكبار
أنا مثل العشب الرطيب تنسمت … سلاما لثورة الإعصار
كان ودّى أقوى من البغض فاكسر … كل سيف واهدأ على قيثارى
نبح الذئب في الظلام ودامت … ساطعات على المساء الدراري

* * *

طيف الحبيب

أتسمع قَرْقرَةَ الساقيةْ تَمدُ صداها إلى البادية
تَسمَّعْ إلى الناي أنشودة تمادت من النغمةَ النائية
أتينا إلى البحر نمضي به ونبكي ونخشى من الهاوية
لو أن المنارة لاحت لنا لخفنا عليها يداً عاتية
فأرسل على الملتقي ضحكةً من الشعر للأنفسِ الصادية

* * *

متى ما تناجي الحبيبَ القديمَ يخبرك أيامنا الخالية
كأني وقد بت في ثوبه ترنحت من سكرةِ صاحية
يلازمني طيفه في الدُّجى فأُبْصرهُ عَيْنهُ باكية
واسمَع ضِحكتَهُ دائماً ترن بسمع الهوى باقية

* * *

كشفت عن الستر بعض الحجاب فَبَانَ لعَينيَّ في الغَانِية
سألت الصبِّا ممَّ أحزانُهُ فَقَال من الزهرة الذَاوية
فناديت محبوبتي للهوى وغبنا عن الدَّارة الفانية
نقمنا من الموت في جسمنا تهدهده ثورة طاغية
وجزنا بأحلامنا في الفضا كأنَّا به فكرةٌ عارية

* * *

إلى الأجيال الآتية

كانت بقاسيون داري وامحت داري ... لما رماها الردى العاتي بأكدار
وقاسيون لشعري ملهم ولكم ... سهرت في سفحه ما بين سمار
أرى العذارى أسيف النفس ملتهبا ... أليس أقتل ظلك منع أنظار
هذا الجمال لكي نحيا برؤيته ... ويبرد القلب مما فيه من نار
وفي الطبيعة أنواع الجمال بها ... أباحة وهي ما صينت بأستار
ومات عشاق أفروديت واتركوا ... أوها تخلد فيه جسمها العاري
شيعت بالأمس ميتاً من قرابتنا ... وعذبتني وراء النعش أفكاري
وكنت أسمع صوت الموت في خلدي ... يقول لي: لا تحاول فهم أسراري
فكيف جئنا إلى الدنيا وما سبب ... لأن تحمل فيها جور أقداري
إني لأنظر والأيام آتية ... وفي تضاعيفها عيشي وأوطاري
لئن أصر شاعرا فردا فهل زمني ... يدري بشأني أو يهفو لتذكاري
إني كتبت إلى الأجيال مقبلة ... لعل أبناءنا تغلو بآثاري
أينقشون على قبري هنا هدأت ... رفات مجد هنا غايات أسفار
وهل تمر به الأبكار ماسحة ... دموعها فإذا في النقش أشعاري
تبكي وترجع نحو الحي واضعة ... أمام شاهدتي إكليل أزهاري

* * *

درب العيون

... وأراك حتى لا أراك
ما هذه الدنيا سواك
معقوصة الشعر المهدّل
مثل أوراق الآراك
بحرية العينين هل
لون السما مهوى هواك
أو زرقة البحر الخضمّ
مشت فحلّت في سناك
لتدلّ أحكام الغرام
على غريق في حماك؟
كنت الغريب بلا دليل
أرتضيك على هداك
فضللت في درب العيون
ورحت مصفود الشراك
هل كان رأسك يبتغي
نوما على كتفي لقاك
فزجته بالعقل ظلما
والعقول إلى هلاك؟
جنّية اللحظ المثير
حسبت شيطانا عراك
ألهمتني الشعر المذاب
من العذاب فما دهاك
ووجدت اغريق النهى
صعدت لفنك في ذراك
فلأنت أولمب الحجى
والشاعرون لدى علاك
ألهة الشعر المصفى
ألهميه على مداك
قيثارك الشافي الحنون
متى يتاح؟ متى يحاكي؟
الوالهون النّحل يا زهراء
كفّي من نداك

* * *

مواجع شاعر

إن (حياة) صفت فأنت موفق — تترك الحزن والبكاء وتعشق
والشكاة التي تدوم ملاك — رب قلب لا يشتكي يتمزق
حل حلفت اليمين أنك في النوح — مستفدو مثل الحمام المطوق
أنا أدرى بسر نفسك في الهم — وعندي لك الدواء المفوق
أقتل الهم بالسلو لتحيا — خالص النفس كالذي اليوم يخلق
واهدم البيت واتركه بابا — في يد الريح عنده البوم ينعق
وابن في نفسك الجديدة بيتا — بالأماني والسرور
كيف تحنو على الذي ليس يحنو — وينام الدجى وأنت مؤرق
الهوى بالبديل وهو شفاء — ان علقنا الذي بنى ما تعلق
يا حبيبي يا من فديتك أبصر — ني مليا وفي فؤادي تعلق
أنت نغصت بالفتون حياتي — فإذا لاح لي جمال أشهق
كم تأملت في بهائك حتى — ضعت عني وكادت العين تزهق
يا رفيقي الذي ألومك اني — في شجوني يلوم نفسي أغرق
فيم لا أستطيع أكتب شعرا — عن دماء في مطلب الحق تهرق

* * *

المريضة

أفدي المريضة من دمعي بمسكوب — وآهتي ملء صدر جد مشبوب
لو استطعت مزارا زرتها ولكم — مررت بالباب لا أحظى بمطلوب
يا منية العمر، ما أحلى بهاك لنا — كأنما كنت يوم الحب مرغوبي
حيرت في مشية تمشينها وبها — ميل بخطو على أحشاء محبوب
وخصلة الشعر ما طاف النسيم بها — إلا ليلهمها تعذيب مسلوب
لولا العقارب في الصدغين كان لنا — لمس وما جاءنا إلا بمعطوب
جاء الطبيب فجس النبض ملتمسا — في الصدر دقات قلب ذات تطريب
فقلت يا ليتني كنت البديل له — أشفي ضناها بلا عسر وتعذيب
أنا المطبب للخفاق، أعرفه — أحنو على وجده تحنان تطبيب
لعودها في حنو الحضن رمز جوى — هو الوليد الذي ناغى بتحبيب
لم أدر مرقدها، لم أبلغ معرفة — تتم قصتها في شجو مكتوب
يغير الدهر آثار الهوى وله — في مهجة المرء مواج الأعاجيب
حيرت شعري، فهل أروي روايتها — فيه وأهتك من مكنون تنقيب
مرت بعمري، وراحت عنه سارية — ليل الحياة بعيش خلف محجوب
أديبة الفكر، ما غادرت موئلنا — قد صرت نجما بلا حجب وتغريب

* * *

إنسانان

إن هذا الطفل مولود يتيما
لم يرث إلاّ الشقا من والديه
حينما دبّ الضيا في ناظريه
فتح العين فلم يلق رحيما

* * *

قهقه الحظ دجى في كل حيّ
فسألنا: من له العيد السعيد
فأجابوا: إنه الغالي الوليد
صانه الله، لمولانا الغنيّ

* * *

ومضى الدهر فعاشا ثم ماتا
وكأني شاهد فصل الختام
ها هم القوم تمشوا في ازدحام
خلف مثريهم يغدون الزحام
وأتت أخت من الدار البعيدة
تسأل الحفار عن قبر أخيها
قال: ذي جبانة لا قبر فيها
لفقير فمضت ولهى شريدة

* * *

حب الخمسين

لا أعدم الحبّ من عمري بخمسينا فالحبّ ريحانة تتلو رياحينا
كان الشباب يريد الحبّ أُلهيةً فطار منه وعاش العمر محزونا
الحبّ كالخمر ما كانت معتّقة فهي التي تملأ الألباب تفنيا
والقلب نزّه عن شيب إذا سكنت فيه الشبيبة لا تألوه تمكينا
تلك المليحة ما صدّت ولا زهدت لمّا رأتني بها أصبحت مجنونا
حنّت عليّ حنين الودّ مشفقة فبات قلبي على الإشفاق مطعونا
لا أبتغي الودّ كالمسكين يشحذه فالنسر عند الأعالي مات مفتونا

* * *

محبوبتي، في خريف العمر طالعة منّي البراعم تملأ الروض نسرينا
أهل الهوى أفسدوه بالجسوم ولو صانوه بالروح لا اعتادوه مكنونا
وما الربيع سوى أيّام خضرته لكنّ عودي مخضرّ أفانينا
ما جاوزتك بي العشرون عن مرح يزيد فيها الصّبا عزما وتحسينا
نحن الذين نذوق الحبّ ذائبة فيه المراشف، نحيا فيه ميمونا
هو الصّداقة في منشود غايتها وهو الصّفاء الذي يحيي أمانينا
فوق التّصوف عشنا في عشيرته ينوب فيه التنائي عن تدانينا
أنفاسنا أنعشت دنياه، ننشقه كنسمة الصبح يشفينا ويحيينا
حسناء، يا زهرة الآباد، ما عبقت ريّاك إلّا لنا نحن الميامينا
لنا الجفون التي في الليل تعرفها منّا النجوم وبالنّجوى تناجينا

كم عاشق في مساريها وعاشقة مثلي ومثلك قد كانا تلاحينا
عاشا على الأرض حينا لا اكتفاء به فأبدلا برزخا في النجم مأمونا
لعلّ شعرا لنا تسمو معارجه على الزمان بديل الوصل يرضينا
أنا بن زيدون في رجع السنين أتى وأنت (ولادة) عادت لتصبينا
قد كان خلّي (ابراهيم) مرتجعا مثلي و (طوقان) بالأشعار يطرينا
هاجته فتّانة غرناطة بعثت فيها الغرام له فانساب مدفونا
لكنّه صار في جوّ الخلود بها يشعّ في كوكب يسمو تحاسينا

* * *

حبيبة الروّح والدّيجور يشملني صبيّ عليّ شعاعا منك مشحونا

بالسحر والشعر أكمل عنده عمري فإن أمت لم أكن بالعمر مغبونا

* * *

تجنيد الشعر

ضلَّ نجمي وكان بالأمس أرشد ... فاذكري عزفي على اليوم أوغد
فاتَ عهد (الأولمب) فانفخ خيالي ... (ببلودان) فهي للشعر معبد
لا أطيقُ الخصامَ في الحبِّ لكنّ ... عهودَ الصفاء غابت لتزهد
كان قيثاري الحنونُ يرويها ... فعاث العذول فيها وبدَّد
ينطوي في السلوّ شاد ويبقى ... نغم في الوجود كي يتردّد
فاطرح العتب والتلوّام واسأل ... ذهب الفن عن فؤادٍ تجدد
وصبانا على الشآم ولبنان ... لذكراه يستعيد ويسعد
في لزام القصيد ألفُ سبيل ... غير أنّ الذي سيوصل أوحد
دهمتنا بالهموم حسا شدادا ... وأرى الشعر للحروب يجنّد
لفّ الغرب جرحها من عدوّ ... واحد البغي والجراح تضمّد
فاجعل الشعر ملحمات تهز ... المجد تروي لكل جيل وتنشد
تقرع الحربُ بابَ كلِّ ذليل ... فاقرع البابَ أنتَ، قرع المسدد
لا تثورُ الشعوبُ إلا على الضّيم ... وضيم العرباء أمر تعدد
ملَّ حبساً هذا السلامُ فأطلقه ... وكان الشجاعُ لا يتوعد

* * *

ذرتي

ذرتي محبوسة طي العصور — لست أدري مثلها كيف مصيري
أنا فيها منذ كانت وسيبقى — في ثرى أعمارها خفق شعوري
من هباء صورت لكن فيها — عالماً يلمع من نار ونور
عندها أسرار آبائي وولدي — وقلوب حاشدات في صدور
في فنائي خلدها فاعجب لجار — ليس من دهم المنايا بمجيري

* * *

هتك العلم أيا ذرة سرا — عنك قد أعيا أساطين العصور
قيل لما حطموا حصنك راحوا — يملأون الأرض من صوت النذير
فجروا فيك براكين حميم — لفت الخلق بأهوال السعير
بارتداد الطرف غيبت بلادا — مثلما يمحي اسمها بين السطور
من رأى الأرض وسكانا عليها — قبل أن تطوي بأمواج الثبور
أترانا في نهايات الليالي — نرهف السمع إلى نفخ الصور

* * *

ذرتي هبي من القيد وقولي — فكّت الذرة أغلال الأسير
لا تكوني برعم الشر بقلبي — عشت حتى تطلعي زهر الشرور
فإذا حان انطلاق منك طوفي — فانثري حبك في دنيا البذور
أفما قيل بأنا مذ خلقنا — فرقت ذراتنا كف القدر

* * *

عيد الشعر

العيد للشعر إذ يهنا بك العيد
يا من بفنك قد وافاه تجديد

لك الأحبة في ناديك موصلهم
فلا نَأتْ بك بيدُ دونها بيدُ

نزلت مكة في واد به قدس
يفيض منه، على الأباد، مورود

حوضَ يعبُّ الملا من شطِّ نبعته
من شربة كتبت فيها المواعيد

وكان لي (بردى) الريان مورده
وعنده لي من قومي مزاويد

حملت شعري ووافيت الصحاب به
هدية مثلها تهدى المعاميد

وهو الدواء لذي قلب به شغف
وهو الرجاء إذا ما نمنم العود

سَلْسِلْ مناي على آماد ملهمةِ
عندَ الربيعِ لديها الزهرَ تمهيد

نفيت شيطانها واهتجت نفحتها
من سابيات لها في الفن مجهود

رفت فراشا وهفت خصلة عبقت
تجري بها الريح ملتفا بها الجيد

فقلت للمتنبي عند داراتها
خلف العصور وفي ذكراه ترديد

لو جئتها وهي في قدسي مشهدها
لما عراك بها هم وتسهيد

وذقت زمزمها السكاب عاطره
لعفت ما سكبت فيه العناقيد

يا واحد الشعر في الماضين قام على
مهاد مكة للأشعار تسديد

ودولة الأدب أخضرت بشاشتها
وهب في ساحتيها الفتية الصيد

من عابد شمس وما ضمت شمائله
في عزة البيت، تهواه العباديد

وفي المدينةِ من أوسٍ وخزرجها
على ضجيع العليِ نصرٌ وتأييد

روحي تلم بأرجاءِ الرسول على
طيفٍ محياه أشواقُ وتوحيد

وللصحابةِ في ناديهِ مَنْهَلُهُمُ
من (الحديث) له رفع وتسنيد

وللقراءات في (القرآن) منهجها
يحيي الفؤاد، بها صوت وتجويد

* * *

٣- الشعر الديني

الصلاة

لكَ اللَّهُمَّ قلبي في الصَّلاةِ ... إذا شغلَتْهُ عنكَ مني الحياة
وقَفتُ وَقِبلتي مهوى لروحي ... فطُفْتُ هناكَ في أرضِ البُداةِ
ديارُ الوحى تجمعنا نفوساً ... وإِن تكن الجسومُ على شتاتِ
قرأتُ الحمدَ والإخلاص حتى ... ركَعتُ رِضى لرَبِ الكائناتِ
وواليتُ السجودَ فصار أنفي ... وقد الرَّغام من العناةِ
فسبحان الذي نَعْنُو إليه ... ولو كنا طواغيت الطغاةِ
شهدتُ بَوحْدةِ الرَّحمنِ لَّما ... بعثتُ تحيتي في الطيباتِ
وسلمتُ السلامَ فَتمَّ نُسكي ... وباشرتُ الدعاء مع الدعاةِ
صلاتي لستُ أجعلها شفيعاً ... لتنجيني وإِنْ عزَّتْ نجاتي
تعالى اللّه ما بالي بعيدٍ ... تَزَمَّتَ فاستباحَ حِمَى التُقاةِ
وَهلَّ مقاصِرَ الفردوسِ تهفو ... إلى ورَعٍ تَلَبْسَ في الحُناةِ
تعالَ انْظُرْ وفَد وقفوا بَصفٍ ... كصف الحرب من قومٍ حماةِ
وقَائدهم إمامُهُمو ولكن ... همو لا يزحفون على عُداةِ
أمانُ السَّلْمِ عهدُهمُو المُرَجَّى ... إذا نادى به صوتُ الهداةِ
ألاَ إنَّ الصلاة لكل قلبٍ ... هناءٌ في العشي وفي الغداةِ

* * *

إلى الله

يا رب من غيرك عون الحزين ... في شدة الشكوى وطول الأنين
العين قد بيضها دمعها ... والغم تدنو منه كأس المنون
والقلب أضناه إحتمال الأسى ... فخفقه يحتشه للسكون
ما أفدح اللوعة في يافع ... مستعبر ليس له من يعين
لا ينتهي المحزون من بؤسه ... إن صرعته مؤلمات الشجون
يا ليت كل الخطب في دهمه ... يمضي به والليل خابي العيون

يا عندليب الروض هل صدحة ... يشفى بها وقع الجوى أو يهون
يا ليتني مثلك في فرحة ... تندى لي الألحان بين الغصون

* * *

ميلاد المسيح

قُل للإله لقد منحت مسيحا ... فالأرض تخَمْدُ أَنْعُماً وسُمُوحا
كانتْ على الرومان تَدمى فتنةً ... في جاحمٍ تَرَكَ الأنامَ طَليحا
هلْ تعلَم العَذْراءُ أنّ شُجونَها ... خلَدتْ فصارَت في الضلوعِ قُروحا
أفدي الذي جاروا عليه فقيَّدوا ... كَتِفَيْه واشْتَطّوا به تطْويحا
كفروا به، برسالةٍ، كمحمَّدٍ ... والصبر غالَبَهُمْ فكانَ رَجَيحا
يا واحدَ الغرباء صِرْتَ وسيلةً ... للنازحينَ وما أردتَ نُزوحا
حَطَمُوا الشعوبَ وأَوْرَدُوها حتفَها ... وعَدَوْا مَصالَحها فكنتَ صَفوحا
إنْ تاجروا بكَ فالخسارُ عَلَيْهُمو ... والسُوقُ لا تَدعُ الفَسادَ رَبيحا

* * *

في ليلةِ الميلادِ أُسْهدُ ناظري ... وأُجيلُ سَمْعي في المَدى تَسْبيحا
حتى إذا الناقوسُ دَقَّ حَسِبْتُهُ ... قلبي يُجلْجِلُ في الفضاء طُموحا
يا مريمُ العذراءُ، يا أُختَ الفِداء، ... هذا وَليدُكِ في المِهادِ فصيحا
أهَزَزْتِ جِذْعِ النخلِ حتى أيْنَعَتْ ... أظلاله وغدتْ لديكِ صُروحا
حَضَنَ المسيحَ ميكلُ آنْجيلّو ولو ... أنّي سَبَقْتُ حَضَنْتُهُ مَطْروحا
إني لأمْسَحُ في البكاءِ دُمُوعَهُ ... وأتوقُ لو فدَّيتُهُ مَجْروُحا

أأبا السلامِ فِداكَ وارثَةُ الوغَى ... فتكَتْ وغَادَرَتِ الوُجودَ ذبيحا
ليتَ السلاحَ تَثَلَّمَتْ نَزَواتُهُ ... وبَدا الملاكُ كما عَهِدْتَ مَليحا
لكنَّ حَقّاً في الدفاع أجازَهُ ... فاحْمِ الضِّعافَ وزِدْهُمو تَسْليحا
لا تغتصِبنْي الروُحَ باسْمِ سلامِها ... فلقد شَبِعْتُ بخدْعةٍ تَرجيحا

* * *

أَسْمِعْ هوايَ رَفيفَ أجْراسِ التُقى ... من أُفقِ لبنانٍ وحَيٍّ سفوحا
إنّي عَلَوْتُ «حَريصَها» في دَيْرِها ... ونَسَجْتُ شِعْريَ عنده تمديحا
ورأيتُ «جنُنْيَة[1]» كالعروس ورِجْلُها ... في البحر توشكُ أن تكون سَبوحا
هيَ كالمسيح: على المِيَاهِ طُيوفُها ... وعُطورهُا منه ابْتَدَعْنَ الريحا
فَدَعِ المُدامَ بكَرْمِها في عيدِها ... تُرْو الغَبوق ولا تَفُتْكَ صَبوحا

* * *

(١) جونية.

حنين إلى المدينة المنورة

خلّ الحبيب ليومك الماتع ... وأنشد هواك مع الصّفا الراتع
مالعيش لولا الحب محتمل ... فالحبّ بلسم سحره الشافع
جفّت ينابيع الحياة إذا ... ما أقفرت من بسمة الوادع
عجبي لذي أذن مغلّقة ... كيف استطاع وسيلة السامع
الودّ نادمني كأن له ... كأسا تجول بشرب هامع
انّي أتيت إلى الدّني بددا ... أبغي شقيقا حبّه نافع
قالت لي الأم الحنون أما ... يكفي وجودك أيها الضّائع
وأبوك راح رهين متعبة ... حتى انتهى خفّاقة النّازع
واليتم في عينيك مطفلة ... بكّى عليك بدمعه النابع
حتى كبرت فصرت شاعره ... ذكراه عندك لحنك السّاجع
قالت: تعال نزر ديار هدى ... فيها الرسول بنوره السّاطع
أ (محمداً) هذي يدي بسطت ... تبغي لقاءك في المدى الشّاسع
كنت الصّغير وجئته معها ... وفؤادها للقائه خاشع
ثم انطوى عمري وعاودني ... من بعدها حبّ إلى الجامع
فأتيت روض الخلد معتصماً ... ابلودّ أسجد سجدة الضارع

ونزلت في كرم بعاطرة ... من حاتميّ صيته ذائع
تحت العشايا كان يطرفني ... بالشّعر في أدب له بارع
وله الحديث عن الرسول بدا ... في نصّه مرفوعة الراجع
بأبي الرّسول وطيب معهده ... وعلى (المدينة) أنسه الشائع
بلّغ سلامي أهل دارته ... في خزرج والأوس لي طالع
تلك الطيور على مآذنه ... وقبابه رفّت على الهاجع
أحلام ليل صبحه فلق ... من نبع خمرته أنا الجارع
شوقي إلى الصحراء بلثمها ... من رملها بنت التّقى الرادع
هفّ النّخيل على مباهجها ... فغدا أمان القلب للجازع
أترى أعود لزورة شففت ... روحي تنادى وجدي الهالع

* * *

حيّ (المدينة) في مفارسها ... وانشق برياها الهوى الناجع

* * *

الطائف

أنا في قمة من المجد واقف   أسأل الريح في مهب المعارف
أين دارات عبد شمس وقيس   في شفوف النجوم فوق المشارف
طفت بالطائف اتسني كأني   طائر رف في جنان الرفارف
ما ابترت الضحى وللشمس وهج   ناعم اللمس مثل وشى المطارف
قلت يا رب نعمة الشام وافت   في بساتينها تليداً بطارف
ومقامي بمكة عند واد   ليس فيه رطب ولا فيه هاتف
غير أن البيت الحرام شفاني   من حرور الحشا ونعمة عاصف
وكرام تسلسلوا باطعامي   من صحاب الرسول فيهم معارف
وزعيم لهم على الفكر يمسي   ولدى الصبح للحجا هو آلف

* * *

في الأزهر

يا بِنْتَ شِعْرِيَ جنّبي المِزْهَرْ
ودعي الفؤادَ لليلة الأزهَرْ
تحت المآذنِ والقِبابِ أرى
رؤحاً تموُجُ بسنْدسُ ٍ أَخْضَرْ
وأكاد أسمع ملحماتِ وغىً
من رواياتٍ فَنُّها أَشْعَرْ
مع حمْحَمات الخيل صرختُها
بفوارس من أشعَثٍ أَغْبَرْ
يغْلي النداء على معاركها
في ناصرٍ ربك الأكبر

* * *

كوكب أحمد

نادى بشيركْ يا أوان المولد   فاهتزت الأكوان ترنو للغد
قالوا وإن الليل مرخ جنحه   لبى الحجاز به أرق الأبرد
وجبال يثرب رددت آطامها   صوتاً من راهب متعبد
هب النيام إلى السفوح فشاهدوا   وجه الدجى يبدو بوجه أسعد
سألوا أخا الكهان عن سر السما   فأجاب هتافاً مشيراً باليد
طلعت بهذا الليل أعظم آية   وبدا على الكون كوكب أحمد

* * *

يا ليل آمنة الحنون وعندها نسوان مكة حاضرات المشهد
يلثمن أدمعهن عنها رحمة ويدرن بالأحزان طرف مسهد
أذكرن عبد الله مات وقد سرى يبغى الهدية للوليد الأمجد
فرحاً بمعسول الإياب فهاله غول الممات ولم يعد في الموعد
وتأودت ذات المخاض وحبيته قال عهد الله ذاك المفتدي
إلى أرى الأملاك تبلى حوله وأكاد أنظر في المكان الأبعدّ
المسجد الأقصى يلوح لناظري وأحس روحي رفرفت في المسجد

* * *

ولد اليتيم فلففته بصدرها واليتم للإنسان أشقى مورد
كم يتم كان درة عصره كانت له الآمال أنفع مرشد
كان الأنام قبل عهدك نوَّماً في ليل جاهلة سحيق المرقد
بالدعوة الكبرى لقد أيقظتهم وهديتهم صوب المعاش الأرغد
فمضوا على هام الأسنة في الوغى يبنون عند الهول دحر المعتدي
عقدوا الخناجر للجهاد ويمموا عظة بأن المرء غير مخلد

* * *

يا ليلة الميلاد عهدك في الدنى للمؤمنين غدا أعز الأعهد
المجد نام وأنت يقظى خاطرٍ نبكي له في هجمة اليوم الردى
أمحمد ياسر أسرار النهى يا منقذ الدنيا وأعظم فرقد
ذكراك آسية الجراح وإنها قبس لمصباح لنا لم يخمد
بدلت تاريخ الأنام بحادث خلَّى الزمان بنور هديك يهتدي

* * *

خطرات مكية

ومدّججون سلاحهم تقوى مرّوا عليَّ فحرّكوا البلوى
بأبي وأمي ما أعاينه من طيف تاريخ بهم يروى
سبقوا إلى الإسلام واستبقوا حمل الصّعاب وما أتوا شكوى
ضاقت عليهم مكّة وغدت لهبا به جنباتهم تشوى
وإذا العشيرة أنكرت ولدا من ولدها سكبت له النجوى
والأرض دار كان واسعها سب الخلاص وعنده السّلوى

يا هجرة كانت محمّلة ... أحزانها، ببعادها تكوى
قل للمدينة، آل خزرجها ... والأوس: ليس فخاركم يطوى
رقد الرسول على ظلالكمو ... في روضة للحشر لا تذوى
عام جديد حلّ دارتنا ... ليجيء بالخير الذي نهوى

* * *

مِشعل الصحراء

جاءَ الربيعُ بشهرِهِ الشادي ... فأثارَ ذكرى الحبِّ في النادي
والذكرياتُ خواطرَ سنحتْ ... عشنا بهن برائح غادي
هي كالطيور لدى مكامنها ... نامت بلا صوت ولا عادي
حتى تحركُ حلوَ مضجعهِا ... يدٌ لامس أو خطو مرتاد
فتهب تملأ ساحها، ولها ... طرب تردد عند أعياد
أو رنة العبرات تخنقها ... فتنوح في محزون إنشاد
يا من رأى الأطيار ساجعة ... ووعى لها مكنونها البادي
يا ليتني معها على فنن ... لأكون فيها بين أنداد

* * *

ركبٌ مشى والشمسُ لافحةٌ ... فوقَ الرمالِ بجمرِ وقّاد
من منبع الصحراء مطلعُهُ ... وطوى الفيافي نحو آماد
حمل الحجى والخيرُ مشعله ... تبدو بشائرهُ لرواد
صحراء، يا عز الدنى رقدتْ ... في رملكَ المسماحِ أجدادي
ردوا علي رفيف واحتها ... ونخليها في عهد اسعادي
هي بحر أحلامي بلا غرق ... أنا سابحٌ في مائها الهادي

إني طبعت على مجاثمها ... قدمي لدى سهل وفي الوادي
ورجوت ريح الصبح تملؤها ... ويدوم مرتعها لقصاد
أنظر إلى الأشعار، إنَّ لها ... منها المثالَ كوشي أبراد
«الصحصحان» قصيدة نظمت ... أبياتها ببديع آباد
فيها القوافي نغمة عزفت ... يسري على تردادها الحادي
لملم هواي على مرابعها ... والليلُ حثحث نارَ أجواد
رغمَ الحضارةِ لستُ أبرحُها ... وعلى الحضارةِ ألفُ زهّاد

تحتَ الخيامِ لضجعتي وله ... بالعربِ، عنعنةٌ بإسناد
وتطيبُ ذكراها ويحزنها ... من في الخيام اليوم من صادي

* * *

هات الربيع على اسم أوله ... واشفع معانيه بإمداد
ذكرى الرسول محمد وبه ... فتح الفتوح بنور ميلاد
تروى القصور على ترادفها ... مجداً له من خلف أمجاد

* * *

قل للحسام، بلثم صفحته: ... تحيا السيوف بغير أغماد
كان الرسول محارباً ولقد ... هتفت له الذكرى بميعاد
كفكف دموعك ما أفاد بكى ... واجل السيوف ليوم إعداد
فالعرب والإسلام معتصم ... والله عونهما بإنجاد

* * *

جبال مكة

حرت في مكة بهذي الجبال ... برزت في الهضاب أو في الأعالي
أحدقت كالسوار في المعصم القدس ... وأوفت على ديار الجلال
عرفاتٌ عرفتُ فيها حنان الروح ... فاهتاج في رباها ابتهالي
وتفكرت كيف صيغت من الصلد ... حراراً مسفوعة الأطوال
تتلاقى حينما وتلتف تارات ... وتنأى على المدى والزوال
تنفث اللافحات في وهج الشمس ... وتحيا في صبرها المتوالي
جلتُ في لاهب من اليوم منها ... لا أرى عندها شبيه ظلال
أين أشجارها فلا غصن فيها ... يتندى تحت السما ببلال

علمت أهلها الاقامة والحب وجالت في العين كل مجال
نزلوها على السفوح بدارات تدانت مشمورة الأذيال

وعلى هامة التلاع بيوت كالصوامع أغرمت باعتزال
أين نبع بنصب منها كلبنان تهاوى على هواه خيالي
نضبت نبعتي وكلّ بياني ليس عهدي بالشعر عهد كلال
قلت للواد كنت في غير زرع كيف أطلعت زرعة الأجيال
من رمال الصحراء أنت إسلاما ترامي على الدنى بالغلال
يتجلّى فيه النبي بقرآن ودين فدّيته بالغوالي
أنت قد جُلْت في الجبال رسول الله، يحدوك مطلع الآمال

وتغيب في حراء فيا للغار ذكراه في صميم المثال
لهف روحي على خيولك دُهما مصعدات الأنحاد بالأبطال
حلفت يثربُ لتطحِم بيداً باكياتٍ على عفا الأطلال
معشر دونه الألوف يحث الخطو في مقدم وفي إقبال
لوحوا بالسيوف تلمع في الشمس وهزوا في جنبهم بالعوالي
حثحثوا في السرى خيولاً وكان النجم يرعى طريقهم في الرعال
أتراهم قد أنشدوا الحرب حتى رددنها ولائذ بالدلال
قد تربى بها الصغير على المهد وشب الفتى لخير الفعال
ليتني كنت في ركابك أطوي الدّهر حتى أراك يوم النّزال
فاتحاً مكّة العظيمة لله بلا فتنة ودون قتال
مكرماً دارةً بها عبد شمس كان يرعى الضيفان في الآصال
ليت أني سلكت في الأبدال وتعبدتُ في العصور الخوالي
طوّفت كعبة الإله جموع من سراة قد شاركتها الموالي
بائتلافية تساوت على الأرض بدين الآباد والآزال
بعلى مكة يرفرف قلبي مثل أطيارها وتأنس حالي
وبحي من جرول في حماها قد تفيأت وراف الأظلال
ولدى الصبح والمساء جبال تتسامى بخاطري للمعالي
حننتُ إليها بعد أن هاج بي حُبيّ وقلت أيا دار الأحبة ما حسبي
وفارقتهُا لا عن قلى وتململ على مَلَّة تشوى الجنوب ولا تطبي
ففي حرّها برء الفؤاد من الهوى وكم من هوىً قد عيّ فيه أخو الطبِّ
إذا ذهب العشّاق للدير بعدما أضاعوا وفاءُ الصابرين على الحبِّ
ففيها سلو القلب من جرح غادر وفيها قنوتٌ للإله مدى القلبِ

حططتُ رحالي بين أجبالها التي تدور عليها بالسلام من الرّبّ

* * *

فيا لهفتا والبينُ أمسى مشتِّتاً هواي ومنآها يباعد لي دربي
لقد كنت أرتاد النجومَ بأفقها لوامعَ بالأشعار والفكر كالشهبِ
أحبّائي أهل الفكر في أرض «مكّة» أفيضوا كؤوس الودّ للذاكر الصبِّ
على «زمزم» قولوا لقد كان بيننا وقد طاف بالبيت الحرام لدى الشُّرب
وكانت عشيّات يطيب نسيمها نوادِرَ رطبّنَ الأماسِي على التُّربِ
رعى الله أيّاماً لنا عند «مكّة» نعيش بذكراها على البعد والقرب

* * *

طيف الهجرة

سكنوا الديار وبغتةً برِحوا والنور يسطع حيثما نزحوا
ذهبوا مع الريح الغداةَ وما عادوا فليتَ بوصلهم سبحوا
أترى على بطحائهم بطلاً متلثماً وكأنه شَبَحُ
ماجت عليه البيد في نفرٍ جابوا الرمال وبالسَّرى سبحوا
غنَّوا فرد القفر لحنهمو فحُداؤهم بالبيد منطرح
قف بي على آثارهم فهمو شغلوا الفؤاد وبالهوى جرحوا
شاق الأوالي قبلنا طللٌ وقفوا عليه ودمعَهم سفحوا

* * *

بأبي المهاجر وهو ذو فرح يسري، وكل مهاجر تَرِحُ
من فارق الطغيان حُقَّ له أن يستخفَّ فؤادَه المرَحُ
ورعاه نجمٌ منذ مولده هو نجمه ذاك الذي لمحوا
آكامُ يشربَ ضاحكته دجى فلأهلها بطلوعه فرح
تركوا الغبوق لعشر طلعته وبوجهه دون الطى اصطحبوا
أمهاجراً والبغي يتبعه وصحابه الأبرار ما رزحوا
من كان للفتح المبين سما لم يثنه الأعداءُ إن فدحوا

يا صاحبَ الصدّيقِ وارفةٌ ذكراك منها القلبُ منشرح
عادت وهبَّ العُرْبُ من رَمَمٍ ولعودةِ الأمجادِ قد طمحوا
كان الطغاةُ بأرضهم فجلوا متعسفين وفي الهدى جمحوا
لا تدعهم يوما إلى خجل فيما بغوا لا يخجل الوقح

ويحا صلاح الدين هل رجعت ... حربُ الفرنجِ وهل بها لفحوا
خدعوا الشعوب بسلمهم ولكم ... غالو السلام وباسمه ذبحوا
إنا جنحنا للوفاء وهم ... لريائهم ومطالهم جنحوا
نصرا رسول الله أن لنا ... قوما لكل جليلة كدحوا
صبروا على مرِّ الخطوبِ وفي ... يومِ الوغى أرواحَهم منحوا
مرت بي الذكرى كطيف هوى ... والذكريات مرورها ملح
فطرقت باب الوالهين وبي ... شَجَنٌ يناديهم فهل فتحوا
أسمعتهم بأحبتي هتفوا ... وبذكرهم في حبهم صدحوا
روحي تطيف بأفقهم ولها ... عبر الفضا والغيب منسرح
نار تسعرني وتبردها ... أنفاسهم هلا بها نفحوا
إن عز في الكتمان بعد همو ... فاحو الهوى المشبوبُ مُفتضح
أذنبت في الشكوى فحق لهم ... هجري فليت على النوى صفح

* * *

شوق

طاف بي وجدي لدى قبر الرسول ... ولروحي شهقة عند الوصول
كنت طفلاً حين ألممت به ... ولأمي زورة ملء الغليل
تتمنى في ثراه رقدة ... و «بقاسيون»[1] غفت بعد القفول
دارة الوحي متى موعدنا ... فلقد طال على الشوق هديلي

٤- الوصف والتصوير

أنطلياس

عداك الهوى أن يطغى أو يحرق ... وفداك في الأغصان كل مطوّق
حمامة انطلياس، ما أسمع الندا ... من الخلد إلا ذو النداء المروّق
على مرح أزهار ملأن صبابتي ... من الطيب عند البرتقال المعلق
سرحت بإلهامي على صفو لمحة ... وقلت لأشواقي مدى القلب أشرق
أبيتا بدا في قمة الصوت غنني ... مغانيك ضمت كل لحن مرقرق
وقفت على نبعيك ظمآن من غد ... سيملؤني شوقاً لحلم مزوق
وخافق أحلامي يتمتم رقية ... من السحر أن يلمم بها البحر يغرق
فيا بحر لا ألقاك إلا بموعد ... لمؤتلف الأمواج يطفو بزورقي
أمجداف الحان سموت برغبتي ... لعلي من ضهر المجرة أستقي

حرام على الأذان أن تسمع الغنا من الملا الأعلى بغير تسلق
ادنها أساطير أصاخت لصادح فارقصها في الصحو لحن مشقشق
فداه أساوير الحسان وما احتوت على كل فيروز موشى منمق
أسفت لأبيات من النظام جسمها لئن فارقت روحا من الصوت تمحق
ترددها الآفاق ممسى ومصبحا وتحسدها الأشعار في شوط مسبق
هزاران حفا عندليباً بروضة هما رفدا فن الإله بشيق[(١)]
لئن قال في لبنان شاعر فته سفيرتنا فيروز للنجم ترتقي

ففي جلق ناجيت وهمي وخاطري وقلت لأيام الشبيبة أورقي
إلى الله فيروز سفيرتنا، التي تصفت مصوفي سما في التعشق
تغنت فزاحت عرش (فون) وسلسلت على الوتر الأسمى أنا شيد مغدق[(٢)]
تصلي بمحراب الغناء ومادرت بهيمان في فن الإله بجلق

* * *

---

(١) يقصد المحاسني بالهزارين، الرحبانيين الموهوبين، وبالعندليب فيروز.

(٢) فون إله الحقول في الأساطير اللاتينية، إذا غنى بمزماره سجد الغاب.

النشيد الثالث والعشرون

من الملحمة العربية

على أطلال تدمر

ألِهام شعري هذه اليوم تدمر ... تقهقه فيها الجنّ والريح تصفر
أعمدةٌ يغزلن والدهر خيطها ... فثوب البلى في وشيهن محير
يوشحها نبع الصباح بمطرف ... ويشملها من مطلع الشمس مئزر
كغيد لبسن الأرجوان تعله ... ولم يكفهن الحسن والجسم أسمر
نسيم الصبا من بينها هفّ ضحوه ... وراح يناجيني وقد رحت أشعر
ورفت على شجوى خواطر حلوه ... ندايا كأنفاس الرياض تنور
وهاج لي البلبال طيف رأيته ... يفوح برياه على الشعر عنبر
وسيلة شعري أنت طوّفت تدمرا ... فمنك على أطلالها هبّ عبقر
بعثت بها العهد الدفين فهيكل ... يعج بقضاء إلى «بطل» تجأر
وروما تسعى في ضجيج زحامها ... إلى ملعب والأسد ترغو وتزأر
أميّادة الأقراط في القوم أقبلت ... يحف بها زنج ويحرس عسكر
ذكرتك (جُلْيَا) إنَّ «سيفير» في الوغى ... ومن أجل هذا الحسن في الحرب ينصر
وللحب تيجان أعزّ من التي ... يتوج فيها هامة المجد قيصر

* * *

حرقت بخوري في مجامر عسجد ... وعن ذنبي المستور جئت أكفّر
كأني بأقواف الحسان رواقصا ... وقد رنح الأقدام في الرقص مزهر

وقيثاره رنّت على مسرح الهوى ... فماد لها في فتنة الليل سمّر
فناغيت أحلامي على صوت موكب ... يحف إلى صرح وحاديه يزمر
أحاجب، من يبدو على العرش باسما ... ومن حوله القواد حشد سُوَّرُ
أ «زينوبيا» هذي، فديت بهاءها ... أشمسا بدت والليل في الأفق مقمر
دلفت إليها والخيال مروع ... ووهمي في درب العلا يتعثر
أنفحة ريحان تديرين منها ... على الشعب أم نور من السحر يطفر
ملكت بعقل زاده الحسن قدرة ... فأنت على الآباد ذكر معطّر
أزنبقة الصحراء تفنى أزاهر ... وزهرتك الرّيا على الدهر تنضر
كأني بأطلال القباب عشية ... شواهق والصّقّاح سوق وأدوّر

أتيتك بالماضي قوافل جولتْ ... مناسمها البيداء والدرب مقفر
لأسأل عن قبر «أذينة» عنده ... بجفنيه مفتاح وفي الصدر خنجر
فرحت إلى وادي الفناء أزوره ... ولون المسا في صفحة الغيم أحمر
مقابر كالأبراج، راحت لصوصها ... بأمواتها فاللحد أشعث أغبر
لها في نشيج النوح شكوى لربها ... إذا طافت الأرواح أو حان محشر
رثيت لها والحزن ملء جوانحي ... لمجد عفا ثم امَّحى فيه مقبر
تذكرت أشجان المعرّي عندها ... على ضحكة الأزمان وهي تقدر
دفائن كالأطباق قامت لحودها ... ومن حولها الأصنام فن مكسر
أصرخة منكود بعُمْر مُضَيَّع ... ترن بجوف القبر بالشر تنذر
أرى اللعنة الصماء جزية حافر ... لرمس به من أهل تدمر معشر

* * *

وقفت على أطلال تدمر أجتلى ... أساطير مكتوباً بها الدهر أسطر
فكّرتْ على عيني السنون كأنها ... مواعظ ترويها على الأرض أعصر
بكيت على الإنسان يفنى وتمحى ... حضارته والدهر ماض يكركر
فيا أدب الأطلال هيجت خاطري ... فدمعي على أحجارها اليوم يهمر
ديار الأحبا ما عفا بعد رسمها ... وخوفي يعفو رسمها وأعمر
وأقتل ما يلقى المحبون في الهوى ... ترحّل محبوب وآخر يصبر
كمثلك عشنا يا امرأ القيس نجتني ... هوانا ونأسى أن نرى الدار تقفر
فيا مرمر الحسن الذي فيه روحه ... قصيدي تمثال لفنك مرمر
نقشت عليك الحب لهفة لوعة ... أذوب بها والسر في القلب مضمر
أقبل مغناك الحبيب وإنني ... على ذكرك الفتان أبكي وأحصر

* * *

البحر

يا واسع الآفاق يا بحر ... حارت بك العينان والفكر
تهتاج غضبان المدى فعلى ... حذر الشطوط يهابك الصخر
ماذا تقول وأنت تصدمه ... بنثر مائك، هل هو النثر؟
وإذا هدأت فأنت شاعره ... من أي وزن عندك الشعر؟
راح الخليل يا بحر فتنت ... ولأنت أجملها لك السحر

* * *

حل المسا والشمس دافئة ... نحو المغيب وقرصها جمر
كانت توارى مثل غانية ... غطت بكساء جاده العطر
أو مثل لعب من صوالحه ... كره لهم بالورد تفتر
وأتى الدجى وكأن حلته ... زينت بها الأمواه والشعر
مرآة نجم عند مبدعها ... إعجاز سطر حرفه در
يا صانع الأكوان تدهشنا ... نحن الفناة وما لنا عمر
تمضي مواكبنا متابعة ... وتضل فيك يردنا الفجر

* * *

ودنوت من صيادة عرفوا ... حبل الحبائل شاقهم عذر
مسك بعالم عمقه مرح ... يشفي وليس يهمه الأمر

يا ليلة فوق الخضم علا ... (هوغو) بها وأطاعه السير
كم عاشق عند الضفاف بكى ... معشوقة ما ردّها السفر
وأغذ (فاليري) البيان لدى ... حكم فخلد شعره الأمر
(البحر مقبرة) نظائرها ... في الأرض يزحم قبرها قبر
كان (المعري) رف خاطره ... بقوافل الموتى وقد مروا
وجد الوجود على الحروب نما ... فمن التعادي أرضع الضر
بحر طما الإنسان هائجه ... هل من نجا وبكفه السر

* * *

جبهة الهرم

خل الخلود لجبهة الهرم
يا من رأيت تهدم الأمم
طود به شمم وهامته
ثبتت لتشهد مصرع القمم
بنيت حجارته بمزج دم
وأجل ما يبني العلي بدم
يا هيكل الأرواح هل رضيت
روح حياة الأسر والظلم
إن كان فرعون أراد لها
حبسا فقد عادت إلى الألم
خل الكهوف لمارج عشر
ليطيل وقفته على الرّجم
أيدي النهاب سطت على كفن
لم تنج صاحبه يد العصم
ومدافن أنفت مراقدها
عند السراة تجاور الخدم
نشزت على عدل الممات وقد
ساوى مكان الرأس بالقدم
رحت المساء إلى السفوح وفي
شمس المغيب وداع مبتسم
وعلى شفاه الغيد حمرتها
شفق يخط السحر فوق فم
أما الرعاة فراح زامرها
يرمي الربوع بشارد النغم
وهفا الخيال إلى مسارحه
وأتى الغزاة وخفقة العلم
فكأن خوفي في أريكته
قد لاح في حفل ومزدحم
دارت به الكهان سابغة
أبرادها موفورة الحرم
ومضى الزمان يلف أعصره
يهتاجني بروائع القيم
حتى جلا رمسيس متشحا
بسلاحه يمضي لملتحم

يا راكب العجل الذي زحفت
أبطاله جياشة الدّهم
برزت لك الغزوات حاشدة
بكماتها في سيلها العرم
ومللت من وقع القنا فإذا
وافاك حتفك في حمى السّلم
أدرجت في الناووس منكمشاً
بعصائب لفت على الأدم
وغلوت في حب البقاء فما
ترضى الفناء وذلة العدم
حتى برزت بسحنة هزئت
بترادف الأعصار والرمم
رسم الزمان على تجعدها
طمع الحياة وطحمة النّهم
لو صح رجعك كي تشاهدها
لأصاب عقلك طائف اللمم
يا فاتحا نصرت معاركه
وأتى المنون بوجه منهزم
كيف اكتنهت الموت هل فزعت
عيناك من أغواره السّحم
طمع المزيد من الحياة رمى
قدسية التخليد بالتهم
أأفاد من دوَّى بشهرته
والدهر من صخب على حمم

كان الفنا قهر فمبدؤنا هلك ونلقاه بمختتم
يا كاتب الأقدار ما صنعت أيدي الخلود فكان في القسم
كم خالد والخط أحمله وجد الخمول له من النعم
قل لي أبا الهول الذي نطقت شفتاه: ليس القول في الكلم
أبدا زئيرك في المدى رجعت أصداؤه كجلاجل الحمم
رمزت يداك لبطش قسورة في هامة الإنسان ذي الفهم
رأى ومحض شجاعة قرنا فهما النجاح لكل معتزم
يا رابضاً كالديدبان على أرض الكنانة حافز الهمم
لتضم مجد النيل في غده وبيومه لروائع القدم
دحرات نابليون ماثلة في أنفك المقرون بالشمم

* * *

في (دار مينا) شاقني أدب نادمت فيه مفصل الحكم
تسري بأعراقي هواجسه في صحة للروح من سقم
أهوى النديم يدير فكرته خمرا مشعشعة بلا ندم
هات الصداقة في معارجها وأنل مرامي راعي الذمم
تبلى الخلائق غير واحدة وأرى أفضل الشيم
كان اللثام لماكر حذر وأخو المحبة غير ملتثم

* * *

سرح الخيال أطاع خاطرتي متمرداً باللفظ والقلم
لو تقبل الأحلام صيغ بها شعر وكان الفن للحلم
يا راقي الأهرام بي ولع أعلوه حتى المطلع السنّم
فأمد طرفي عبر منطلق حتى الصعيد ومنبت الكرم
لتحس قرب النجم ناصيتي وأرى لمصر جلالة العظم

١٩٥٢

* * *

راقصة الباليه

فراشةَ الروض، للأزهار هبات فرفرفي، ولِعُمْرِ الروض ميقاتُ
غطي جناحك بالألوان وانطلقي، شتيتة البينِ فالآفاق أشتاتُ
هل البراعم تهوى في تفتحها، تقبيلةً عندها العشاقُ أمواتُ
رَقَّ الهواءُ وطابت منك نسمته، نشوان دارت عليه الليل كاساتُ
نحن الفناة وأنت الروح خالدةٌ: ذقنا هواك وقالوا بعدنا: ماتوا
لما رأيتك كالأظلال مائسةً طوحت عمري بوادٍ فيه آهاتُ
ميلي ممال الصبا حتى تهدهدني أنغامُ خطوٍ لها في الجو موجات

* * *

موارةٌ أنت يا غيداء في شررٍ: كررت نفسك حتى قيلَ غاداتُ
الشعر لا فاحم جَعْدٌ ولا عقد: لكن كميت له عطرٌ وهفاتُ
أكنت طيفاً فطوَّفْت الوجود سرى: شبحاً يهيم له في الفن غاياتُ
على أنامل رجل تخطرين، كما فزت وعول وضمتهن غاباتُ
جنيَّة الحسن في أنسيةٍ خلبت: لبست خفاً له في الرقص ثاراتُ
وجدت بالساق «بفلونا» مروعة فرعت، واستفحلت فينا الجراحاتُ
جازيت نفسك عن تأريق أعيننا لمّا أتاك الهوى تحدوه أنَّاتُ
لا يعذب الفن إلا في عزوبتهِ، فإن تزوج كانت فيه غصّاتُ
هل تسمعين على الآبار باكية. لها أناشيد ترويهنّ توراة
ضعني على قلبك الخفّاقِ ميسمُهُ فالحبّ كالموت تجريه السماواتُ

* * *

النجوم

حار طرفي والنجم يعرض فنّه ... يتلالى على مطاف الدّجنّه
أعيون تطارح الأرض هدبا ... رف فيها الفتون حين بعثنه
كان نهر الوجود ظمآن حتى ... شرب الليل فتنة بعد فتنه
يا أحباي، أين نجمي مطل ... شارد في الفضا بغير أعنه
أين نجمي دوَّختُ طرفي عليه ... في صحارى النجوم ضيعت حسنه
إنَّ روحي مثل الشهب فنوحي ... عندما تبصرين شهبا مرنه
يا جمال المساء حسن الدراري ... شغل الحاليات عما لبسنه
رب ليل والنابغي اجتواه ... كامرئ القيس والمعري أجنه

بت في ظله أنادم شعري ومن الفرقدين أنضج وزنه
أعيون الدجى تطلين حيرى مثل من أودعوه في الليل سجنه
مشعل جنب مشعل، أصحاب وقفت للزمان ترصد محنه؟
أم على الكون ديدبان دؤوب عسعس الليل فهو يحرس أمنه
طالعات، لوامح اللمح، قولي: أولم تعرفي على الشجو أنه
علمينا الصبر الجميل ومعنى في غداء الخصال في غير منه
يخفق النجم مثل قلب ولكن ما رماه الأسى ولا ذاق حزنه
يا مجال الأرواح والسحر والشعر خفاقا إلى حماك صعدنه

يا حناني الذي نأيت وعفت قبرك الريح بعد تسكاب مزنه
أنت كالنجم خالد تتراءى سفراتي عليك مهما يضعنه
إيه يا ليل يا نداء الأغاني يا ستاراً أرى الدراري نسجنه
سبقتني الأعراب تلقاك هديا فوق قفر والنوق في الليل سرنه
أنا ضيعت في بواديك حبي وبواديك وحدهن عرفنه
ربما حار في السماء كنجم لا يريني على المجرة لونه
زهري في المساء لاح وفي الصبح فيا ليتني أطاول غصنه

* * *

النجوم

حار طرفي والنجم يعرض سربه   حين قضيت ليلة السهد عذبه
أعيون تغازل الأرض حتى   هب غمر النجوم في اللمح هبه
كأن نهر الوجود حبا فبات   النجم ظمآن في الليالي لشربه
يا أحباي ما لحبي ماض   كل شيء يحول إلا المحبه
سقط الوصل من حساب حبيبي   فهواه في البعد يقنع قلبه
قال جذب النجوم حب ولكن   لا وصال، وكان في الوصل نكبه
دنّس العاشقون كل غرام   جعلوه لشهوة الجسم رغبه
أنا أهوى من لو شكوت إليه   لقضى من تكتمي فيه نحبه
كم جريح قضى ولم يدر راميه   ولو يستطيع كاتم ربّه

* * *

أين برجي دوخت طرفي عليه   في صحارى النجوم ضيعت دربه

* * *

الفحص

حل النزال فها هو الأسد ... تمشي القلوب إليه ترتعد
وجه تلوح صفرته ... أو جبهة بالنور تتقد
صفوا صفيف الحرب واشترعت ... أقلامهم فكأنها عدد
سهر تحثحثه غرانفة ... وكرى يغذ بفتية رقدوا
إن الحياة كفاح مجتهدٍ ... غلابها من ظل يجتهد
وأشد من حشد الجيوش قوى ... كتب الثقافة حين تحتشد
شمت الوقيعة، حين طفت بها ... قفراء ليس بساحها أحد
فسألت أشباحاً مناضلة ... أين الكفاءة؟ فقيل ما وجدوا
فطويت آمالي على آسف ... جند قد استخذى ولا مدد
تلك الزجاجة ما لواهنها ... عند التاجر والردى جلد
عبرت بها الأعوام تحطمها ... ولكسرها يجري بها الأمد
أما الحديد فما لصامده ... إلا البقاء ولو أتى الأبد
النملة اكتسبت بموسمها ... ولهابه صرصوره الغرد
فكر بقابلة إذا حلكت ... عما من الجلى غدا تلد
ازرع قبيحاً شئت أو حسناً ... ما قد زرعت اليوم تحتصد

٨ حزيران ١٩٣٥

* * *

البشر والقمر

هبطَ النسرُ على سطح القمر ... آيةُ الإنسان مذ عصر الحجر
خلِّ أسبابَ الدنى موصولةٌ ... بعد أن باتتْ بسحرٍ مستحر
ملأ البدرُ الليالي فتنةً ... يغزل النورَ وبالحسنّ بدر
باسمُ الوجه على مر الوفا ... غاب عن أحبابه ثم حضر
دار في الأفق على بعد المدى ... ينظم الأيام في الشهر الأغر
هو ميقات لنا في عيشنا ... أبدعته يد ربٍ مقتدر
فله في البحر سَبْحٌ دائمُ ... حين مدّ المد والجزر انجزر
وندامى الشعر باتوا طلعا ... في الدجى نحو حبيب قد شعر
والأغاني ملء أسماع الملا ... بالتلاحين وبالذكر العطر
لو جمعنا كل ما قالوه في ... طلعة البدر لهالتنا الصور
غنني اللحن على أضوائه ... في ليالي الشوق إن حب غدر
وجهه من وجهه مستمتع ... نوره من نوره صف الطرر
هادئاً كان على آماده ... ومن الود وبالنجوى سفر
غير أن العلم في بحرانه ... هبَّ يلقاه كما كان القدر
فعلا الإنسانُ آفاق الدنى ... يمخر الجوَّ وبالنارِ هدر
صعد الأجواء في منطلقٍ ... بادئاً عصراً زهت فيه العصر
حَطَّ فوقَ البدرِ في مركبةٍ ... عجبَ الدهر لها ثم انبهر

ويك يا إنسان، لا ماء به ... لا ولا ريح بهفهفات تمر
وبه الحر جحيم هائجٌ ... يتنزى الخطو فيه بشرر
قلت للآداب يكفيك الهوى ... من بعيد ويلاقيكِ الحذر
حان مجد العلم في إبداعه ... وهو مشهور بتسديد النظر
بلغ الإنسان إعجاز الحجى ... فاتركيه في مناه يستقر
وانسجي الأشعار في مرثية ... لحبيب كان بالشوق غبر

* * *

يا بني الدنيا وذي بادرة ... دلت العصر على فوز البشر
رب حسناء تمنت عقدها ... جوهرا يزري بأشتات الدرر
تستزيد الدل في زينتها ... بحصى نالوه من سطح القمر

* * *

الكوكب الجديد

أطلقوه لكي يدور الفضاء ... ويجول السديم من حيث شاء
هو عقل الإنسان ملّ من الأرض ... وحثْ الحبوب يطوى السماء
ما كفاه التحليق في الجو حتى ... راح عبر الأثير يبغي العلاء
وأشارت آلاته بنداء ... أترى من يجيب فيه النداء
ها هم «الروس» بالرؤوس أغاروا ... أبدعوا في الوجود نجما تراء
فأضافوا للشمس كوكب علم ... عبقريا وحمّلوه الرجاء

* * *

أيها البدر ما بعدت، فدعني ... أتملّ الدجع لديك ضياء
طلب الفن فيك أحلى خيال ... فسبيت الغناء والشعراء
ثملاً كنت في هواك وقلبي ... فأتخلّى ولا عرفت رياء
لست وحدي المشوق فالأرض ... نشوى والمعاميد يحلمون لقاء
إن نعش فالمزار أضحى قريباً ... بوصال تهفر له أشراء
مركبي كوكب، إليك وحسبي ... أن روحي من قبل طافت ولاء

* * *

يا نجوما مللت مطلع حسن ... ترسلين اللحّاظ والإغراء
أنت في العاشقات تبدين نجوى ... هي غمز العيون رغن سناء
سيزور الإنسان حسنك حبا ... وحنانا فلا يصيب عناء
كان نجم المسار سولك عندي ... كل ليل وكم أحب المساء
ومراح النجوم أرواح ولهى ... ربطوا في ترابهم أسراء
فك أسر الإنسان في الأرض ... فاهتف لك حرية تزيل الشقاء
يولد المرء والمطامع فيه ... وهي تزداد ما يزيد رضاء
غير أني أخشى المصير ليوم ... صار للمرء في النجوم سباء
خلنّي في الثرى فمنه طلوعي ... وهو أبقى على عظامي وفاء
وإذا مات كل موت فمنذا ... من ملال الخلود يهوى الفناء
فابغني منزل «الثريا» فداري ... تلك، من قبل أن أحور هباء

* * *

ممثل

أنا الممثل في لذ وفي ألم … ترى على ملعبي أفواج مزدحم
بي الرواية مأساة ومهزلة … فصولها العمر في موت كمختتم
بدا الممثل والأنظار تأخذه … عليه أصباغ وجه حلوة القسم
فأندر الناس حتى أغربوا ضحكا … ونفسه يرتميها الحزن بالحمم
وأرخي الستر ثم ارتد مشهده … فجيعة أفظعت في صرخة ودم
بكى له القوم حتى احمر أعينهم … وقلبه هانيء كالرقص للنغم
إن العفاف الذي في الطهر منغمس … عاثت به يد مغتال ومغتلم
يقول لي حاتم أنت السعيد ولو … يكون ما قال ما مر الشكا بفمي
أظهرت أشياء قد أبطنت ناقضها … حتى يراني حسادي أخا نعم
لا تنظر الظاهر المكذوب رب هوى … غناه منتعش أبلي من الرمم
يا شارب الظمأ استمتع بمنبعه … وكل غداءك أكل الجائع النهم
وقل لصاحب قنديل النهار أما[١] … كفاك نور من المصباح في الظلم
رأى الحقيقة تزييفا نعاينها … من الطبيعة بين الكون والعدم
فزاره الملك الجبار يسأله … ما تبتغي لك من مال ومن حشم
فقال: تنزاح عن شمس فصاح به … لكنت مثلك لولا الملك في الأمم

١٩٣٥

* * *

أسمهان

حلم صوت ترى رآه الزمان		حين لاحت في حفلة أسمهان
عندليب من عالم السحر آت		ما احتواه روض ولا أغصان
جعل للعلي غناء، فإن شئت		مصيدا صاحت بك الفرسان
إباء تهلك الشفاء عليه		دون جدوى ويهلك الظمآن
غير أني في هدأة الليل يرميـ		ـني إليه الخيال والأحزان
أيها الناغم الحنون فداك السمـ		ـع من قبل أن فداك الجنان
أنت ملء الدنيا بصرخة آهٍ		وأنت المخلّد المفتان

* * *

زيارة العيد

سَرَيْتُ نحْوَكِ لا أهتابُ منآكِ ... والشوْقُ يطالُبُ قتلي قبلَ لُقْياكِ
هَبَ القطارُ وهبّ الجَوُّ يَنَفحنُي ... مِنْ نحوِ أرضكِ يُحييني بِريَّاكِ
حججت حسنَكِ في عيدي وما اختلفت ... عِبادتَي للَّذي بالحُسْنِ سَوّاكِ
إن طُفتُ في الروْضِ مِن حُي يخيّلُ لي ... في صفحةِ الماءِ أو في الزهرِ مَرَاكِ
وإن عكَفتُ على كُتْبي أدارِسُها ... تطلعَتْ من سُطورِ الكتبِ عَيناكِ
كأنني أنتِ في المِرأة أبْصرني ... حتى كأني كالمجْنونِ أهواكِ
أطرقتُ كالصّنمِ المنصوبِ مُنذهلاً ... من طولِ مَادَقَّ في الأوهامِ مَعناكِ

* * *

يا بِنتَ شِعرِيَ في لَيْلي وكم سكَبَتْ ... قريحتي حينما أخلو لِنجواكِ
دَعي المباسِمَ من أقصى أعِنَّتها ... حقَّ البُعادِ ارْتوائي من ثناياكِ
أمَا سَمعتِ صِبانا حينَ قال لنا: ... منَ بعدِ عَمْرِ وُرودٍ عُمرُ أشواكِ
من خَلفنا الدهرُ مُهتَم لِغْزوتَنا ... تَعالِ نَضْحَكْ عليه جَهدَ ضُحَّاكِ
لا أحسَبُ الدهرَ إلاَ من عَواذِلنا ... يَوَدُّ في حُبَهِ لوْ كانَ أغواك

* * *

غَدا أعودُ إليَ أمي وإنَّ بِها ... مَنَ التَّحَنُّنِ والإشفاقِ شرواكِ
يا ليتني بكِ عَوْدي نحوَهَا بَدَلاً ... من أنْ أعودَ وما بي غيرُ ذِكراكِ

* * *

أوابد الأقصر ومفاتن أسوان

أيا ربة الشعر في الأقصْرِ فداك العصور فلا تقصري
أبين النخيل ووادي الملو ك تتيهين في الأخضر الأشقر
وروحك تغدو سماويّة تزور الفراعين في الأقبر
تطيفين في مسرح الخالدي ن كأن عشت في سالف الأعصر
وأين الخلود ورهن الغناء كبار تساوت مع الأصغر
مضت في غمار الزمان السحيق ولم يبق منها سوى المخير

* * *

أجوف الثرى، ملجأ الغابرين تتسبه أهلوك للمحشر
عكفنا نساءل أنباءهم كأنّا لأخبارهم نشتري
وجئنا (رعمسيس) في حربه يموج على موكب أغبر
ومن خلفه الجيش صفّ لصفّ يهزّ الرماح مدى العسكر
تساق الضحايا إلى بابه وتعنو النساء بلا مئزر
رويدك نابغة الفاتحي ن تلألأت في فتحك الأكبر
هلكت، ولكن كفتك الفن ون تهاويل في صيتك الأشهر
مضى مركب الشمس» في سيره يرود المجرّة في الأنهر
وراحت به النفس ترمي الفناء وقد زال – بالنظر الأزور
أتعبر درب ظلام الدّنى إلى ملأ بالعلا نيّر
وجسر الجحيم عليه الذنو ب تدوس على الأفق الأحمر
أ «آمون» «را» ويل يوم الحساب و «حوروس» أجنبك في السّمر
و«طيبة» عندك عبر القرو ن تضمح ناديك بالمجمر
وهيكلك الضخم ملء الزما ن يطاول بالنّاحت الأقدر
أذات العماد زهت بالنقو ش أم الجن تلعب في الأسطر

* * *

أيغريك ماض تولى لقاه وما زلت في بهجة المحضر
و«أسوان» رائعة بالجمال ترّف على الخلد في المنظر
يرّق لها «النيل» في سحره فتلبس شطيّه في أبحر
وتهدي مناديل أنسامها كعاشقة بالهوى تفتري
تلّوح للضيف جنّاتها فيا نفس في ظلها عمريّ

وجيء الشتاء ترى صيفها		من الدفء يمرح في مغمر
غلبت بها العمر مستروحاً		شبابي على عوده الأنضر
فيا دارة حلّ فيها الخلود		فديتك في ثوبك العبقري

* * *

تحية أيها الربيع

أتجديني من الهَوى بشفيعِ — راحَ يومُ اللقا وفاضتْ دموعي
يصبرُ القلبُ للمعادِ ولكنْ — ما الذي يرتجى لغير رجوعِ؟!
يسكرُ العطرُ فالأزاهيرُ نشوى — وأراها ترنَّحتْ في الزروعِ
زار طيفُ الحبيبِ أحلامَ عُمْرٍ — وانثنى مثْلَهُ بلا توديعِ
عندَ برْدِ الضفافِ جالَ خيالي — يتراءى وغابَ في الينبوعِ
غابَ في الماءِ نرجسي، وضفافي — ونشقْنا النسيمَ فيض ضلوعِ
ما رعانا الوجودُ مثلَ الأحبّا — ورعانا الوجودُ مثلَ القطيع
لا تعيدُ السنونُ ذاتي، فروحي — بلسمٌ ما يزالُ ملءَ جذوعي
يَسأمُ الحبُّ تحتَ أسوارِ قَلْبٍ — ويفكُّ الحصارَ فَكَّ خُضوعِ
أنا سبَّحتُ للإلهِ على الخضراءِ — وازددت لهفةً للبديعِ
وأفاقتْ في الدَوحِ جَوقةُ تغريدٍ — تحيّي الصباحَ عندَ الطلوعِ
وترامتْ شمسُ الضحى للندايا — تتمنّى هُبوبَ كلِّ ضجيعِ
ترقصُ الروحُ كالفَراشِ وتطفو — بجناحٍ على مهبِّ الربوعِ
هتفَ الروضُ: إنه موسمُ الخُلدِ — ونفحُ الهوى وعهدُ الربيعِ
هو كالخاطرِ الحَنونِ وديعٌ — مَرَّ في العرق وانتهى في الفروعِ
خاطرٌ للرياضِ كانَ رفيعاً — ألهمَ الزَهرْ بالكلام الرفيعِ

* * *

بحرنا الأخضر

بنتَ الطبيعةِ لملمي المئزرْ … فات الخريف بثوبه الأصفر
أوراقه سقطت مولولةً … بيد الرياح ونفخها الأغبرْ
فاهتاجت الأحزان خاطرتي … والعمر ودّع غصنَهُ الأزهرْ
زهري إذا غبرتْ مطالِعُه … مردتْ مرابعُهُ فلا تُقهرْ
يصلُ الشباب بأرضه فله … عندَ الربيعِ محافلٌ تُنشرْ
طافت مياسمُهُ على شجرِ … نبعُ الهوىَ من فيضِهِ الأطهرْ

* * *

يا رفقةَ الأصباحِ من غدِنا … من غاب عن عيدي فلن يُعْذَرْ
دعت الرياضُ بجلقٍ ولها … عهدٌ بنا لنروح أو نسمَرْ
لبست خمائلُها غلائلَها … بيضا كمثِلِ الثلج أو أكثرْ
عبقت بأزهار منمنة … للمشمش الحموي والأحمرْ
ينداحُ تحتَ ظلالِها ملأٌ … عشق الجمالَ بعالم أكبَرْ
فن الهزار يتيه مبدعه … رصد يهيم وبالغنا يُسحرْ
أحسبت أرواحاً مغيبةً … طيّ الثرى فوّاحةَ العنَبرْ
طلعت لنا في زنبقٍ وبها … خوف الذبول ويومه الأكدَرْ

* * *

الغوطةُ الغناءُ وارفةٌ … بدمشق فابغِ نعيَمها تظفَرْ
بترابها ذكرى تهبُّ بها … لبطولةٍ أبد العُلا تذكر
من سفح (قسِيون) مسارحها … حتى تغيبَ بأفقها الأسمَرْ
يأوى النسيم إلى مغارسها … فتراه بين غصونها يسكَرْ
يا من يطيف بقلبْه شجَنٌ … من حب غانيةٍ من المرمَرْ
سفح الوفا الإنسان فاغد بنا … لنعب من نبع الوفا الأغزر
هجم الربيع على مطارحنا … والدهر ردد صيته الأشهَرْ
وبسندسٍ ماجت براعمُهُ … فالشمس ترشف ماءه الأعطَرْ
يا ليتنا ننضو الجسومَ إذا … تاقت بنا الأرواحُ للمحشر
فنغطها سبحاً بغوطتنا … لترى الخلود ببحرنا الأخضر

* * *

«الصحراء»

(١)

الشمسُ لافحةُ الهجير تغري المهامِه بالسرابِ
نثرت على البيد السعير هي لا تّحب ولا تحابي
أمّ الوجود بلا مصير أولادها رهنُ اغترابِ
لمعت بنور من حرير حسناءَ ضاحكة الثيابِ
عاشت على مر الدهور هل عندها نبأ المآب؟
لو كان خوّلها الخبير ما أترعت كأس العذابِ

(٢)

ركبٌ، وضلُّوا في الرمالِ تاهوا وماجو في العدمْ
أنساهُمُوا أمل المآل وَقْدٌ رماهم بالحُمَم
غزلت لهم شمس الزوال ما أحكمت فيه الألم
يرمون أثقال الرحال وتغور في الرمل القدم
تسفيهمو ريحُ الشمال حتى يغيبوا في الرمم
صفرت على قمم الجبالِ فإذا الجبال بلا قمم!

(٣)

صحراء يا أمل الفضاء يا وَحْدةَ الفكر الجديبْ
النفس بيداء الرجاءْ ما من دليل في الدروبْ
ظمأى وما يروى الفناء ويظل ترتقب النصيبْ
يا نسمةً عند المساء أطفأتِ في الرمل اللهيبْ
وأطل مصباحُ السماء لينير أرجاء القلوب
لا قلبَ يرتادُ البقاءْ في موكب الحتف القريب

(٤)

الماء، أين الماء؟ راحْ هل حسوةٌ تشفي الصدى؟
مُدَّتْ أكف في البطاحْ رجفت ومالت للردى
خَفَتَ النداءُ فلا صياحْ والريح يتبعها الصدى
صوتٌ يعاوده النواحْ ويضيعُ في سَرْدِ المدى
السَّفْرُ جُنَّ فلا جناح كأنِ الضلالُ من الهَدى
ومضوا كما تمضي الرياح لا طَيْفَ لا خيرٌ بدا

* * *

الشلال

في مساء بين الندى والظلال رحت أشتام روعة الشلالِ
كيف ترغو أثباجه مزبدات هائجات ترمي بهن العوالي
ألهذي الأمواه ثأر على الدهر دهاها بضيعة الآمال
فأتت تنحر الثباب على الصخر وتهوي إلى الفنا والزوال

* * *

عند «دفني» أودعت أول حب ويح دفني يا وادي الأدغال(١)
حيث تصفو الأعراس في نشوة القصف وتحنو على الخمور الدوالي
تلبس الروح كل جسم جديد بعد أن تخلع الجسوم البوالي
كفراش تكون دودا فتسمو لتذوق الهوى وسحر الجمال

* * *

إن روحي كالنهر تجري فتسقي العمر صفواً أو كدرة الأوحال
أنبتت ضفتي هموماً وحزناً كسياج في شوكة القتال
وردة الحب بينها تتلظى في نطاق من لوعة العذال
رب عشق فوق التصوف عندي ينقضي عمره بغير وصال

★ ★ ★

يا جمال الربيع كل فتون لم يكن منك زائل كالخيال
وربيع الحياة ورد وعطر أين مني تلك العهود الخوالي
نفحات من غوطة الشام تحييني فيا نسمة الربوع الغوالي
إملئي الصدر من حبيب سلاني عشت في بعده أخاف سؤالي
زهره ما له ذبول فهل راح يبارى الربيع في الإقبال

* * *

---

(١) وادي العرائس في أنطاكية أيام اليونان وهو المسمى بالحربيات.

واحة

يا واحتي نسجَ الظما بعدي — النبعُ منكَ وسرُّه عندي
هدبٌ على الضِفَّات تغمرها — كزواهرِ الريحان والوردِ
عينانِ من ليلٍ فهل غرقتْ — فيه النجوم بسبحِ السُّهد
دربي تفرّع فيهما بددا — ظمآنَ ضلَّ صداه عن ورْدِ
لم تنعم الأحلامُ في ملأٍ — أحلى ولا استرخت على مهدِ
خلّي العتابَ لرجعةٍ فعلى — هام الغيومِ بعدتُ عن قصدِ
أنا مثلُ أصداقي انعكسْتُ على — نفسي وبثٌّ على الفنا وحدي
إن رف الليلُ فابتعثي — نغمَ السماءِ ووسدّى زندي
قاتلتُ أشباحي فعاودها — كرُّ الوجودِ وعاندَتْ مجدي
وتساءَل الغفرانُ ما ألمي — فأصم سمعيه عن الرّدِ
ألمي على سهلي ليه خبرٌ — مذْ كانَ نفحُ الريح في الجردِ
هل نوّحت في الحيِّ ساجعةٌ — سكبتْ أغانيها على لحدي
كنا بغيبٍ نلتقي أبداً — روحَيْنِ طارا في مدى المدّ
فعلامَ في الدنيا تفرقنا — ويلُ الجسومِ وطبعُهَا المردي
أحبابَ تذكاري ملأتُ لكم — كأسي ففيمَ منيتُ بالصدِّ
يا ليتَ أنفاسي تطاوعني — حتى أذوّيها على وَجْدي

* * *

(التلفزيون) أو (الرائي)

أصندوقة الدّنيا وأمّ العجائب ... فديت الذي سوّاك في خلق واهب
أجنّ بدت في وجهك الحلو غردّت ... لآلاف آلاف، وبكّت بنادب
من السّحر أم هاروت عاد لعصرنا ... ليبدع في الأنظار شتّى الرّغائب
فمن راقصات تخلب اللّب تنثني ... كغصن بهبات الربيع ملاعب
ومن قافزات في الجواء كأنها ... ملائك طارت في جناح مصاحب
وربّ حكيم يقرع السمع لفظه ... يؤدي لك الأفكار في نصح صاحب
وكم عابد جال القنوت بقلبه ... يسيغ لك التقوى بشيخ وراهب
وذي أدب طارت بفحواه شهرة ... فحدثك الآداب في شخص كاتب
وشادية ذات الهوى عند صوتها ... فكانت كإلهام بنجواه ساكب
بلمحة طرف من مدى الأفق تنثني ... إليك تصاوير تناءت بغائب
أمحضرة الأرواح في غير حيلة ... وأوهام سمّاع وتدجيل كاذب
برزت على مرآتك الليل حاكيا ... صداى كعفريت بمرماة ذاهب
أكلم نفسي والمرايا بصورتي ... تضاعف أشكالي على كل غارب
ويذهب صوتي في الأثير مرددا ... لدى كل بيت أو على كلّ جانب
فهل أنا من أمسى يحدّث في المدى ... أو الصورة اغتالت حقيقة صاحبي
شككت بذاتي والعلوم يقينة ... وشهّاد نفسي بين راض وغاضب

أيا ماردا قد غبت في السّحب ماله ... على الأرض لم يبرح مكانة عاتب
وفي الحيّ سمّار يودّون رؤيتي ... وكم غيرهم شاحوا بوجه مجائب

* * *

أرائية هذي الحياة بصفحة ... من السّحر جيئى بالمنى والمكاسب
إذا دام سلم الناس حلّت بدائع ... تحيّر أفكارا وتعنو لراغب
فينتقل الإنسان في طرف ناظر ... ليحيا بنجم في مهبّ العجائب

* * *

زحلة

حادي الهوى جاء بي يا زحلةَ الوادي ... وهل إلى جنةٍ غير الهوى حادي
وادٍ من الفيء لا حرٌ ولا كدرٌ ... يجلو الهموم ويُصبي كلّ مرتادِ
سألت منابِعُهُ خمراً ففتيته ... ظَرْفُ الندامى على أخلاقهم بادِ
لولاحَ في حلم الصحراء منظره ... لماج يلهث شوقاً رملها الصادي

* * *

يا عبقر الشعر ما كانت قرائحه ... إلا بظلك توحي خير إنشاد
بناتك الجن في ربع الهوى رقصت ... على الجفون وكم غنت لسهَّادِ
غناؤها كغناء (الفون) مر على ... سمع الغصون فهزت كل ميّادِ
ومال يا لاذن الصفصاف مستمعاً ... إلى المياد ببردونها الشادي
لعله يسمع الأشعار هامسةً ... ولحنُها أبداً في حلو ترداد
هن الدوالي التي أحنت عناقدها ... طيباً وشَعتْ دجى كالكوكبِ الهادي
هل عندها ذكُر من عاشت مدامته ... عيش الأساطير نرويها بأسناد
عجبت من زحلة الغّناء مارحةً ... أني رأيت بها دُوراً لزهاد
فيها الجمال ومنها الفن منبثق ... جالا بأروع قاماتٍ وأبرادِ
ورب غادية كالحور نظرتها ... تشفي السقيم وتطفي حر أكباد

ناجيتها بالهوى حتى تغيّبها ... مني مساء فتى بالحب جوّاد
هاتِ الدفوفَ وخل اللحنَ سامَرنا ... وق لأهل الهوى يأتوا بميعاد
لعلها ليلة تملأٌ جوانحنا ... من الغرام ولا تُبقي لمزداد
ذي ليلة الثأر من دهر يعذبنا ... نسلو إلى عامها عن كل أحقاد
لبنان قد مسحت كف الأله على ... أرضيك خيراً فكانت أرض إسعاد
لولا اليقين نفى لبنان جنتنا ... عنا وأحدث وَسَواساً لعبَّاد
وجال إبليس ذا سخرٍ وذا ضحكٍ ... ليفسد الدين فينا أي إفساد
ظننتُ نفسي أني إذ حللت به ... لاقِ شعوبيةٍ مالوا عن الضاد
قد خاب ظني فما فيهم سوى ملأٍ ... عربٌ صناديدَ أحرارٍ وأجوادِ
كانوا يجولون في الأصفاد فانتفضوا ... مثل الأسود وفَتُّوا كل أصفادِ

* * *

صيداء

صيداء أنت من الأعماق والصيد يادرة البحر بل يا جنة الأبد
هذي شطوطك ميثاء الرمال لها حب من الشرق لم يفتر ولم يحد
يلاعب الموج أقدام الحسان بها في رقص أسطورة جنيّة الغيد
في هدأة الليل والأجفان حالمة وللنسيم هفوف في ربى البلد
تأتي العرائس في أذيالها سمك شقر الضفائر في إنشادها الغرد
كأن (عوليس) ظل الدهر يطلبها حتى أتى المد فاهتاجت على المدد
دار الفراديس عند البحر زاهية وفي بساتينها ما شئت من رغد
جناتها في قطوف الخد دانية وعبق أزهارها يشفي من الكمد
يا حمرة في خدود البرتقال أرى فيها دماً سفكه قد جل عن قود
شممت فيك رياحين الحياة لدى عطر من الإنس وافاني على الرصد
وبنت صيدون ناجتني خمائلها روحا على السفح لم تحبس لدى جسد
ضممت نفسي إليها وهي لؤلؤة من بحر صيداء أغليها على الحسد

* * *

(نفحة الربيع في جونية)

وافيت (جنية) في الربيع الأغرد ... بلداً تظلله السقوف بقرمد
لو أن لي في العمر ساعة نشوة ... لشريتها منها بما ملكت يدي
جمعت من البلد الجمال بخضرة ... زهراء هفت بالنسيم الأغرد
ورمت على البحر الخضم رواءها ... فكأنها في الأرض دارة مخلد
دار نزلت بها كريم أهلها ... وجدت هناءتها بأمجد (أسعد)
يُحيي العروبة في أصيل تراثها ... من روح لبنان الكريم المحتد

* * *

في اللاذقية إلفة

جاء الدكتور زكي المحاسني اللاذقية، منذ حين، فاحتفى به رجال فنها يجمعهم النادي الموجي وطلبوا إليه أن يقول من أجل بلدهم شعراً، فأنشدهم في حفل كبير بدار الكتب الوطنية هذه القصيدة، سجلوها على شريط ليعيدوا إنشادها تيمناً باسم الشاعر الذي أحب بلدهم فمحا بشعره هذا ما قاله أبو العلاء المعري فيها:

قسماً بحبك يا ميليح ... لم يبقِ بعد من ذبيح
وحدي حملت لك الهوى ... حتى كفنتك بين الجروح
وغداً إذا ضمّ الثرى ... جسدي ورحت كمثل ريح
ستظل روحي في المدى ... تطوي السديم ولا تبوح
بعدي سينبت كل زهر ... بالشذى الحاني يفوح
ذكرى الحبيب هفت إليّ ... وألهمتني بالطموح
فسكبت عبراتي عليه ... وأرقته دمع سفوح
والطابيات الطيبات ... على الأعالي والسفوح
سحر حفل في الطبيعة ... بل هي الخمر السموح
عفت الصباح وسحره ... من بعد منظرها الصبيح
يحلو العبوق بظلها ... وتروق كاسات السبوح
أندى من الأمل الحنون ... ماؤها عند الجنوح

* * *

بلد كان شبابه ... أسد العرين لدى الجموح
كسبو الحياة عزيزة ... تهدي إلى الجد الكدوح
هذي العروبة في الشمال ... لها بعزمتهم رجوع
وشوطهم امّاليا ... في عودة نحو الفتوح

سل مجدهم ينبئك أيام الذواية والصروح
صمدوا وللرومان نار وغى وللصرعى فحيح

كان الخلود مرامهم ... وهواه ما عدّ الربيح
إن جددوا للجدودهم ... دلوا على الولد الصريح
جددت بالشعر البيان ... وكنت ماضيه الفسيح
لَحِقَ العروبة عابث ... ببيانها وهو الشحيح
وإذا المعاني عربت ... من لفظها أنت القبيح
فاخلع عليها حلة الحسناء ... في الجسم المليح

* * *

يا ليت شعري والغناء يحلو في قلبي الجريح

إني أبدلّ للمعري شعره وهو الصفوح

في اللاذقية ألفة ما بين أحمد والمسيح

هذا بمعرفة يحن وذا بأغنية يصيح

كل يعزز حبّه هذه هو الدين الصحيح

* * *

ناظم الغزالي

من وراء الوجود غنّ الوجودا فنداء الخلود ليس بعيدا
ولعل الأصوات تبقى كمثل الروح لا تحتوي بلى وهمودا
يا نديما سقيت أكؤس لحن والنواسيّ ذاقها عربيدا
أسكرتنا بوجدها وهواها وأثارت على الشجون عهودا
ما كفاها ريحان دجلة حتى ضمت العرب في غناها نشيدا
إيه يا (ناظم الغزالي) قل لي فيم أزمعت سفرة وصدودا
ألأنَّ الغناء ليس هوانا أبديا فنحن نلقى اللحودا
لو قدرنا رقّت عليك عيون هدبها كان للغرام مهودا
كيف سرّحت كالجناحين زنديك لكيما تطير عنا شريدا
يا هزارا بغداد روض هواه كان منها سفيرها المحمودا
فعلى دجلة شدا واحتواه بردى والمقام كان رغيدا
غننا فالغنا كما قال (جبران) يلحن الخلود صار خلودا
نحن هلكى والعمر عان و(سيرين) تنادى والبحر ماج عنيدا

* * *

حي المهاجرين في الليل

قاسيون يا جبلي أطعلت نوّارك ... تحت الدجى فملأت السفح أنوارك
أنت السماء على أرض ملونة ... ناغت كواكبها في الليل سمّارك
(مهى جرين) إلى السّهرات لاهية ... والبدر بات على أشواقه جارك
أطللت منك على الجنات ماثلة ... في ربوة الواد قد هفهفن أشعارك
وخلت راعي الهوى تنساب نغمته ... على الصّدى فيعيد الطّيف مزمارك
أرى ربيعك ملء العام مزدهرا ... فكلّ أمسيّة تهتاج أزهارك

* * *

دمشق في المعرض

نورٌ على الشامِ يغريها ويصببيها ... حسناءَ في عرسها مياسة تيها

ما كنتُ أحسبُ أن الشمس طالعةٌ ... ليلاً وأن نجوماً في حواشيها

حتى رأيتُ على الجنّاتِ من بردى ... سحراً لدى معرضٍ في الفن يبديها

تمشي على رحبهِ الإمارُ لابسةً ... حليَ الغواني وقد شعّت نواصيها

يا بحتري انتفض من نومةٍ غبرَتْ ... عبْرَ القرونِ وكأنَ الشعرُ يطويها

وانظر إلى بركةٍ سكّابةٍ رقصتْ ... فيها المياهُ كانَّ الجنَّ تلقيها

الكهرباء على حافاتها دُفَعٌ ... والماءُ في النارِ لا يسطيع يطفيها

فيها النوافرُ كالصاروخِ واثبةٌ ... إلى السماءِ تظنُّ الشهبَ تُلقيها

فأين منها مياهٌ كنتَ ترسمها ... في لوحِ فنكِ مثل الخيلِ تجريها

لا تبتئس في الهوى يا شاعري فلنا ... من وحي وصفك أشعار نعانيها

أرى الأساطيرَ أضواءً قد انسكبت ... من أسهم النار تلويناً وتمويها

كأنها أنجم ملت منازلها ... فشاقها منزل فينا يناديها

دارت معاركُها في الجوِّ طاحنةً ... مثلَ الرعودِ ولاذت في تخفيها

مباهجُ في ذرى الآفاقِ وارفة ... كأنَّ كأس الصفا قد علقت فيها

هذي أمية أمُّ الفن صورتها ... قصيدة أبدعت فيها معانيها

تسمو بجلق فوق النجم هامتها ... والغوطتان فراديس تباهيها

رفت على النيرب الأعلى مشارقها ... وفوق قاسيون قد جلت نواحيها

قل للأساطير كفي عن عوالمنا ... هذي حقائقنا تسمو مبانيها

نحن الذين طوينا الدهر خافقة ... أعلامنا وملأنا الأرض تنزيها

وللعروبيّة الشماء تبعتنا ... منها السجايا التي سحت غواديها

نُصلي العدو شُواظاً من وقائعنا ... وسيرةِ الحرب تروي عن عواديها

وفي الظلال التي هفت نسائمها ... أمنا وسلماً ندير العيش ترفيها

غنِّ الشآم بألحانِ الخلود فما ... دارٌ على الأرض أحلى من مغانيها

ناجيت في بردى صوتاً يناجينا ... والليل في المعرض الممراح يسبينا

قال الحضارة قد ردت (أمية) في ... زهو الزمان بأبراد أفانينا

أطل قاسيون لعاب النسيم على ... آفاق أنس بمثل السحر تحيينا

لو عاد شوقي إلى دنيا تألقها ... لقال رائعة في العز تغنينا

رأى الجنان على ضوء النهار ولو ... رأى مباهجها في الليل تصبينا

والنور يطفر في الماء النمير إلى ... الجو الندي لخال الجن تغرينا

فراح يقدح تحت النجم خاطرة ... من عبقريته دراً تعاطينا
وربوة الواد فيالأشعار خلدها ... غنى بها الدهر حتى صار يروينا
يا شاعري، لو شهدت اليوم غادتنا ... وعينها بنعيم الحب تشفينا
هدهدت قلبك في شوق وفي فرح ... وقلت جلق ما زالت تلاقينا
هذار شعري على الأغصان من بردى ... غنى وعاش طليق الروح ميمونا
أودعت فيه أناشيدي بملحمة ... أطلعت فيها من العرباء ماضينا
فللحماسة فيها وَقْدُ معركة ... وللتهاويل أبطال تنادينا
والعندليب إذا غنى على فنن ... فكل روح به قد راح مفتونا
إن كنت تبعده عن غصنه فله ... غصون دنياه قد فاقت بساتينا
هو الذي عاش والآداب تعرفه ... والشام دارته ما كان مغبونا
الحب أقوى من البغضاء في رجل ... قد علم النشء محبوبا ومأمونا
بالود نغسل آلاماً نطهرها ... ونبعد السهم عمن راح يرمينا
لا تلهني عن جمال عشت عاشقه ... خلف العيون فنفديه ويفدينا
لولا التبصر همت العمر أذكره ... فصار ليلاي حتى صرت مجنونا

* * *

إن كنت تسألني عن غادتي فلها ... دمي وحبي وفيها ما ترى فينا
هي (العروبة) من روح الشآم أتت ... وهي الشعاع الذي بالفكر يهدينا

١٩٦٥

* * *

حصان طروادة

ويل هكطور مال تحت القتال ... قنطر الطعن سرجه بالوبال
حطه في الثرى المجندل آشيل – ... وأحماه جمعه باعتقال
شده بالحبال للفرس الأشمس ... واهتاج ثأره في النزال
وأدار الهوان شوطاً عليه ... بعد شرط والسور دامي الأعالي
يتلظى عليه «بريام» والدهكطور – ... وأم تصيح في إعوالِ
ورماة كلّوا من النضخ والصدّ – ... وشكوا الأرواح فوق النبال
كنت أقوى من الردى وعواديك ... تحث الهلاك للأبطال
ولك الحصن في المناعة والبأس – ... يدك الرجال خلف الرجال
كل صخر قد صف ترساً بنزس ... فسحته الأهوال بالأهوال
ضَلَّةً للغزاة أيهم فيها ... كل أرواحنا، عند النزال
أيها الثعلب الذكي «أغا ممنونُ» ... ماذا أعددت من خبالِ
طال منك الحصارُ والقوم سكْرى ... من عراك في خيبة الآمال

* * *

ما يرى الناس عند حوصلة السور حصاناً في هيكل متعالى

تركته الغزاة وسْط عراء ... وسرت تهجر الحروب التوالي
علّها ملت الوقيعة والحتف – ... وتاقت للسَّلْم يوم المنال
لملمت شأنها وشالت ومرت ... ثم ضاعت على خيوط الخيال
فرحة لعلعت برد صداها ... الحصن في وجه دهشةٍ وسؤال
وأتى الليل هادئاً لبواسى ... شهداء الفداء يوم النضال
والجراح التي تمج دماها ... خمدتها أيدي الغواني الغوالي
واستراح الحراس في السور يبغون ... مراحاً في خفة الأثقالِ
واستشفت عين الرقيب حصاناً ... مثل طول فصاح: غنم بدا لي
فهوى الجمع بالمشاعل للباب – ... وفكوا جواسم الأنفالِ
فتحوا سورهم فتبدى الهيكل الفردُ ... وهو جَمَّ المنَالِ
خشب رائع الصناعة يجره ... عجل في هداة ذو إعجال
سحبوه للحصن في لعزة النصر ... وقالوا: غنم عزيز المنالِ
ثم ناموا بأعين لم تر النوم ... .
خدعة القتال صورها (هومير) ... رب الخيال رب المقال

* * *

أم كلثوم

يا «أم كلثوم» خل الحب يرعانا ... أنت التي قد جعلت الحب نجوانا
غنيت في الدهر آلام الغرام وما ... يلقى المحبون، أسقاما وأشجانا
فقلت: آه ورد الآه كل فتى ... يرى غناك له نعمى وسلوانا
قالوا بصوتك صاح العندليب فإن ... شقشقت فيه بدا في السمع مفتانا
وقيل أسطورة «أورفي» حواك بها ... فكنت من عبقر صوتاً وألحاناً
لكن، أقول وعفو الله يشملني ... فمنه صوتك قد وافاكِ رحمانا
بنت الخلود وأخت الدهر هات لنا ... مديد عمر لنحيا فيك أزمانا
هل كان عيسى به عهد إليك فلو ... غنيت أهل البلى أحييت موتانا
يا رب وجد غلا في صوت منشدةٍ ... فنبه النجم حتى بات يقظانا
أأنت جنية من عالم بعدت ... منه اللقاءات حتى ضن حرمانا
أم أنت إنسية تهفو بشائرها ... على السنين وتلقى الناس تحنانا
أطربت عالمنا حتى لقد نزلت ... في كل أذن نجاوى من سكانا
وطفت في الشرق مثل الشمس مشرقة ... وكوكب الشرق قد سموك إعلانا
ورحت للغرب فاهتاجت مسامره ... لكي ترى نجمك الوهاج مرنانا
يا عفة لزمتك العمر حانية ... على الصبا واكتهال العهد برهانا
يا سيرة ملؤها عطر يفوح على ... هام الزمان لكم عطرت إنسانا

كانت قيان لبسن العمر مثلبة ... فباعهن الشقا ظلما ونكرانا
فعشن في غمرات الحظ باكية ... قلوبهن وقد خالطن مجانا
أما «دنانير» فازدادت محاسنها ... لما بدت فيك طي الدهر تلقانا
نلت الدنانير آلافا مؤلفة ... كفاء صوت يزيد الروح إحسانا
يا «أم كلثوم» وافيت الوئام على ... شعري بإنشاده في الحفل ريانا
متى تغنينه في لحن نابغه؟ ... يعطي تلاحينه روحا وريحانا
أنا الذي سكب الأشعار والهة ... عند الرسول وناجى النور ولهانا
أمي على اليتم ربتني وقد مسحت ... بكفها عن جبين الطفل أحزانا
قالت: تعال نزر أرض الرسول ففي ... لقائه لا يعود القلب حيرانا
إني لأبدعها للعرب ملحمة ... تحوي التهاويل فيما جل تبيانا
ونجم أحمد[1] فيها منك مطلعه ... ليبدع الفن في معناه أكوانا
يا «أم كلثوم» يا نجوى الأنام إذا ... ضاع النجي وبات القلب أسوانا
يا ليت صرخة آه منك تبعثني ... يوم الحساب فألقى فيك «رضوانا»

* * *

النواعير «حماة»

نحن النواعي بنات الماء
تطوع «العاصي» للاروراء
نغرف أمواها بلا وناء
لتشرب الأرض بلا عناء
سمعت صوتك يا ناعورة الوادي
فخلت قد مال سماره الشادي
أكنت نابتة من نزية رقدت
فيه القلوب التي في حبها اتقدت
وحين صاغوك دولابا هو البادي
سريت دهرك بالإنشاد كالحادي
أرى ضلوعا يراها الحب فارتعدت
تبكي على شعلة في قلبها همدت
هذي «حماة» مدار للنواعير
يا هيكلا فيه ترتيل المزامير
لعل تسبيحه لله صاعدة
فيها رنينك لما كنت ساجدة
هذا نداء على دار المغاوير
كأنه رمز أبطال الأساطير

* * *

زهرة اللوتوس

هيّا اسألي المعبود والمَعْبَدْ كنا هنا من قبل أن نُولَدْ
ولكاهن عبقت مجامره ببخور طيبة شاق المشهد
جئنا لنقطف زهرة سحرت فَنَمسَّ فيها الخلد كي نخلد
من أعهد الفرعون نفحتها نقشت له ذهباً على المرقد
كانت لرمز الشمس صورتها وتويجها والبرعم الأوحد
زانت سميراميس فارتعشت وهفت إلى بلقيس والهدهد
وعلى ضفاف النيل منبتها نسج الزمانَ عذوبة المورد
فأتيت في أزهى العصور أرى ألوانها بشميمها الأغرد
نيلوفر يطفو بمطلعها وعلى الربيع حبيبُها يوعد
بحديقة الأُزْمان قلت لها ذات البهاء بسحرك الموصَدْ
حُلّي الضفائر واخرجي ملكاً بسماء مائك شعشع الفرقد
قد كنت غانية مُعَشَّقةً تكوي القلوب بحسنها المفرد
وتهيّب الأرباب فتنتها فأشار أكبرهم بأن تجلَدْ
فأتت لها إيزيس شافعةً لتجيرها مما به تُحسدْ
فأحالها الأرباب زاهرةً بمفاتن اللوتوس كي تعبد

نيسان ١٩٦٣ – دمشق

نافورة جنيف

ديار الصفا والأنس بر الساحل تملكت قلبا من مقيم وراحل
أتيتك والأيام تهجر زهرتي فأطلعتها عند الربيع المواصل
أنا النفس هامت في البلاد شريدة تود لقا الأحباب دون عواذل
قراش على رف النسيم بروضة أزاهيرها تصغي لشدو البلابل
وغيد اماليد كفينوس خلقها نسيج الهوى في مشيها المتمايل
يبادلها العشاق تقبيل واله بغير رقيب في ظلال الخمائل
عرفت بها فن الحياة فعهدها على العمر أن تحيا بروح مفائل
وقفت على «ليمان»[1]يضحك بحرها وقد أحدقت فيه صفوف المنازل
أمرآة جن نمنم الأفق وجهها كأسطورة أوفت على سحر بابل
أم القوم في زهو النعيم بزورق يطوفون فيها بين ساد وهازل
ومطفرة للماء يعلو وثوبها إلى الجو وسط البحر إبداع هائل
أنافورة تبغي السماء، وعزمها تهاوى فكرت كالجريح المناضل

أراك عمود الماء يسكب فيضه على نفسه كالمستحم بوابل
وخلتك «سيرين» البحار تبدلت زلالا وأرخت شعرها في الغلائل
وشلال أنغام يردد لحنه حضارة إنسان سما في التكامل
رأيتك من قرب ورقرقت صبوتي عليك وقد نولتني خير نائل

فأشعرت برد الروح فيك على الظما ومنيت نفسي منك في حلو طائل
فياليتني أطوي الشهور مجاورا لرياك أنضو الهم عن ضعف كاهل
وثبت كعزمي حين لم يبلغ المدى فعاد كسيرا في الوغى المتواصل
تشابه فينا الصبر والكر والمنى كلانا على الآمال غير مزايل
ولا بد في درك العوالي من العنا فلا تقطعي عنا وسيلة آمل
وشمتك من جو الجبال معلقا بحافلة في جريها المتثاقل[١]
حبال حديد جاذبتها من الثرى إلى الجبل الأعلى فيا غول غائل
تملكني ذعر عليها وقبلها علوت متون الطائرات الجوائل
حسدت نسور الجو لما عرفتها فيا عجبي من رأسها المتطاول
وعاد خيالي للبداة فاشبهت بدلو جسيم شده زند حابل
رأيتك يا نافورتي مثل باشق من الجو حط العين في كل ماثل
علوت ودلاني الهبوط مماثلا لشأنك، والدنيا منالة غافل
وساوى القضا ما بيننا فجميعنا من الأرض لا ندري الجواب لسائل

* * *

حماة

هذي حماة تجل سادتها ... وتطول أولى الدهر قامتها
مرّ امرؤ القيس المساء بها ... فاهتاجت الذكرى ملاحة
غنت على العاصي نواعُرها ... أنشودة للحب أَنَّتُها
دارت على رمز الزمان كَما ... دارت بأفلاك سماوتها
هي تستحم على الزمان وقد ... نثرت ضفائرها حلاوتها
ورمت بشلالاتها درراً ... تروي غرام الأرض قطرتها
الماء يعشقها فتلثمه ... جنية كالسحر قبلتها
وزعمت في أسطورة نسجت ... عبر الخيال تجول سيرتها
كانت حماة حماة غانية ... في حسنها والدل فتنتها
تتناجيان على الصفا شغفاً ... في ألفة تزداد متعتها
قال النسيم معرفاً بهما ... هذي حماة وحمص كنتها

* * *

أسطورتي مري على أدبي ... هاتي الحقيقة حيث روعتها
تحمى البيان حماة حانية ... وعلى جبين الغد صورتها

* * *

بسمة الجوكونده

هذا «دفنشي» تهاوى بين ريشات وبات يمزج أصباغا بأنات
ومولد الفن تغشاه الصعاب أما رأيت فيه الليالي ذات روعات
إن أعسر الوضع كانت فيه متلفة والعسر في الفن يسر بعد كرَّات
قال الفن وللتخليد صورته هيا انظري بافتكار طي بسمات
فطاب للشفَّة الحسناء مبسمها يفتر عن نفحة في سحرها العاتي
معنى على الفم فياض البيان، وما باحت به في الهوى آيات آيات
حدَّقت ثم أطلت الفكر منشدها يا بسمة حيَّرت حيًّا بأموات
خلف الرواء أوت روح مقدسة هام الأحبة منها في متاهات
وأولع اللص في مسلوب فتنتها حتى استسرت بآماد خفيَّات
العين تسرقها والنفس تعشقها هي الهنيَّة لكن في الشقيَّات
ضلَّت بتقليدها الألوان وارتعشت من قلَّد الشمس لم يظفر براحات
أرى «دفنشي» قد جنَّت براعته حبًّا بموحية للعبقريات
وقفت في اللوفر المختال أعبدها كعاشق طاف في الدنيا بآهات
فقلت سبحان من فاقت خليقته حد الوجود. وما نهنهت همساتي
حتى هممت بتقبيل على شفة وناب جفني عن حسي ولمساتي
أيا «جكنده» ما أحلاك باسمة لا غبت في الزمن الماضي ولا الآتي

دمشق

* * *

نسيم لبنان

منكَ النوافحُ ما رفَّتْ على الوادي ... حتى تغمَّر فيها بحرك الصادي
وما النسيمُ سوى أنفاسِ عاشقةٍ ... موصولةِ الحب لم تُلْمِمْ بأحقاد
إن رف قيل عليلٌ هفَّ في سَحرٍ ... وما أحيطَ بأوجاعٍ وعُوّاد!
يا نسمة الصبح من لبنان ما صنعتْ ... لك الشوامخ من شفاف أبراد؟
مررتِ بالعطر فاهتاجت مباسمه ... وراح في الركب لا دربٌ ولا حادِ
واهتزَّ زهرٌ تمنّى لو يذوب هوىً ... على الغصون التي راحت بميّاد
لا لونَ، لا طعمَ، إلا لمس ناعمة ... من الأنامل تسري فوق أكباد
خصائلَ الشعر من حسناءَ هائمةً ... مع الهبوب الذي يمضي لآماد،
لو ترغبين الندى أتبعت غانيةً ... ألقتْ رؤاها على لَمّاح آباد
تمشي على زهو ألوانٍ منمنمة ... تمدّ عين الصِبا للفارس الغادي
هذا «الزفير»[1] تثنّى في ملاعبه ... كأنه أقحوان الهند والشادي
وصاغه «بان» ربّ الناي منسكِباً ... على السفوح يرويّها بإنشاد[2]
تلك المظلات في تأليه رقفتها ... على الهضاب تدانيني لميعاد
عَرْفُ الصنوبر في علياء نسمتها ... وتحت أظلالها ملتفَ فُصّاد
يا طائر الغَرْب أجواز الفضاء لنا ... فنحن أصحابه في شعب أجواد
نحن النسورَ أعالينا مدوِّمةٌ ... فوق الرياح وكم تحلو لمرتاد
فيثارة الله غنّتها وحين أتى ... عهد التسابيح صاغتها لعُبّاد
رفرف أيا ذائب الأرواح في ملأٍ ... من الخلود بأغوارٍ وأنجاد
هذي جنائن أحلامٍ طوَتْ زمناً ... عند النجوم وحطَّتْ فوق أطواد

* * *

(١) «الزفير» في الأساطير اليونانية (IW Zéphyr) رمز النسيم.

(٢) «بان» إله النسيم الذي ينفخ في مزامير الأبد.

لبنان جنة المصطاف

يا عاشق السّحب هل يَمَّمْت لبنانا وهل شممت به روحاً وريحانا
روحي تطيف به في سفح جنته وفي الأعالي، فتروي فيَّ ظمآنا
إذا النسيم تثنىّ خلته قبلاً على الخدود تريك الريح ولهانا
وفي الينابيع ثلج كالفرات إذا شربت منه قضيتت العمر ريّانا
مدارج عند جنات معلقة أعنابها تترك الإنسان سكرانا
قبل العصير بها روح معتقة كان النواسيّ فيها عاش نشوانا
قد بات «حافظ إبراهيم» يحلمها فبالمصيف على لبنان غنانا
وجارة الواد «شوقي» راح يعشقها على الزمان، يزيد الودّ إيمانا

* * *

يا أخت روحي إذا حان اللقاء فلي تحت الصنوبر ظلّ هفّ بستانا
ويا (سعيد) الذي (البستان) مطلعه جاد الأزاهير في الآداب ألوانا
تضيف في متن (الشوّف) الندّى فلا والله ما كان إلا منك حنانا
هو الذي اصطاف منك الصيف أجمعه وما أرى لك ندّ الطيب إنسانا
يا واحد الفكر قد ناجيت من «بردى» لبنانك الحلو حتى صرت حنّانا
ألقى الينابيع والأشجار أعشقها وأحسب الغيد أزهارا وأفنانا

* * *

نبعة انطلياس

أنبعةَ أنطلياسَ في النور والماء ... أَزَلْتِ إلى الآبادِ حزني وبَأسائي
أتيتُكِ في مثل الغياب عن الدنى ... فبتِّ سَكوبَ الروح تَبغين إحيائي
أرى الجنةَ الفيحاءَ بكّرَ وَعْدُها ... فحلّت بدُنيانا بعين وأحشاءِ
فللشجر الفينانِ تِحنْان وارفٍ ... على الأرْضِ والإنسانِ رَفّتْ بخضراء
ثُمالَةُ كأسِ الحُبّ طافَ سُقاتُها ... علينا بليلٍ واقفِ النجمِ للرائي
فيا مجْمَعَ الأحباب في نَدْوَةِ الصفا ... أحِسّكَ في رُوحي وبينَ سُوَيْدائي
وما يتبقى في الحياةِ سوى الهوى ... فداوِ به ما حَيّر الطبَّ، أدوائي
أرى الحبّ للفانين جَذْبَ معاشهم ... فأكْثِرْ لنا في الحبّ نَحْيَ بنَعَماءِ
ولا تَذكُرِ المِصْباحَ هل جفّ زَيْتُه ... فما دامَ فيه الزيت جادَ بأضواءِ
فلستُ أقول اليومَ خمرٌ كقولةٍ ... بها المَلِك الضلّيل حارَ بأعداءِ
أحبّكَ يا لبنانُ حتى كأنني ... كمجنون ليلى في ندائي وأصدائي
فمن زهرِكَ الفواحِ شعري وخاطري ... ومن بحرِك الممراحِ ساكنُ أنوائي
أشاهدُ فيكَ الخُلدَ في اللّه ناطقاً ... فيا آية للّه دامت بإعطاء

* * *

بيروت

مشعل للعلى ولبنان كف ... حملته رمزاً ليوم مظفر
هي كأس إذا رشفت لماها ... أبداً بارتشافها العذب تسكر
وهي عين إذا رمتك بسهم ... كأن كوبيد عن ذراعيه شمر
رقصت في السفوح رقصة بف ... لوفا ودقت لها الشطوط بمزهر
قدم، رفرفت على الموج، من لب ... نان قد صاغها الجمال لتسحر
رب ليلٍ سهرته في لقاها ... ما أرى مثله على الدهر أسهر
منظر فاتن وشعر ولحن ... فكأن المكان بالأنس أزهر
الرعابيبُ[1] كالثمارِ تدلتْ ... فاحذر القطفَ أيها القلب فاحذر
كالتماثيل إن سكن، وإن طفن فطيـ ... ـف بجنة الخلد أجدر
يثنين كالأفاعي نشاوى ... ثم يقبلن في مواكب عبقر
حين مد الدجى الرواق علينا ... قال صحبي: هبوا اليوم نسمر؟
فسرينا في بلدة هي سر ... وضللنا حتى إذا الصبح أسفر

---

(١) الرعابيب: مفردها رعبوب (الجبان) وامرأة رعبوب بيضاء

وسوس النوم في الجفون فأغرى　　　　ونعمنا بكل حلم مصور

* * *

النهر

قِف بي على النهر أسكب فيه أتعابي فالنهر يمضي بآلامي وأوصابي
حملته فوق أعباء الهموم أما يكفيه جري المدى دأب جوّاب
لما ترقرق تحت الدوح منسرحا بين التعاشيب يدعوني بترحاب
وددت أني ماءٌ فيه منطلق أروي البساتين أو أصفو بأكواب
تحنو عليَّ أزاهير الصباح ومن شمس العشيات أستغني بأثواب
قد كان نرجس ريَّاً ثم جاء إلى برد الضفاف لكي يَرْوي بتشرابِ
فغاب مبسمه في النهر وانبعثت مكانه زهرةٌ حُفَّتْ بأعشابِ
يا نهر جئتك وحدي أشتكي شغفي من بعد ما فاتني في البعد أحبابي
ناجيتُ تلك التي غنت على فننٍ زكية الصوت من فنٍ بمحرابِ
روح الشآم على آهاتها انطرحت وعطرت لحنها الشادي بأطيابِ
سمعت صوتك من قبل الوجود أما كنا أليفين نلهو بين أعشابِ
فكيف جئنا إلى الدنيا مفرقة لنا الجسوم فعشنا مثل أغرابِ
لولا الأثير الذي حُملْتِهِ نغما فراح يطوي المدى حتى أتى بابي
لَبتُّ ليلي بلا ذكرى ولاطرب وماج صفو الهوى في ثوب كذابِ
أحسُ عمري كنهرٍ راح منسكباً نحو الصحارى ومرَّ اليومَ في الغابِ
إن فاض لم أبغِ طغيان الحياة به أو غاض لم ألق به دمع نَحّابِ
نهر المجرة في نفسي صدى أبدِ من مبلغي جرعة أشفي بها ما بي
أيملأ النجم كأساً من مشعشعة ما ذاقها في الأعالي غير أربابِ
يا أعين الليل عيني فيك عالقة هل في جفونك إلا غمز لعَّابِ
رويتِ من فيض نهرٍ لا مثيل له فهل مننت على الدنيا بتكسابِ

القاهرة /١٩٥٢/٦/١

* * *

نجوى إلى شجرة من الحور

أساكنة الفضاء لك ابتهالي لأنك صنع من خلق الأعالي
بكل وريقة منك اهتزاز يداعبه نسيم كالدلال
أأجنحة خفقن بلا انطلاق تميد بها الرياح على التوالي
كأنك فوج أطيار تداعت مهيضات ترف على الدوالي
سكنت وللجواء عبوق حرّ كلانا صامت رهن احتمال

أينفحنا المساء بطيب أفق ... تورده تهاويل الجمال
وضمتنا العشية فارتقبنا ... هبوب الروح من ريح الشمال
أمثلي تعشقين وفي همومي ... تباريح التهاجر والوصال
يغرّد فيك أمسية مئات ... عصافير فزعن من الضلال
أتشكو جولة الأنهار حتى ... ترى الليل البهيم هدوء بال
أم الأصوات كالصلوات منها ... تصعّدها عليك لذى الجلال
أحورة في حياتك جال حسّ ... كأنك فكرة خطرت ببالي
لعلك كنت من حور عين ... فجرت على الأحبة بالصيال
سللت إلى العلى ولو أن جذرا ... يطاوع غبت في جوز الخيال
أطفرة هائم أم نار غاز ... كلا العزمين يعيا في القتال

أقصّ عليك يا حوراء طيفا ... سرى خلف العصور من الأوالى
فتاة في الهوى عفّت وحارت ... وكانت في الغرام من الغوالي
ولما أدرجت لم تبق عين ... بلا دمع ولا قلب لخال
ورؤى العاشقات ثرى طواها ... بأدمعهن من كيد الرجال
فهبّت حبّة منها لتحيا ... وحبّة قلبها أصفى مثال
فكانت منحة الأزل المهادى ... إلى الآباد ألطاف الزوال

* * *

النيل

يا عروساً في ودها أتَملَّى … هي أسمى من الخلود وأغلى
حَلَفَ الدهرُ مُبْدِعاً لبهاها … أنه لم يَعدْ ليبدعَ مِثلا
يَمسحُ الصبح بالمحاسن عينيها … وفيضُ الجفونِ قد كان كُحْلا
هل رأَيْتَ الأهدابَ ضِفّةَ نهرٍ … تتلاقى فتملأُ الشطَّ وَصْلا
أفتدى الأزرقَ المحدِّق في الأُفـ … ـق عبيراً جرى وأَتْرعَ نَهْلا
أيها اللحظُ من عميق التواريـ … ـخ تطلَّعْتَ والزمـانُ تَجَلَّى
وكتابُ الآباد يبرزُ فيه الحَرْفُ … قَد شَعَّ بالنجُوم مُطِـلاًّ
ويحَ رمسيس لم يكن قَيْدَ رَمْسِ … وبخوفو قد أمعن السرُّ جَهْلا
ونِفارٌ بَدا على نفرتيتي … عند عنق من الغزالة سُلاَّ
والفَراعينُ لفلفوا هَبَواتٍ … نصبوها على التخوم وأعلى
وأَطَافَ الكهانُ صُلْعاً وماجوا … يملأون الديارَ بِراً وعَدْلاً
وعلى طِيبةٍ تألَّقَ فَنٌّ … مَلَكَ الصخرَ دولةً واستقلا
والتصاويرُ في الكهوفِ تناجيكَ … فتلقى فيها الروائعَ مُثْلى
لَكَأَنَّ الفَنَّ صَوَّرها الآن … فأَينَ بادَ وضَّلا
ويح هيرودوت العصور تنا … ديك فهلاَّ سمعتَ حُكَمَك هَلاَّ

هبةُ النيلِ مِصْرُ فاغنمْ عطايا … ها فَعَنْهَا ضيمُ الطغاةِ تَوَلَّى
أيها النيلُ كم وَقَفْتُ أناغيكَ … وشعري من عُدْوَتَيْكَ استهلاَّ
كلما رفت الخمائلُ في الأَمْساءِ … قُلْ لي أنَا شِقٌ أنتَ فُلاَّ؟
خفقاتُ الفؤادِ تروي حوانيها … حديثاً في حبنا ليس يبلى
سِرْنَادا كم بِتُّ أَبْعَثُ ألحا … ني عليها والحبُ ماسيمَ عَذْلا
وَأَطَلَّتْ على صِبايَ غَوانٍ … ناشِراتِ الشعورِ تهتزُّ دَلاَّ
بقدودٍ هيفِ وسمرةِ وَجْهٍ … وفتونِ يجتاحُ جُزءاً وكَلاَّ
يا صبايا فرعون كنتن في الصرْ … ح عرايا والرقص يخلب فتْلاَ
فرمى الساحرُ البديعُ هواكن … على النيل وهوَ أَطْرى وأَحلى
فطلعتُن في النخيل ندايا … حانيَات تنفحْنَ عِطْراً وظِلاًّ
تتمرَّيْنَ كل صبح وممْسى … بمرايا من الطبيعة تُجْلى
وعلى مسبحِ النسيمِ حبيبٌ … ظامئٌ عبَّ من حِماكَ وَبَلاَّ
ووفاءً للنيلِ كانتْ رعابيبُ … لأَعماق حبِهِ تَتَدلَّى
فَاضَ «الشّوقيُّ» مثل النجاشي … فتغنى في نهله وأعلاَّ

باركتْهُ دنيا العروبةِ والإسـ ـلامِ فازدادَ عزةً وأَغلاَّ

* * *

يا أحبائي لَمْلِمُوا ذكرياتي عند تلك الضِفافِ أوْدَعْتُ أهلا

جَسَدي ههنا وقلبي لَديكم خافقٌ بالهوى يُحَطِّمُ غِلاَّ

* * *

٥- أندلسيات

غَرْناطَة

GRANADA

صَفْواً على نَخْبها واهْتَجْتُ أَحبابي حَيَّيْتُ (غَرناطَةً) وازدَدْتُ أكوابي

لنا لقاءَهُ مُشْتاقٍ وغُيّابِ فقلتُ يا أُخْتَ أقوامي أما سَنَحَتْ

وقد أطَلَّ فؤادي نَحو أترابِ مَرَرْتُ فوقَكَ في خَفّاقِ طائرةٍ

حَتَى أُلِمَّ بمساحاتٍ وأبوابِ وَدِدْتُ لو أرتمي في غير مَتْلَفَةٍ

لكن تَرَمَّمَ قلبي بعد أوشاب يا دارَ أَنْدَلُسٍ ما رَمَّ فيكِ هَوى

يروحُ بالروّحُ في مَسْحورِ ألبابِ ألا يَزالُ لِعْربٍ فيكِ مُنْسَرَحٌ

تموجُ فُرسانُها في طَيِّ أحْقابِ وهل صَهيلُ خيولٍ من معاركهِمْ

صلاتُهُ في تَسابيحِ بِمِحْرابِ أرى المُصلّى على التكبيرِ ماثِلةَ

إذا تَغَنَّى بها في جَمْعِ شُرّابِ لابُدّ مِنْ رَوْعَةِ الذّكْرى لواصِفِها

في يومِ بَهْجَتِها في عيدِ صَخّابِ خُذْني (لغَرناطةٍ) أُلْمِمْ بفِتْنَتِها

مَرَحنَ في زينَةٍ تَغْلو لخُطّابِ أشم فيها رياحين النساء إذا

أحْلى الحَياة بزَوراتٍ لأصحابِ لَمْلِمْ ليَ العُمْرَ من بَعْدِ السّنينَ فما

لَهفاتِ ذكرى بأشعارٍ وآدابِ واقْرأ (لرامونَ) أبياتي فإنَّ بها

خِلالَها شُعراءٌ بَعْدَ كُتَّابِ جَدَّدْتُ فيها وِدادَ الفِكْرَ وانبعَثَتْ

يأوي إلى دَارَة تغْلي بأشْبْابِ وطافَ كُلَّ خَيالٍ في مَحاسِنِهِ

من الجمالِ على مَيْمونِ أَحْسابِ (إسبانيا)، يا مُثَارَ العُرْبِ في ثَبَجٍ

يومَ الشّعانِينِ في مَجنونِ جَوّابِ فَدَيتُ أَهليْكِ لمّا طَاف مَرْكَبُهُمْ

في قُبَّعَاتٍ وطَيّاتٍ بأشْوابِ هَلِ الخُيولُ العذارى رَكْبُ جانِبِها

تُفْدى أصابِعها في حُمْر خُضّابِ وفي الأياديّ أسْواطٌ مُنَمنَمَةٌ

وللعُيونِ مُناجاةً بأهدابِ والشَّعْرُ أسْوَدُ هَفْهافٌ بِعاطِرِهِ

أوتارِها نَغَماتٌ وفق شبّابِ وللمُغَنّينَ جَوْقاتٌ تَرِنُّ على

يَهْفُو لنَغْمَتِها الموتى بأسْبابِ
قيثارَةٌ من صبايا لَحْنِ أندَلُسٍ

بها التناغيمُ من إيحاء «زِرْيابِ»
من «معْبَدٍ» نَبْعُها في الدهر مائِجَةً

والرِّجْلُ يَضْرِبُ أرضاً رَقْصُها السّابي
غنَّتْ بها (ماريا) والصَّفْقُ في يَدِها

فأنْكرتْني بأصواتٍ لأعْرابِ
مدَّت بصوتِ رخيم اللفظ لَيْلَتَها

فَهَل أعيدوا بأرواحٍ وأعصابِ
إني لأسمعُ أجدادي بآهَتِها

على مراسيهِمُو مالو بإطْرابِ
مِنْ خَلْفِها نُدُلٌ رَنّتْ معازِلُهُمْ

يجولُ (أنطونيو) فيها بِعِرْضابِ
واسرَح بروحي على أفياءِ مَعْرَكَةٍ

مُذَهَّبُ الوَشْيِ في وَهّاج أقصابِ
عليه حُلَّةُ حَرْبٍ زان نَسْجَتَها

كأنه بينهم رَبٌّ لأرْبَابِ
يتيهُ في مِشْيَةِ الجَبّارِ في ملأٍ

بالنّاظرينَ بأدْهاشٍ وإغرابِ
في حَلْبةٍ لصراعِ الثور دائرَةً

بَمشْهَدٍ مُزجوا فيه بأنسابِ
يَعْلو مُدَرجَّتها قَوْمٌ لَهُمْ شَغَفٌ

وزُحْزِحَ البابُ عن ثَورٍ له خَوَرٌ
رَجَ الفَضاءُ به رَعْداً بإغصابِ

فجالَ (أنطونيو) يَلقاه مدَّرِعاً
سِتْراً يَجول بكَفٍّ ذاتِ نُشّابِ

والناسُ في نشْوةِ الأفْزاعِ حَائمةً
على مَواجِدِهِم فَيْناتُ إحْرابِ

وثَّوَرَ الثَّورُ حتى جُنَّ ثائرُهْ
فَعَجَّ واهتاجَ في قَرْنٍ وفي نَابِ

فَهَبَّ «أنطونيو» يوليهِ بارقَةً
بِطعنةٍ نَزَلَتْ منه بتطّابِ

وحط في ظَهْرِه الحَرْباتِ واقفةً
رَمْزَ البطولةِ في رَوعاتِ وشّابِ

وعيِبَ في حَيَوانٍ يرْتَمي رَهَقاً
أمامَ قُوةِ إنسانٍ بلا عَابَ

نادت (أنطونيو) مِفتانَ غانيةٍ
كانتْ تشاهِدُهُ في لَحْظِ خَلابِ

ألقى إلى مَدْرِها مُزدانَ قُبّعَةٍ
إشارةً لهواهَا يَوْمَ تَرحاب

لولا الهوى وهوَ جَبّار الوجود لما
ظَفِرْتَ، إن الهوى رَهنٌ بإلْهابِ

* * *

خُذني لِتَهْدَأ أعصابي إلى نُزَهٍ
في صدْرِ (غرناطةٍ) تَخْلو لمُجنابِ

إلى قُصورٍ بِناها العُرْبِ وارفَةً
ماسَت بها غانياتٌ بينَ أسْرابِ

واعطِفْ على جَنّةِ (الحمراءِ) مُلْهِمَتي
بالشِّعْرِ تَنفحني وحياً بتسكابِ

صَحنُ الأسودِ يَصبُّ الماءَ منهمراً
أَشْداقُها فيهِ مِنْ مَعسولِ وَهّابِ

والتَوْءَمانِ على بَيتٍ مفاتِنُهُ
في النَّقْشِ تُنْسى خياماً ذاتَ أطنابِ

والخطُّ في حائطِ آياتُهُ نَطقَتْ
بقُدرةِ اللَّه في تَوحيد غَلابِ

أعودُ بالدّهرِ أدراجاً لمُحْتَفِلِ
أشَمَّ في القَصْرِ مَحفوفٍ بحُجّابِ

هذا الخليفةُ قد هَبَّتْ لَمقْدَمِهِ قوّاده ورجالاتٌ بأقْطابِ
في يومِ أمجادِهِ والسَّعْدُ يَرْفِدُهُ والعِزّ بين يديه وَفد نوّابِ
وبيتُ أمواله تَطفو دَنانِرهُ وأرضُه في زراعاتٍ وإخصابِ
فهلْ حَسِبتَ الدّنى تصفو لنِعْمتِهِ مِنْ بَعْدِ ما قُسِّمَت فيه بأحْزابِ
عدا عليه من الجيرانِ ذو صَلَفٍ فهدَّه بذوي بَطْشٍ وسُلابِ
فزال عن مُلْكِهِ وانجابَ معهَدُهُ فباتَ يبكي عُلاهُ بين نُدّابِ
وللسّلاطين أيّام ويوقعُا مَهوى عَنِ العِزّ في تقليب دُولابِ
يا مَن عَرَفْتَ (ابنَ عبّادٍ) ونَكْبَتُهُ هذا جَزاء الذي يُمنى بكذّابِ
تلْكَ القصور غدت أفواف متحَفَةٍ إلى الحضارةِ قد مَتَّت بأصلابِ
تريهِ أوجه تاريخ بكوكبةٍ قد أشرق الغَرب إذْ عادَتْ بأوّابِ
لها حِفاظُ على العُرْب الأباة وفي العَصْرِ لها مَجْدٌ بأعقابِ
كم سائحٍ جاء مغناها المشوقَ لهَ وكانَ سِحّرُ المغاني خَبْرَ جذّابِ
فلم أجِدْ طائفاَ في أرض أندلسٍ إلا تولاهُ وجدان بإعْجابِ
أهْلوكِ أعراقهم تسري بمثل دمي فَلَستُ عِنْدَ هُمو مِنْ قَوْمِ أغرابِ
فاشرب لِذِكر بلادٍ كان ساكِنّها قومي وارفعْ يداً فيها بأنْخابِ
واصْفَحْ عن (السيدِ) قد كان الغَرام له وِقاءَ (شيمينَ) يُغْريه بأوصْابِ

* * *

(غرناطة) ما مُحَيّا السّحرِ في بَلَدٍ جَنّاتَ عدْنٍ به حُفَّتْ بأعْشابِ
عليك مِنّي سَلامُ الشّامِ طاب به نَفْحُ الريّاحين من جَناتِ طُيّابِ

* * *

يا بنت أندلس

ولا المودةُ قد باهت بذكرانا لولا مزاياكِ ما كانت مزايانا
هفا إلينا وبالأنساب نادانا روحُ العروبيةِ الباقي بأندلس
إلا الحجا يسري بمسرانا يا بنت أندلس، مالي إليك هوىً
فوجهك الحلو بالأخلاق ناجانا طابت على وجهك الآدابُ باسمة
أنت الأديبة في معسول دنيانا نادمت كتبك حتى قلت ويح دمي
سما إليك خيالٌ كان معوانا حسناءُ يا منيةَ الدنيا وبهجتها
بي الجناحُ وجئتُ الدار ولهانا لو استطعتُ طويتُ الريحَ منفردا
أني مهيضُ جناح بتُّ حيرانا في «برشلونة» أحبابي فوا أسفي

كتبت بالضاد حتى جئت عدنانا ... شرقيةٌ أنت في استشراقِ عالمةٍ

تفاخر العرَبُ العربا إسبانا ... وزوجكِ الندب علامُ الملا وبه

ضم الحبيبين واستدنى الذي بانا ... آمنت بالحظ أن لانت بوادره

ما فاتها من هوى ماذاق سلوانا ... وإن نبا وابتلى فالنفسُ باكية

صراع «انطونيو» طوفي ببلوانا ... إذا ذهبت إلى الثيران شاهدةً

وإنّ لي في خصام النفس ثيرانا ... نفسي مصارعة والثار جاهدها

ألفا وضلوا فحار الربح خسرانا ... كان الجدود على أرضيك واحدهم

شقي بمبضع طب قيد أنملة ... بجسمك الطاهر المملوء إيمانا

ينبع دم عربي ملء طاقته ... عناصر حملت روحاً وريحاناً

إذا النوى جمحت فينا بلا مدد ... على البعاد ولم تسمح بلقيانا

فبيننا الروح خفاق رسائلها ... هي البريد الذي بالود وافانا

لك الشفاء بما أزمعت من ألم ... يا خير نابغة أنسا وإنسانا

أن تنقلي الشعر عنا فالشعور بدا ... من «ابن زيدون» حتى جال أكوانا

«أضحى التنائي» لها في القلب واشجة ... غنى بها الدهر للأحباب أزمانا

أرى الشتيتين تسبيحاً بها هتفوا ... وعطروا بهواها العمر ألحانا

زين العروبة في الإسبان، طيف ندى ... ألمَّ منك فحيانا وأحيانا

سألت ربك يحييك المدى زهرا ... ربيعه دائم يزداد تبيانا

دمشق

* * *

دمعة أندلسية

قف بي على الوادي الكبير		لأرى جدودك والمصيـر
أعلى الضفاف الخضر والميثاء		من قومي عبير
ذكرى ترف على القلوب		فيغتلى فيها الشعور
أبكى لأندلس ولا		أبكي فلسـطين العثـور
ستعود ما ضاعت،		وللعرباء وثبتهـا الهَصُور
إنّا دُحرنا مرة		وكفى بها صوت النذيـر
القدس ليست مثل		قرطبـة بجامعهـا الكبيـر
والشط من يافا وحيفا		ليس هاتيك الثغور

* * *

ألحان أندلسية

(الفلامنكو) [1]هداني واستباني
عند أشبيلية ياشاعري
إيه (باستورا) على لحن جدودي
«شالك» الأحمر مَوّاج التثنّي
وعلى صدغِكِ يبدو عقرَبٌ
مَرَّ بي الطيف على دار حبيبي
وسمعتُ الغيبَ يبكي مثلما
ويك (مانولو) فلا تحفر ضلوعي
أمومياتٌ لدى آهاتِها
قلتُ يا أحباب والبينُ مشِتٌّ
نمنمتْ أوتارُ لعابٍ تغني

وعن القيثار بالحب رماني
طاف بي حُلُمي ومن كأسي سقاني
صفقِّي بالرجل في رقص الحسانِ
طوْعَ رنّاتِ على الكفّ حوانِ
وعلى الغزّة، بالسّم شفاني
هي أطلالٌ من البعد تراني
صاح من أندلس لحنُ حنان
(بمواليّا) شقيّاتِ المعاني
وأرى عبّاسها ملء الجنان
أين مني لمحاتي وعياني
في ثرى الإسبان فاهتاج بياني

ويناديني إلى شطّ الأماني
عند «غرناطة» والنهّرِ اليماني
من (سرينادا) فناجيت الغواني
طلعَتْ ثم استسرَّتْ في كياني
أنتِ أقباسي في بعث الزمان

يصَنُ الثيرانَ في غير عراكٍ
أنا هَلَّلْتُ على أشواقِ قومي
ومدى اللّيلاتِ أسمْعْتُ حسيساً
حدّثيني عن نجومي إنها
مشعلي المرفوع لانارَ به

* * *

إشبيلية

وجدي بإشبيلية أبقى
(أنطونيو) لم يدر ما خبري
(المادلينا) وهي جانية
قدسية هي باسمها زهدت
قدري لقد وصل الفؤاد بها
عربية في وجهها شبهي

فاكتم هواى وعاطني صدقاً
وأنا عشقت فتاته سبقا
أنت وليلى تعرف الطرقا
وتدلّهت بجمالها عشقا
سلسلته فوجدته عرقا
هلا رددت لها الهوى شرقا

---

(١) (الفلامنكو) طراز الغناء والرقص الإسباني المعاصر الذي يعود إلى أصول أندلسية. (باستورا آمبيرتو) شادية إسبانية ولدت أواخر القرن الماضي، وعاشت إلى سنة ١٩٣٤، اشتهرت بأنشودة «كارمن» وكانت شاعرةً ومغنية وممثلة. (مانولورا كول) مغنٍ إسباني معاصر فياض الحنين، يملأ حتى اليوم اسبانيا بآهاته الأندلسية الطوال التي تشبه «المواليا» العربية. (النهر اليماني) نهر الوادي الكبير.

شاهدت آثار الجدود بها
وتركت أحجارا لما تلقى

حنّت إلى وطني لتنشقه
والشام عطر أمية حقا

لكن (أنطونيو) فرى كبدي
بحسامه واجتاحني أشقى

قالت تعال أريك مأثرة
بلدي بها في عصره يرقى

في حلبة الثيران كان دمي
وحشاشتي شقيت بها زهقا

فرمى المقاتل نحو فاتنتي
–واغتال– قبعة حوت صعقا

سأعود لا ألقى سوى حجر
من قوس الماضين يستبقى

تلك (الجرالدا) وهي مرقدنا
في الأرض ليت دموعنا نسقى

في برجها جرحي أضمده
جرحي يفوق قياسها عمقا

سأصخ للتكبير ينشده
صوت وراء عصوره غسقا

وتمرّ بي يوماً متيمتي
في ثوب راهبة لوت عنقا

لترى فتى قد شاب مفرقه
لكنه لم يحسب الفرقا

ويشير نحو مراقد سكنت
أطلال لم يسحب الفرقا

تضع الأزاهير فوق عاشقها
وفؤادها متأجج حرقا

١٩٦٥

* * *

خذني لأندلس

خذني لأندلس أسأل بها نسبا
وأقرأ الأوجه الغراء والكتبا

حسناء في كفك الصفاق راقصة
عليه والرجل في نقر ترى لعبا

ماذا على الساق من طيات أنسجة
هفهافة اللون تحيي في الحشا الأربا

على الحصان تسنمت الهوى فإلى
سابي محياك أنظار غدت شهبا

يا بنت أندلس كري بخاطرة
الشاب عدنان تلقى عندها الحسبا

انطونيو برزت في الساح حلته
قد زركشوها له واستطرفوا الذهبا

وهاجه الثور يرغى في مشافره
في حد قرنيه شك الموت والقطبا

أغواك بالحرب لكن في مخادعة
فكيف تهوين فيه السيف حين نبا

يحارب الثور إنسان مخاتلة
وسالم الثور لو خليته جنبا

توسط الحلبة المغوار في مسرحٍ
يلقي التحية للجمهور محتربا

وهمهم الثور فَحَّاصاً بأظلافه
وسدد القرن والعين انبرت لهبا

الأرجوان غدا يغريه مقتربا ودائرا حوله يحتثه غضبا
حتى اغتدى الغالب المغوار يطعنه بسيفه فانثنى بالطعن قد غلبا
وأقبل البطل المفتون رافعة يداه قبعته يرمي بها طربا
خل الصراع بلا خدع ومعذرة وانظر إلى الثور هل تلقاه قد سحبا

أنطونيو كنت في الدهر القديم فتى جدودك العرب جاسوا النجم والسحبا
هم خلفوا فيك فوجا من حماستهم فخفق قلبك منهم في دم سكبا
وأنت يا فتنة الأنظار طيف ندى قد جال فيك من العرباء وانسربا
العين منك بها كحل بأسوده عيون غيد عراب رفرفت هدبا
والقصر في بهجة الحمراء آتية أرواحه من خيام شدت الطنبا
في أرض (قرطبة) لي مسجد عبق بالطيب قرآنه ما زال مقتربا
يا ليت لي سجدة في صحنه وأرى تلك العواميد في فن البنا عجبا
كأنها وقفت دهر الصلاة فما تبغي السجود سوى في موعد كتبا
مسحت دمعي لدن شاهدت عهد على يجود اسبانيا حيث احتذت سببا
حن الدم العربي اليوم في دمها فأطلعت في هوى عدنان ما غربا

* * *

٦- قصائد عائلية

صفحات من ذكريات يتيم:

الفصل الأول

١- قطار الحياة

فديتك يا أميِّ لو أن الردّى يُفدى فبدلت عيشاً كان لي عنده مُفدى
أيُطوى بنا كرّ السنينَ ولم نكن لنلقاكِ إلا في الخيال الذي نَدّا
نروح إلى المنأى الشريد كراكب قطاراً وفي الأسفار في العمر لم يهدا
محطاته تترى الكل امرئ بها مكان نزول لايزول ولايُبُدا
وقفت بشبّاكي أشاهد دربه تملكَّهُ سهل فمر به شدّا
وصفَّر واستشرى وجلجل صوتُه ففجَّت به الآفاق تألفه عهدا
بواحدة الآلاف فاعجب لأمره تضاعف فيه الغَدُّ واستبعد الودّا
فجاء القطاري نحو «أمي» فأنزلت بمُنّبَت تُرْبٍ ما لها دونه معدّى
وقيدني لمَّا سَما ببطاقتي إلى عينه كيما يرى طيبها الوردا

فسار بنا والركب يهوي على المدى … يطامن أرضا أو يغادرها جُردا
فراح هتافي في الملاطيّ ريحه … وطاح بي الدهر المبيد بما بَدّا
فقلت لأحلامي تعالي فبدلي … بوحدتي الأنس الذي كان لي أجدى
فجفت ولم تسعف بوهم من اللقا … وكرت بي الأعوام لاتُرْجع المبدا
سلام على عينيك في الغيب (سَارَّتي) … خفوق فؤادي فيك لايعرف الحَدّا

* * *

أخت الخوالد

أختَ الخوالدِ أشرعي القَلَما … حَلَفَ المِدادُ ليَمْحُوَنَّ دَمَا
قبَّلْتُ أنمُلَتيْكِ واستعرت … نيرانُ حبي تسْبيحُ حِمى
فحمَلتُ قلبي للوداد ولي … شَوقٌ إلى تسْكابه وظَمَا

* * *

في شط «صَيداءَ» الذي طلعتْ … منه التَّوالدُ تُنْبتُ الحُرَما
في سالفِ الأزمانِ غانيَةٌ … كانت لديه تُزَحْزِحُ العَدَما
حتى أنجلَت أسطورةً ملأتْ … أذْنا وجالتْ في الرُّواةِ فَمَا
هامت تعاشيبُ الهواء بها … لتصوغ من أنفاسها نغَما
وسعى إليها البحر يلثُمِها … لما دنت لتبلَّها قَدَما
والبرتقالُ على معاطِفِها … قد ضمَّخَ الأفياءَ حيثُ نَما
وتناسلتْ، وتسلسلتْ أممٌ … حتى لبسنا عُمْرَنا شَمَما
فأتى فتىً والشامُ تَحْفِزُهُ … بَيدِ الحُظوظ يغالب الهِمَما
ويَدُ الفتاة له مرَصَّدَةٌ … قبلَ الوجود وسرُّها خُتِما
«قَيْسونُ» تاقت فيهِ قمَّتُهُ … لنسيم لبنانٍ. فكانَ: هُما

* * *

قُصّي على الأجيالِ قصَّتَنا … نَحْنُ البُناة نُكَوِّنُ الأمما
فينا التقى الشَّعبانِ من أزَلٍ … ونَظَلُ للآبادِ طَيَّهُما
مِنْ نَثْرِكِ المشْبوبِ خاطرُهُ … شِعْرِي تَفَيَّأ كوكَباً وهمي
من وَحْيِكِ الريَّانِ عاطرُهُ … كُتْبي وكَمْ جادَتْ لَدَيكِ سَما
أما الهوى فالعقلُ قيَّدَهُ … ليْلى، أنا المجنون، وهو رَمى

* * *

أبي

حدثيني عن تشابيه حبيبي فلقد راح وفاتته دروبي
هو أصلي سرت من نَبْعته وجرى نهري به نحو السهوبِ
هو نجمي غاب من بعد المسا فانطوى ليلي على سود الخطوبِ
ابتي، كان تلاقينا رؤى وأنا طفل، وذابت في المغيبِ
لم تدع لي صورة أبكي لها كلما رمتك، بالدمع الصبيبِ
عجز الوهم وكم كلَّفته يرسم الصورة في غير شحوبِ
قلت يا أمُّ، صفيه مثلما كان في الدنيا، فجادت بالنحيبِ
وخلال الدمع خطَّتْ وصفه في تلاوينَ من الوجه القشيب:
«حدِّق العينَ بمرآة الهوى تَلقَهُ يُبسم من خلف الغيوب»
إيه «شكري» واغانيَّ لها رنة الحزن على الصفو السليبِ
مرَّ بي اليتمُ على هولٍ وما هنتُ، لكن للأسى كان ذهوبي
فرَّقتنا الدارُ في إصباحنا أترانا نلتقي بعد الغروبِ
فازت الأمُّ بروحٍ برةٍ أنت ناديك في عُقبى اللغوبِ
كيف أنساكَ وأسلوها ولي لهفاتٌ والتياع في شبوب
تعبت أقدارنا لكنها أقنعتنا فرضينا بالنصيبِ
هائمات في المدى أرواحنا غير قلبٍ خافق بين القلوبِ

* * *

خيال أمي

أيام أمُ يومي لديك المودع ففي كل يوم من لقائك مرجعُ
مضى الدهر كالأمس الذي كان عندنا وعيناي ما فاتتها فيك أدمُعُ
وللحزن زهرٌ والمدامع ماؤه وهذي أزاهير روضك تطلُعُ
أهاجرتي في الحُلمِ، قد كنتُ قانعاً بلمحك خلفَ الجفنِ أرنو وأسمع
أنام لألقى وجهك الحلو في الكرى فأحسب شملي بعد نأيك يجمَعُ
فما بالُ أعوام تمرُّ ولا أرى خيالَك مهما رُمْتُهُ حين أهجَعُ وفي القلب
على مضجعي تصويرةٌ لك عُلِّقَتْ طبعاتٌ لها منك تطبَعُ
أطيفُ بها باللعين والنفس مثلما تعبّد مشبوب العبادة مولَعُ
نَمَوْتُ يتيماً واحتسيتِ مرارتي وانشأتِني بالحزن والدار بلقعُ
وحين أتسح الحظ في ظل نعمةٍ عليها شبابي الطلق والعيش مسرعُ
تغيّبتِ في الدرب الطويل ولوعتي على العمر لو أني لدربك أسرَعُ
يروح الأحبا والديار شريدة وتأتي رسالات لهم ثم ترجعُ

وما منك سطرٌ في كتاب أَضمُّهُ فأتلوه لهفان وهو يشعشعُ
سأرمي وراء الأفق روحي لعلّها ترى روحك العلياء ونحوك تنزع
وإن فاتَتِ الأحلامُ عيني فإنما على الخاطر الساري خيالك يسطَعُ

* * *

ابتهال لأمي

ربّي لك الحمد يا مَنْ جُدْتَ بالمددِ أعنو إليكِ بتأميلي ومعتقدي
أجيل في مسبح الأفلاكِ خاطرتي على شهابٍ يحييّها بِمُتَّقِدِ
لعل من بينها قنديلَ عابدةٍ كانت لي الأم في يتمٍ بلا سندِ
مازلتُ أنشقُ ريّحها بمصحفها وأسألُ الحُلْمَ عنها في دجى كمدِ
كانت توالي على الليلات ركعتها وتنهضُ الفجرَ في تسبيح مجتهدِ
إذا هممتُ بتركِ البابِ أدركني منها تعاويذ تحميني من الشَدَدِ
ومنذ أهدأ في نومي يظللني دعاؤها فيبيت الأمن متَّسَدى
غابت فعشت وحيداً خلفها قلقاً من بعد روح بها بالوجد متحدِ
في طلعة العيد ألقي الآس منسرحاً على ثراها وأروي أمسها لغدي
أأنثرُ الزهر من فوقِ الضريح على زهرٍ تفتَّحَ في عيشي وملتحدي
أحِسُّها بين أفكاري موشوشةً وألمسُ الطيفَ منها في مجال يدي
قالت بجانب شبّاك الرسول ولي عشر، تعال استمعْ نجواك يا ولدي
هذا اليتيم الذي تمتد راحته فتمسحَ الدّمع والأحزان بالرغَدِ
يا نظرةً لي، والشباك يرسلها على الحبيب الذي فدَّيْتُه كبدي
مازلتُ أطلبُ ذكراه على شغفي والعمر والشوقُ موصولان بالأمَدِ

* * *

سارة المتهَجِّدة

«سارة» هي أم الدكتور زكي المحاسني توفيت بدمشق سنة ١٩٣٣ (مجلة الأديب)

كم سألتُ النشورُ كيف يحينُ واستدارَت على السؤالِ الظنُونُ
أنا أوصيتُ أن أبيتَ على قُربِكِ في ضُجعةٍ ثِراها حنونُ
سفح قيسون يحتويكِ ومنْ لي ببقاءِ الجبالِ حيثُ تكونُ
يومَ تغدو مثل الهباء نثيراً حينما جن في الوجود الجنونُ
كيفَ ألقاكِ ساعةَ الحشر؟ أيَّانَ على زحمةِ المصير العيونُ

أنتِ سبَّحتِ في الصباحِ وفي الليلِ بعمرٍ قد باكرته المنونُ
وهديلُ الحمامِ في طلعة الفجرِ على صوتكِ الحبيب أنينُ
ملء سمعي وطيَ روحي أناجيكِ وتحويكِ في خيالي الجفونُ
كانَ لي باسمكِ السرورُ ولما غبتِ غاضتْ أسبابه والمعينُ
دأبكِ الصمتُ لا تردينَ يا صورةَ أمي والوجه منكِ حزينُ
يا غداءَ الأشواق في كل يوم انسَ ليلي وحسرتي واللحونُ
ما شَبعنا من الحياة ولا اللقيا أمِن أول الطريقِ نبينُ

ليتَ، يا حبتي، الأساطيرُ كانت باعتقادي حتى البعادَ يهونُ
كنتُ ألقاكِ في السماء وفي الأرضِ وفي البحر حيثَ تهوي السَفينُ
ومعَ الريح إذ ينوحُ بمَسراهَا رسيسٌ ينتابني محزونُ
كتراتيل ماريا أو كأذكارِ ذوي الصوفِ حينَ يعلو الرنينُ
أنا جَسَّدتُّها بَدي من يديها وبعيني من عينها تكوينُ
وبصوتي صَدى التلاوتِ منها إنَّ قرآنها القرينُ الأمينُ
فوق أوراقه أقبلُ بصماتٍ لإبهامها ودمعي سخينُ
لو يصحُ الحلولُ خاطبتُ نفسي فأجابَت عنها وراحت تَبينُ
كلما ثوب المؤذن في الفجر تمادى بين الأذان السكونُ
فكأنَ الأرواحَ تُصغي إليه فوق أبراجها عليها الشجونُ
أينَ يا أم روحك الليلَ تسري أين في الجو بُرجها الميمونُ
أطبقَ النجمُ جفنَهُ وسُهادي مُستبد ودمعُ روحي هتونُ

دمشق

* * *

سماء

يا سماء طوفت فيها لألقى ... ما وراء الوجود حبا وصدقا
إنَّ هذي النجوم تنكر وجدي ... غير نجم إلي يومي برقا
من على الأرض لاح لي فدعاني ... فطويت الفضاء أفقا فأفقا
أنا مثل البداة سرت على نجم ... وافتني منه باللحظ خفقا
يا «سماء» طلعت بعد «ذكاء» ... وذكاء شاءت إلى القلب سبقا
يا فضا الكون يا مجال الدراري ... يا رواقا على البسيطة ملقى
يا ابنة الأمس أنت بالقرب مني ... غير أني أراك أبعد عمقا
أنفس الوالهين نحوك تسمو ... من قيود الحياة تأمل عتقا
والقلوب التي استطال بلاها ... تائقات إليك تسأل رفقا
كم هضيم من الشقاء تعالت ... كفُّه للسماء تطلب حقا
ولكم في الهوى معاميد باتوا ... بعيون إلى بهائك ترقى
يا ابنتي والحياة جاحم حرب ... جئت فيها تعم غربا وشرقا
فاضحكي في المهود عل سلاما ... أن يسود الأنام من قبل تشقى
إن أعش والسنون بيضن راسي ... ووهت عزمتي وعظمتي استدقا
كان لي من «سما» راحة نفس ... فتمنيت أن تعز وتبقى

* * *

ذكوان

يا حبيبي ذكوان بل يا حنوني ... وجهك الحلو راحتي من شجوني
شدَّ شعري جزاء تقبيل خديك ودافع براحتيك يميني
أنت أصفى الهوى وبهجة دنيا ... حين ساءت في كل حب ظنوني
نم على ساعدي ودل حياتي ... في دجاها بنور هذا الجَبينِ
لو يُشقُّ الفؤاد ظننتك فيه ... حين تدعو يا أم أو تدعوني
ربما في المساء أسهر تلقاءك والفكر سائر يطويني
يا عزائي إذ ألح بي الحيف ... ويا سلوتي بخط خؤون

* * *

كنت تحبو على فؤادي ولما ... صرت تمشي مشيت فوق جفوني
دس على الأرض كالملاك طهورا ... أو كطير لما يقف بالغصون

لاتخفف وطئاً فليس ببيتي ... من بقايا الأجداد ذرة طين
لو رآك الشيخ المعري تمشي ... قال قد سرت بالهواء بلينِ
يا بني الحبيب عشت شريفاً ... وتخذت الوفاء خير قرين
سر إلى المجد ألمعياً عزيزاً ... ولتكن في علاك شبل العرين
قبلة من يديك برد همومي ... ولتكن في علاك شبل العرين

* * *

ذكاء وسماء

يا ذكائي على الدنى وسمائى ... إسمعاني ورددا أصدائي
قيل صوتُ الإنسان يبقى ملياً على الدَّهر في سائر الأرجاء
ربّما يسكن النجوم غناءٌ ... كان في الأرض ضائعاً كالغناى
يتهاوى كلامه في المجرّات ... حديثاً في صبحها والمساء
أتراني إذا علوتُ على الطود ... وناديت، من يجيب ندائي
ضاع ودّي على السنين شتيتاً ... ليت أني كفكفت فيه بكائي
لا يدوم الهوى سوى ... للعوب أو خلوب في عهده ومرائي
فاهجر الحب للصداقةِ والودِّ ... فإن الصديق خير عطاء
أنكر الأصدقاء زميتَ قومٍ ... فنفى الود في الصفا والاخاء
خلق الناسُ للبشاشاتِ ... والألفة بين الأبعاد والغرباء
بأبي من عهدتُ فيه وفاءً ... كان نداً لألفتي ووفائي

* * *

إلى ذكاء

يا ابنتي في دمشق هذي الخواطر ... تترامى إليك بيضاً زواهر
في جوار البيت العتيق توسلت ... ونزهت عن نفسي الجرائر
وعلى صفحة من المرمر المسنون ... أخطو في ظل هذي المنائر
ووفود العباد في عمرة الحج ... تضامنت على لقاها السرائر
في ابتهالي أذيب نفسي شعاعاً ... وأراني خففت في ريش طائر
يا «ذكاء» طلعت في أفق الروح ... وفي نفحة «السماء» عواطر
لك من مكة دعائي وشوقي ... أن نرى السعد منك يوم البشائر

مكة ١٣٨٥

* * *

ذكاء

يا ابنتي لي اليوم رجائي — نظرة منك شفاء من عناني
هل تكونين غداً رغد حياتي — طلعة الخير وآيات الصفاء
ربما جئتك مهموماً عليلاً — فطرقت الباب في ظل المساء
فنفضت الهم عني وبكفيك — مسحت الوهم فانزاح بلائي

* * *

حينما قبلت زنديك تناغى — صوتك العذب بأصوات السماء
ما تريدين؟ أتبغين رضاعا — لك إن شئت حياتي يا ذكاء
أخمشي خدي ما اسطعت — وزيدي فاطربي رأسي في غناء
وإذا نمت على زندي مضت بي — فكرة تسمو فطارت في الفضاء
فتمثلت بها الأفق جبيناً — لك شع النور فيه برواء
سطعت شمسك في عليائه — فخبا تلقاءها كل ضياء

* * *

ذاك يا بنتي معنى اسمك لا — خيب اللّه بمعناه رجائي

١٩٤٠

* * *

الشقيقتان

يا زهرتان على مدى عمري — لكما حياة الأنجم الزهر
عاد الشباب إليّ عندكما — فرأيت نفسي فيكما تجري
هذي العيون شعاعتي نظرت — منها إلى دنيا من البشر
يطوي الزمان حشاشتي ولها — خفق على قلبين من طهر
وإذا المساء رمى كلا كله — فوقي رجعت لمطلع الفجر
أ(ذكاء) شمسك نوّرت زمني — فلأنت عندي الكوكب الدرى
أشبهت أمي في روائعها — بالشعر واللمحات والسحر
وحوى فؤادك كل عاطفة — كرمت وكل نبيله القدر
و(سماء) أختك لمع أنجمها — بدجى حياتي شعلة تسري
لاحت كأختي في مفاتنها — فجعلت رهن بهائها شعري
إن زانها عقل فإن به — حرز الحياة بدربها الوعر

لأقبلنّ ضفاف أنملة ... كفاكما منها مع الظفر
ولهيف أنفاسي محرقة ... طي الفراق ووقعت الضّر
أما (الوداد) فكل جارحة ... في الرأس والأعطاف والصدر
تهفو إلى خلجات مشهدها ... وتبيت تحلم بالهوى العذرى

\وأعد أيامي وأشهرها ... حتئ يعود بشملكم أمرى
ما ذقت قبل اليوم بينكمو ... ولقد بليت بطعمه المرّ
ووجدت في (ذكوان) ألفتنا ... ممزوجة بالأنس والبرّ
شهم حمى الرحمن طلعته ... ليكون معواناً على الدهر
أهلي– وأين الأهل غيركمو ... أنتم أحبائي على العمر

دمشق في ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٢

* * *

ندى وهدى

(ندى وهدى)[١] يا نغمتان على أذني ... كأنكما عصفورتان على غصن
تطوفان بي والشوق ملء نواظر ... بها السحر من قبل التمرس بالفن
وعلمتماني ما التساوي وما الفدا ... بحرية عزت رهين بها سجني
فإن جئت للكبرى بحلواء لم أكد ... أقسم للصغرى فتزور في ضغن
ورب لبوس، ضاق عنها، هدية ... فتلبسه عصبا وتمعن في المن
وتزعم أني ما عدلت وإنما ... أحابي لأخت، ثم عني تستغني
تحيرت لكني تباعدت في الصدى ... وأشفقت ممن باتنتين غدا يبني
فخَور تريد الزوج يبقى اليفها ... وحسناء تسببه وقد جن كالجن
وجدت سبيلا للمساواة في الهوى ... فهذي لها قلبي وتلك لها عيني
ازورهما والنفس توجس خيفة ... فما تتركاني أبرح الدار في هون
تنوحان والأيدي بثوبي مكينة ... فيا قيد ما أحلاك، لاتبتعد عني
لحا اللّه توديعا إلى غير رجعة ... فإني أريد العيش مهما تكن سني
واحتمل الآلام حتى إذا بدت ... ملذة يوم بت أنسى التي تُعني
كما في دنيانا فخذ بقبولها ... تخفف شقاء أو تنل راحة الأمن
ولاتحو في جنبيك حزنا ولوعة ... فإن قصار العمر هدوه بالحزن

* * *

---

(١) طفلتان هما بنتا «ذكاء» بنتي.

رائف

مهداة إلى بنتي الغالية ذكاء المحاسني ولصديقي القديم الأستاذ البير أديب الذي صار جدّاً

ابن بنتي «ذكاء» يدعى (برائف) وهو في العين والجوانح واقف
صاح (جدو) فطار لبي وأيقنت بأني جد إذن غير زائف
وتمنيت أن قلبي له درع وأني حضنته بالمصاحف
أتراني أعيش حتى أراه في رعيل الفتيان شهما يساعف
قيل حب الحفيد أغلى وأحلى ومزيج الحنان فيه محالف
من ثلاثين في السنين تعلقت (بهوغو) وهو البديع الواصف
وبديوانه عن الجد شعر لايدانيه ذو تليد وطارف
يتمنى كل امرئ أنه الجد ومنه القبيل نسل مضاعف
في بكور الصباح ينهض محبوبي ومن وجهه ابتسام مشارف
فينادي (ماما) و (ته ته) بلحن ما أحيلى صباحه في المعازف
لي منه تقبيلة قبل أن تغدو به حاضنات بيت ملاطف
و (الندى والهدى) بأختيه زهر (عطر) العمر بالنسيم الوارف
أنا فلسفت حبنا لحفيد إنه رجعة لعمر والف

نحن نحيا فيه بعهد جديد في مساء لنا لصبح خاسف
يا حبيبي الصغير نحن الأحبا فترأف بنا فإنك (رائف)

دمشق

* * *

هذه قصيدة ثالثة يكتبها الدكتور زكي المحاسني يناغي بها حفيده (رائف) ابن بنته ذكاء،
وقد نشرنا الأوليين في هذه المجلة لأشهر عام ١٩٧٠ (الأديب)

رائف يقص لي حكايات

يقص لي (رائف) أحلى الحكايات كذلك يقلِبُ من فني وآياتي
أنا الذي رحت أروَى قصةً خلبتْ له وأُريه بعضَ لعَبْاتي
يفديه حِضنّي وزَنْدي لفُّ فامَتِهِ فيلمَسُ السحرَ في قولي ولَفْتاتي
حتى إذا نام والأملاك تحرسه حملته لسرير ملء لَهْفاتي

* * *

وقال: (جدّو) أنَا آلاتيكَ في قصصي لكي تنام عليها دونَ هَزّاتِ
وصار يخترع الأحداثَ واهيةً حيناً وآونةً تَسْبي بفتْناتِ

وقد أنامُ ولي حُلْمٌ بِمَبْسِمِهِ يُطيفُ بي في الدّجى بين السماوات

* * *

عكستَ آيةَ روحي في الفنون فكمْ نسجَت لي قصّةً تحوي مُحاكاتي
صِرْتُ الصغيرَ على معشوقِ خاطِرِها وصار (رائِفْ) كَهْلاً في الرِّواياتِ

* * *

قالت معمَّرَةٌ في الأهل تعرفني طفلاً وكانت تُواتيني بِقِصّاتِ
أراكَ أشبهتَ في الخلقِ الحفيدَ وما وَجَدْتُ مثلَكَ في هذي السّجيّاتِ
فقلتُ ليتَ أعودُ اليوم بعد عنىً كمِثْلِهِ وأرى أُمي بمرآتي

دمشق في ١٥ أيلول ١٩٧٠

* * *

٧- ذكرى ورثاء

ربيع لا يفنى

دلف الربيع ولست أنساه قد هيج الأرواح ذكراه
فكأن عبادا مناسكها حانت وللوجدان نجواه
ساءلت إلهامي وخاطرتي وأنا ضجيع كيف ألقاه
فتململ الجسم الذي شقيت أعضاءه كحبيس دنياه
أنا كنت أرجو في مواسمه أبغي المدينة وهي مثواه
بأبي رسول اللّه قد طلعت ببشائر ذكراك علياه

* * *

فلسفت أشعاري وقلت لها خلي الهوى يدني سجاياه
أنا هائم باللّه أنشده رحماته وتميم ملقاه
يا لهفة قد ألّفت بدمي وشعور عمري منذ أهواه
مرّي على دار الرسول فلي فيها ودائع كلها جاه

* * *

لولا شفاعته ونيل رضاه أربيع ما عطري ولازهري
وانشر هواها عند رباه فخذن لي النفحات من بردى
شمس الربيع وطاب نعماه صلى الإله عليه ما طلعت

* * *

ذكرى حبيب

ألقيت هذه القصيدة في مهرجان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي الذي أقيم في دمشق

لام الأحبّة عذّالٌ بما هاموا ... فما شفاهم من التبريح تَلْوامُ
ضلُّوا السبيلَ إلى وجدٍ فَنَغَّصهُمْ ... وطوّحَتْهُم به شكوى وآلامُ
دع الهوى بُغْيَةَ الفانينَ إنّهمُو ... راموا الجسومَ فما عَزّوا ولادموا
واطلبه في الروح صفواً باقياً فله ... من العُروبة عُشاق وهُيّام
حُبٌّ لعمرُك ما هانت نوازعه ... ولا رمَتْهُ تباريحٌ وأوهامٌ

* * *

هذا فؤادي وقد نقَّلْتُ صبوته ... شعراً فأغراه موهوبٌ وعَلامٌ
وفُتُّ زهرَكَ حتى ردَّنِي شغفي ... إليه حين ذَوَتْ في الروض أكمامُ
سلْ ربَّةَ الشِّعرِ كم طافت بخاطرتي ... وقد تملَّكني فنٌّ وإلهامُ
فزرتُ كل نبيلِ الحِسِّ مبتدعٍ ... رقَّتْ معانيه واهتاجَتْهُ أحلامُ
لكنْ هواك أعادَ القلب معتذراً ... إلى الحبيبِ الذي لُقْباه إغرامُ
فأنت أول محبوبٍ رَجَعْتُ لَهُ ... ما صَدَّنِي عاذلٌ فيهِ ونَمّامُ

* * *

دَعْني أكُرُّ لديكَ الحربَ ماثلةً ... في ساحتيك لها ثأرٌ وإقدامُ
ويوسفٌ عندها يُزجى ملاحِمَهُ ... على الثُّغورِ وجَيْشُ الروم سمَّامُ
صَوَّرْتَ غاراتِهِ هولاً تدورُ به ... على بِزَنْطَةَ نيرانٌ وأرْجَامُ
لما سقاها الرّدى طارَتْ مزاعِمُها ... يا مَنْ رأى الرومَ لما ذَلَّتِ الهَامُ
إن كانَ للمتنبي في خوالده ... بسيفِ دولتِه مَدْحٌ وإكرامُ
فرائعاتُ ابنِ أوسٍ آبداتُ رُؤىً ... يَصُولِ فيها من الثَّغْرِى مِقدامُ
كلا الأميرينِ صِنْوُ الشاعرينِ عُلاً ... لولا هُمو ما زَهَتْ في مَجْدِها الشامُ

* * *

يامُسعِفَ الوصف في التاريخ ما عُرفتْ ... لولكَ ملحمةٌ فيه وأيّامُ
وَجَدْتُ شعركَ خاضَ الحَرْبَ لاهِبَةً ... تحتَ العَجَاج كأن الشِّعْرَ صَمْصَامُ
وجَلْجَلَتْ منه حوْماتٌ فما سكنتْ ... إلا على النّصرِ رفّتْ فيه أعلامُ
وصرخةُ الغوثِ لما جاءَ هاتفُها ... من غادةٍ مَسَّها بالغَدْرِ أرْوامُ
هبّتْ لها الصِّيد تَفديها فوارسُهُمْ ... وجيشُهُم في يَفَاعِ الروم طحّامُ

عليه معتصمٌ باللّه يحفِزُهُ ... للفتحِ في عُصْبَةٍ ما نالهم ذامُ
حتى أصابَ بعَمُّوريَّةٍ ظَفَراً ... فدكّها وعَنَتْ في الحِصْنِ آطامُ
ما أروعَ الوصفَ لما رُحْتَ تسكُبُهُ ... على تهاويلها والوَصْفُ رَسّامُ
والسُّور في زحمة الإعصار ملتَهبٌ ... وقد أهيلَ على «مَنْوِيلَ» إرغامُ
لم يَبْلُ عَهْدُك فالدنيا تُجَدِّدُهُ ... وللشعوبيّةِ الحَمقاءِ إيلامُ
قل «للدُّمُسْتُقِ» هل قد عُدتَ مُندَحِراً ... في «بور سعيدٍ» وهل أغواكَ إجْرامُ

جَرَرْتَ أسْطولَكَ المَهْزومَ تَنْدُبُهُ ... وحَوْلَهُ الذُّل يومَ الخِزْى عَوّامُ
وصار نَسْرُكَ عُصْفوراً فياطَرَبي ... وفوقَ جَيْشِكَ نَسْرُ العُرْبِ حَوّامُ
برزتَ يا شاعري في حَلْبَتينِ، فهل ... أتْمَمْتَ عهدَكَ حتى قيل تَمّامُ
في ساحةِ الشرق أبطالٌ غطارفةٌ ... عاطاكَ فيهم فدا التخليدِ ضرغامْ
رمى، إليكَ الفتى «الطُّوسِيُّ» أدْرُعَهُ ... وهَزَّهُ للمَراثي مِنْكَ أقْوامُ
فاخضَوْضَر الدَّمُ في بُرْدَيهِ يُنْعِشُهُ ... أجْرُ الشَّهيدِ من الفردوسِ إنعامُ
من أجلِ مرثاتِكَ المحبوبِ رائعُها ... قد زاحمَ الحيُّ مَنْ في تُرْبهم ناموا
أما تَمنى بها «العِجْلي» مِدْحَتَهُ ... وشاقَهُ في رُبى التخليدِ إلمامُ

* * *

يا ناسِجَ اللفْظِ أبراداً مُنَمَّقةً ... وغائص الفِكْرِ لا يغْشاهُ إبْهامُ
أبدعتَ شاميَّةَ التِّبيانِ حاليةً ... يحمى حِماها بِعَهْدِ الضّادِ هَمّامُ
تَبْلَى الليالي ولا تَبْلَى نواضِرْها ... عِزٌّ توارثَهُ في الشِّعرِ أقْوامُ
لولا الصِّناعةُ ماراعَ الجمالُ ولا ... رنا إليه من الإبداع وسَّامُ
ولمسةُ الفن إنْ مَرّت بساحِرِها ... على الطبيعةِ زانَ الحُسْنَ إحْكامُ
وللشّرابِ حَلاواتٌ تَصَوَّرَها ... من راحَ يُعْجِبُهُ في حُسْنِهِ الجام
مُعَلِّمَ الشِّعْرِ إنْ عاشَتْ شوامِخُهُ ... من بعد «شوقي» وصانَ الفَنَّ قوَّامُ
فقد عدا الفتيةُ اللاهونَ في كَلِمٍ ... ما ضَمَّها لبيانِ العُرْب أرْحامُ
يقطِّعون من الفُصحى أواصرها ... وفيهمو ألْكَنٌ يَهْذِي ونَظّامُ
لا تَطْلُبِ الروحَ فيهمْ وهي هامِدَةٌ ... فكيفَ عاشت تجاليدٌ وأجْسامُ

يا ثائرَ الشِّعرِ قد عادت «لجاسِمِهِ» ... نَجْواكَ وابتَدَرَتْ ذكْراك أعوامُ
وجاء أهْلُكَ والأدابُ تَنْسُبُهُمْ ... فضمَّهمْ بكَ أخوالٌ وأعمامُ
يا شاعرَ العربِ في عصرٍ سما شرفاً ... صانَتْ أوابِدَهُ كالسيفِ أقلامُ
نافَحْتَ عن حَوْزةِ العَرْباءِ في أممٍ ... لها شُعوبيَّةٌ جُنَّتْ وآثامُ

لولا قصيدُكَ تَرميها جواحِمُها لدَوَّمَتْ في سَماءِ الضّادِ أعْجامُ
هذي فلسطينُ كَلْمَى في مَشارِدِها مَهيضَةً نالَها بالويل هَشّامُ
زأرُ الرياحِ عليها الخِيام نَفَى رُقادَها والكَرى للأُسْدِ مِهْزامُ
هبّتْ لها العُرْب تَغلي في حماستِها كأنها عاصِفٌ للهول زَحَّامُ
كفى بها جامعاً للعُرْبِ في ملأٍ لهم عَنِ الغَوْثِ والثّاراتِ إحْجامُ
قل لي بربكَ ما طَعْمُ الهوانِ إذا الصِّم يدُ المناجيدُ يَوْمَ الثأرِ نُوّامُ
فلو بُعِثْتَ أبا التَّمامِ تَحْفِزُهُم وشعرُ مثلِكِ في الغاراتِ دَوّامُ
وأنْتَ تَعرِف صِدْقَ السّيف في نبأ ضلَّ الكِتابُ به والغَيْبُ رَجّامُ
قد بَدّلَ العَصْرُ أسْبابَ العِلاجِ فما تُشفى على جَرعَاتِ الشِّعْرِ أسْقامُ
نحِّ القصائدَ عن جُرْح فما نَفَعَتْ ضِمادَهُ كَلِمٌ تَسْبِى وأنغامُ
وللكرامةِ روحٌ شأنُ صاحبِها ألا يطولَ به باغٍ وظلامُ
يا مُبلغَ العُرْب يوماً حان موعده الحَيْف ما عاش في طَغواه هَدّامُ
لابد من طحْمَةٍ تغلى مراجِلُها يَقودُها ناصرٌ للعُرْب للعَوْدِ مِقْحامُ

* * *

شَفَتْ لحاظَكَ جُمهوريّة طلعتْ في وَحْدةٍ ضَمَّها في الوُدِّ إبْرامُ
يهيجُ فيها مزيجُ النيلِ في بَرَدى روافداً شاقَها بالشَّمْل إتمام
دقّتْ يدُ الخَطْبِ أبوابِ الحِمى ومتى حانَ الوئام يكُن للجَمْعِ إسهامُ
وما لعينٍ هناءاتٌ بغفوتِها إنْ كانَ في جَنْبِها ذِئْبٌ وآجامُ
فانسُجْ على يَوْمنا الأمْجادَ إنّ لنا عهداً على الغَدِ لم يُمْهَلْ به عامُ
ومَنْ تكن لانتصار الحق ثورتهم فدَّوا جهادَهُمُو والوجهُ بَسّامُ

* * *

إشارة وداع

إلى الصديق صلاح لبكي

تعجلّتَ هذا البين من غير تسآلِ فويحك كنت الأمس كوكب آمالِ
رأيتك في مصرٍ على زورة سرت طوابعها ذكراك في فنِّكَ العالي
أتنشدني من شعركَ العذبَ فتنةً يميد لها النادي بنشوة مختالِ
وترفع كفاً في الفضاء كأنما تناوَل وحياً من تهاويلِ أقوالِ
وتقدَحُ فكراً شعَّ من عينك الهوى عليه ودار السحر في كنزه الغالي
تعود بي الذكرى لعشرينَ لَمْلَمَت تصاوير أحلامي وما غيَّرت حالي

فقال أخو الشعر المقطَّرِ لفظه «أمين»[1] ومَنْ معناه بدعة تمثالِ
إليك «صلاحاً» ناسِجَ النُّورِ شِعره أطلَّ علينا من سماواتِ جَوّالِ
فرحتُ إلى بيروتَ أستاف زهرها وأنشِق ريَّاها بنجوَةِ عُذَّالِ
فديتُكِ يا زين البلادِ ألم تزل بساحتِكِ الغنَّاء دارة أخوالي
أودَّعتِ بالأمس المهيمِنَ فنُّه. وقد كان ملء العين والقلبِ والبالِ
تهكَّمَ بالدنيا فما لمتُ لمزَهُ وحاولَ في الأسرار تحطيم أغلالِ
وكان يرى الموتى سلالة جدَّة تَرَقُّعُ ماء يستحيل لِهَطَّالِ
فأين ثُرى تهمي، وكيف بروضة تخلفتَ عنها أن ترى عندها السَّالي
فيا جامع الأقلام كان حطامها تمنَّى لك التعميرَ في الزمن الخالي
لعل صريراً في دموع مدادها يديم عليك الحزن في رمز اعوالِ
و«عائدة»[2] ما كان أصفى ودادها وتحنانها حتى تصاب بارمالِ
كأنَّ على ناديك هاتف روحه فقولي له عجَّلتَ في زم ترحالِ
أرى الموتَ مأساةَ الحياة كأنه ضريبةُ عمر خاسر العيش كالمالِ
فمهلاً على أهل النهى خطواتهم إلى االتُّربِ لكن الردى شرٌّ مغتالِ
فيا نسمة من نحو لبنان هفهفت تعالي إلى صدري وطوفي بأوصالي
وقولي لصحبي في الأشم لمجدِكم على هامة التاريخ سيرةُ أهوالِ

* * *

دمعتي على سلمى رويحة

سلام على سلمى بحزني وأدمعي — وهيهات حال البين دون تودع
أحقاً مضت مثل الخيال الذي سرى — وراحت من الدنيا إلى غير مرجع
أتى نعيها فاحتار شجوى ولم أكن — أصدق فيها بالحديث المروع
وسابقتِ الأقلام مثلى بحسرةٍ — عليها سباق النادب المتفجعِ
يزيدُ على مرِّ البعادِ تحزّني — وخفَّ إلى الدنيا الغرور تطلعي
وما غربتي إلا شآبيب دمعةٍ — يحثها شوقي لأهلى وأربعي
فيا بردى هل منك جرعةُ ظامئ — وهل في جوار الصالحيةِ موضعي
وكيف سماءُ الشام في أنجم النسا — وسلمى عليها فرقد حين تطلع
فزعت إلى الذكرى وكانت بعهدها — كأني أراها ملء عين ومسمع

---

(١) هو الأستاذ الشاعر أمين نخلة.

(٢) هي زوج الشاعر.

وقلت أيا ربِّى أفاقت كزهرة ... ومرّتْ كأحلامٍ وعاشت لمصرع
فيا وجهها في الغيبِ هل أنت باسمٌ ... إلى غادةٍ محروسةِ العمر لاتعي
تصدّ عن الألعاب وهي حسيرةٌ ... فليست تجوسُ اليوم منها بمخدع
فمن بعد تلك الأم يضفر شعرها ... عناقيد لفت في بنان وأصبع
ومن غيرها يحنو عليها بضمة ... تكاد من التحنان تمشي بأضلع

فيا (أحمد السمان) (١) ما لك حيلة ... تلاقيكِ من بعدِ الحبيب وتجزع
عرفتك في الدنيا قنوعاً فكيف لم ... تسامح بمولود وحيد وتقنع
فليتك طاوعت المعري منصفا ... فما كنت ذا بغض ولا ذا تولع
ويا روحها قد كنت جارة العلي ... ولكن أيا لهفي بجسم مضعضع
فطيري على االأكوان مثل حمامة ... ومن فوق دوح في الفراديس فأسجعي
أتهفو إلينا منك في الخلد نغمة ... شآمية مثل الزفير الموقع
تلونا لها القرآن روحاً رحيمة ... وياليت نتلوه لها فوق مضجع
أسامرة للشعر بلبت خاطري ... فزدت النوى من مستحرّ وموجع
رأيت بشعري رنة الحزن تتهمي ... وأن على يُتمي شعور تلوُّع
وواعدتك الأشعار وصفاً ومبرحاً ... فقلت لعمر اللّه ما أنت مدّعي
فواحزني هل كنتِ تدرين أنني ... سأرقيك في شعر يفيض بأدمع
فيا شعلة هبت نبوغاً لتنطفي ... على فتنة الآباد من عبقر اسطعي
غداً (غادةً) تسمو لمجد بحزنها ... و (أحمد) يضحي بالأسى خير مصقع

القاهرة في ١٠ شباط ١٩٤٤

* * *

ذكرى وفاة الزعيمة المصرية
هدى شعراوي

يا ساكب الدمع ليت الدمع يعطيني ... فالخلد والنوح ما ضمها لميمون
خل البكا على من لا خلود لهم ... عاشوا وماتو لا دنيا ولا دين
وانظر لإكليل غار حلّ ضافره ... على جبين التي روحها تناديني
هدى وفي عينها خلف الغيوب رؤى ... تصبو إلينا كأرياح البساتين
أغريتها (بالندى) والشعر أسكبه ... تحية يوم لذكراها يناجيني
فلاح لي وجهها الوضاح مبتسما ... وراح بأشعر والإلهام يغريني

---

(١) هو الحقوقي الكبير الذي صار فيما بعد مديراً لجامعة دمشق.

* * *

في عالم زال لا عادت مشاهده ... لقيت كرائحة أثواب مسجون
وإني تمثلته في نسوة غربت ... بين الحجاب وبين الظلم والهون
قد جنها البيت حتى ضنّ ساكنه ... بالضوء فانطرحت في شر سكون
تنوح في حمتها من هول ساجنها ... وتبتغي منقذاً من حكم مجنون
إذا تبسم منها الثغر قيل لها ... أفحشت فاستترى في ظل مكنون
وإن تخطت إلى الأسواق هبّ لها ... رواصد البغي في أنظار مغبون
فكم تمنت لو أن الموت عاجلها ... لكي تخلص من كيد الشياطين
حتى أتتها هدى بالنور تنقذها ... وحطمت قيدها بالعنف واللين
هي التي أنجدتها عند محنتها ... قالت لها أنت من ماء ومن طين
ضل الرجال على حرية عبدت ... في عالم مطلق بالعدل مضمون

* * *

من للعيون التي أغفت محاجرها ... ترى أياديك في يوم المساكين
كان الثراء على ناديك ينطره ... لكنه البذل من كف الميامين
جبرت مكسورة أو صنت مكرمة ... وكم مسحت الأسى عن لف محزون
ضحيت بالمال والأعمال جاهدة ... والروح جبارة في جسم موهون
فإن خطرت تجلت فيك رائعة ... يا من رآك كأكفاف الرياحين
عليك أبيض منديل يشف به ... صدق الجمال على صفو التحاسين
زعيمة أنت ما أطفا الزمان لها ... نجما ولا طلبت في معشر دون
هيا انظري مصر في آفاق عزتها ... غنى لها الدهر في سر التلاحين
ألقت صباها على الدنيا بنضرتها ... وتحفظ العهد بالأسد المطاعين
حمى العروبة في خفاق وثبتها ... يحيا على مجدها عرب الملايين

* * *

إن قيل من أنت قلت الشام تنسبني ... ومصر تعرفني والنيل يرويني
ولي على بردى ريان خاطرة ... كلا النميرين بالآداب يحييني
هذي تحية ذكرى كنت تائقها ... ظلت على البعد ترعوني وتدنيني
حتى رجعت لمصر والهوى رجعت ... أيامه حيث كان الحب يشقيني

* * *

في رثاء زهير ميرزا

يا دهر يا نهر الغنا الدائم ماذا أفدت من الردى الغاشم
نشوان تهزأ بالوجود، وما تدري أعدل أنت أم ظالم
غرق الأنام بدمع شقوتهم فمتى يتاح المبهج الباسم
وثنى الأحبة عن مرابعها خوف الخطوب وغدرها الداهم
يا زهرة في الروض يانعة ما بعد قطفك خاطر هائم
مر النسيم ولم يجدك فلم يأنس وراح بطيفه الساهم

* * *

أزهير، يا شعر الحياة ويا روح الصبا بجناحه الحائم
طار الخيال يغن ساحره حتى أتاك بفتنة الواهم
فسلبت من روح الهوى نغماً عذب الحنان أطاح بالناغم
وأطفت حول النور ترشفه مثل الفراش فنالك الجاحم
إنّا ربطنا بالحدود فدى ومحالنا المتجاوز الطاحم
لا تبتعد فالأرض منبتنا ومصيرنا في حظنا القاتم
يالا هباب والجو مصرعه في كل قلب رسمك الجاثم
بطلاً خلقت ففيم تطلبنا حتى نزيدك قوة العازم
ولرب ذي أدب أضحت له تبغي لديه وسيلة الغانم
أأتيت تأخذ أم لتعطيه ولقد ظفرت بحصة الغارم

* * *

هل ربة الأشعار شادية تحنو عليه بثغرها اللائم
جاءت أزاهير بمطلعها لا تلقي بربيعها القادم
سألملم الذكرى وأسفحها دمعاً وأسأل من هو الراحم
وإذا الوليد حبا وقال أبي فمن المجيب تحية الباغم
تهتفا على عينيك لمعهما قبل النوى بصغيرك الحالم

* * *

بئس الخداع أَنَبْتغي أملا ويجيئونا لقطافه الهادم
والعمر تغمرنا فجائعه فنروح قتلى سيله العارم
لا رأى للمختار في قدر ختم الأنام بأمره الواسم
فاحمل حياتك من مطالعها حتى الغياب بليلها الفاحم

* * *

١٩٥٧/٢/١٨

أرسلت للسيد محمد آل حمدان صاحب مكتبة دار اليقظة بدمشق لتنشر في ذكرى المرحوم تلميذي ثم صديقي الأستاذ زهير ميرزا الذي قضى حرقاً في الطيارة بجبهات القامشلي منذ عام.

* * *

في رثاء نظير زيتون

أعليت من شأني بوصف شاف ... يا منصف الآداب والآلاف
إن قلت أن ملاحمي مشهودة ... شعري ابن بجدتها مدى الآلاف
لم ألق مثلك في محاميد الندى ... ندبا يسيغ القول سوغ سلاف
تعطبالشهادة بالفنون كأنما ... نهر بجنبك أنت منه مواف
هو نفحة (الميماس) في خطراته ... أعطتك منحة جوده الهفهاف
ومن الأزاهر في بساتين الحمى ... وحفيفها في جوقة الصفصاف
أبكت عليك بنوحها ورفيفها ... والريح سارية بوجد واف؟

* * *

من حمص كنت فأنت كلّ وجودها ... أفقاً وسيع الصدر والأطراف
ومن البحيرة في مسارح مائها ... بحراً غدوت بموجك العزّاف
ولدى ميامن أهلها وعشيرها ... قد عشت تنسج شرعة الأحلاف
هذي الجنينة روضة فينانة ... هل بعد يومك تجتلى بزفاف؟
خلف البحار أطار صيتك مهجرِ ... لم يثن شوقك عن حمى الإيلاف
ألّفت فيه الجاليات وصنته ... عن كلّ مجهلة وعن إسفاف

* * *

آمنت بالسحر الحلال تبينه ... ببيانك الأخّاذ ذي الألطاف
كأس من الملكوت، سكب مذاقها ... من كرمة الصّوفيّ، ذات هتاف
عاشت مشعشعة وبعدك فيضها ... سيظل دنّ الشارب العرّاف
أنا من أدرت عليه خمرة بابل ... بأزاهر للفّظ كالأفواف
أخوانك الصّيد الذين عرفتهم ... في صاغة الإبريز أهل رهاف
صاغوا الدّمالج والحليّ وفتنة ... للغيد في صور الجمال الشّافي
ونسجت مثلهمو البيان منمنا ... بتواتر المسجوع والمهياف
يا ساجعاً كالطير في جنّاته ... لم يخش فيك النشر رجع خلاف

* * *

النثر حرّره اليراع بعصرنا ... والسجع فات بزخرف ورصاف
فعلام شئت معاده وحياته ... والعهد منك بجدّة وطراف
لولا يراعك فيه حتّى صنته ... عن كل مثلبة وعن إرجاف
لسعى العتاب إليك فوق أسنة ... أقلامها مشبوبة الأسياف
يا راوي الأقدار وابن حروفها ... وعريف ظنتها على الأطياف
عبر الصديق لديك في منبته ... فرثيته بصحائف كصحاف
وشّى رثاؤك لفظها وفتونها ... ديباجة كلألىء الأصداف
يا ناسجاً لسواه أبراد العلى ... أنت الجدير ببردة الأشراف
لو كنت تعلم أن يومك قادم ... لرثيت نفسك بالبيان الكافي
كلا، رأيتك لا تتّشوق بالمنى ... يا من حييت بزاهد عيّاف
المجمع العلمي أمس تزيّنت ... أعلامه بك وازدهى بمناف
ومعاهد الآداب كان مرامها ... لوجدتها بمحاضر مضياف

* * *

أ (نظير) أين نظير علمك في الملا؟ ... تاللّه مثلك كان في الأسلاف
يا كاتب العصر الذي إبداعه ... خلب العقول بفنّه الوصّاف
أ(نظير زيتون) ولاسمك شاهد ... في حلفة القرآن غبّ حلاف
قد عشت في أظلاله متنسما ... صفو البيان بعلّوه الشفاف
قل لي فديتك، لو ملكت تحاورا ... يا عابداً في الدين غير مناف،
يا راهب الفكر الذي عرف التقى ... وقضى الحياة مجللاً بعفاف
فيم ابتعدت عن الحسان وأنسها ... في الولد والعيش الهنيء الصافي؟
إني لأزعم أن قصدك في الدنى ... حريّة جلّت عن الأخلاف
لكن مصيرك في الجنان وأهلها ... في عالم يحيا على الإنصاف
لابدّ من حوراء عين تنتحي ... بك في فراديس من الأعطاف
وتنيلك الحب الذي ساغت به ... قبل الوصال بلهفة وشغاف
صلّى المسيح عليك في بركاته ... ومحمد وافاك بالأحناف
في أدمع التوديع لا عج حرقة ... باد وفي الأحشاء منه خواف
ودعاك ربك أن تكون جواره ... بصلاة نثرك خالد الأعراف

* * *

من بواكير المحاسني في المتنبي

وتروي لَكَ الأيام شعرَكَ بعدنا ... فدعواكَ في تلك الرواةِ صَواب
وقد نظر الأعمى لشعرك والذي ... به صمم وأتاه منه لباب
حييت عظيماً ما تطأطيء هامة ... ومت عظيماً لم ينط بك عاب
وقتل أقواماً هجاؤك شرما ... تقتلهم في النازلات حراب
على وجه كافور بوجهك صفعة ... وفي ذكره المرذول منك سباب
أيا واحداً في الشعر جل عن الفنا ... أطاعتك من شمس القريض رقاب
أغاروا على عِصْم من الفن صُغْتَها ... فزاد بقاها خلة ونهاب
ورماك أعداء رأوا فيك أمةً ... مناها على طول النضال صلاب
تهشم منهم كل أنف بضربة ... كأنك نسر والعداة ذئاب
رحمتك منذ أدركت في الناس خلتهم ... وأنكر لي في الضائقات صحاب
وجانبت حسن الظن وهو خديعة ... وكان على عيني منه حجاب
وجدناك تسدي الخير في كل حكمة ... صدى أنفس مجروحة وجواب
وعلمتنا أن الذمار عقيدة ... وأن المنايا في الهوان عذاب
وطعم الردى في العز حلو مذاقه ... وفي ذلة طعم السعادة صاب
يا مالئ الدنيا وشاغل أهلها ... مضى بك في جوز الفضاء ركاب

فرف على الخلد الذي أنت أهله ... كما رفَّ في بحو الطليق عقاب
وخذ كأس فردوس تصفت من الشقا ... كفاك بأكدار الحياة شراب
تلقّاك في جنات عبقر معشر ... فطبت بهم لما رأوك وطابوا
فما لك فيهم حاسد يبعث الضنى ... ولا كاسر منهم بخيفك ناب
أياً ملكاً في الشعر ماثل عرشه ... ولا كان للدنيا عليك غلاب
تمر به الأحقاب تنسج ذكره ... حميداً فلا تبلى عليه ثياب
فلولاك ما خلّو ابن حمدان كائن ... ولا كان للشهباء من نصاب

* * *

قتلت ببيداء وضعت بسّرها ... فما غيبت منها عليك شهاب
فليت دمشقاً وسَّدتك ضلوعُها ... وضمتّك بين النيربين هضاب
بسمع الدنى يا شاعري أنت ملهم ... وفي ألسن الأزمان منك خطاب

* * *

خلود العقّاد

يا أيها العقادُ ما البعد ... ماكنهُ هذا الصوتِ، ما الوعد؟

فلسفْتَ كلّ حجاً وكل هوى صوراً لديك يفوتها الحد
من عبقرٍ لمعات خاطرة فيها لك الريّحانُ والنّدِ
وبعقلك الجبّار ساحرة طلعتْ بروضك فنها يشدو
كنا بشط النيل معشرنا يرنو لنا في قربك السعدُ
في مجمع الأعلام في كتبٍ في ندوةٍ آدابها رِفْدُ
أكرمتَني بسنيةٍ(١) نشرت أُزْهى بها إن فاتني المجدُ
حتى أتَتْ أسطورة خلبتْ آمنت أن مقالها جدُّ
أنظر بهذا الليل في قببٍ فوق المقطّمِ والسنا وقَدُ
سطعتْ مطالِعُ كوكب وعلى نهرِ المجرة شاقه الوردُ
يبدو به «العقاد» فهو إلى يوم المعاد على السما عقدُ
لكأنَّ صوتاً منه ردده.. هذا الصدى ولصوته رعدُ
يا من هو الطفل الوديع إذا ضاحكته، وعبوسُه الأسدُ

وتطول قامته مسددةً ولعنقه في شملةٍ بردُ
نبحت دجى بدراً «معاويةٌ» حتى أصاب لهاتها الكَدُ
كانت عصا موسى براحته لما أراد عراكه النقدُ
واليوم لا نقدٌ ولا جدلٌ فليفرحِ الخصماء والضدُّ
مهلا ففي آثاره برزت أقلامه فحرابها جرد
وبكتبه دوَّتْ عقيرتُه سدّتْ مسامعَ من به حقدُ
فافتح بها للعرب جامعةً يبقى على أيامها الحشدُ
يا رائع الأسفار ملهمةً بالفكر بعدك لفَّها الوَجْدُ
مصرٌ نمتك فكنتَ كاتبَها وصفْا لها في قربِكَ الودُ
ضمنتْك حيّاً في جوانحها فضلوعُها في موتِك اللحدُ
فيك التراث لأمة وثبت وافاك في تاريخها الخلدُ

١٩٦٤

* * *

أبو تمام

دع القلب للحب الذي كان هاديا وعلمه في البغضاء ينسى المآسيا

---

(١) نشر الأستاذ عباس محمود العقاد مقالاً رائعاً عن كتاب «شعر الحرب في أدب العرب» للمحاسني، تراه في مقدمة الطبعة الثالثة لهذا الكتاب، وفي «أشتات مجتمعات».

أرى الشوك يدمي اللمس فأعجب لحاقد ... على قلبه شوك وقد عاش هانيا
وما الروح إلا روضة فاح زهرها ... ورفرف في أغصانها الحب شاديا
وتنطلق النفس التي خف ضغنها ... كما اطّرح المنطاد ثقلاً مجافيا
سلاماً أبا تمام ألقيت لي الهوى ... بدار هي الأولى وما كنت نائيا
حبيبك من ناجى فؤادك أولاً ... وطارحه الشكوى وأبقاه حانيا
ولكنْ فؤادي للأحبّة كلهم ... إذا وسع الأدنين ضم الأقاصيا
وكل بلاد العرب داري على النوى ... أحن إليها رائحاً ومغاديا
أجاسم، ما أطلعت فرقد شامةٍ ... على الدهر بل أطلعت عزّاً يمانيا
وإن لم تكن «حورانٍ» جادت بقمحها ... وأعوافها بالخير كن أوانيا
فَقَدَماً كفى «الطائيُّ» أمجاد أرضها ... وأشبعها ذكراً حميداً مواتيا
هو الخبز للشعر الرصين كأنه ... لمأدبة البنيان قد راح داعيا
أما قال فيه «البحتريُّ» قريعُه ... به قد أكلت الخبز إذ جئت باغيا
إذا نجمه في الأفق قد لاح شاعراً ... يصوغ الدرارى أحرفاً وقوافيا
ويبدع في التصنيع وشباً منَّمقاً ... فتغدو تحاسين الكلام أغانيا

ويرسم في التصوير ما نجلب النهى ... ويخلق بالتهويل ما ليس باديا
ويرصف بالألفاظ أفكار ساحر ... تلعّب بالألباب فازداد سابيا
فقد نسج الفصحى ونمنم بُرْدها ... وحلاه حتى راع في الدهر حاليا
وزان حلاوات العبارة عقلة ... فباهت بأسلوب وفاقت معانيا
وللشام أشعار بواق على المدى ... لملحمة العرباء كنَّ حواكيا
طوابعها طائية عبشمية ... أقام لها التاريخ سوقاً وناديا
وذا مهرجان الشعر حيا عهودها ... فعاد جديداً حسنها متماديا

* * *

إذا هتفت بالملحمات خواطري ... وحثحثت أهوالاً لها وأساميا
وقلت لأبطال المعارك بادروا ... فإن لكم يوماً يشيب النواصيا
تراءى بعمّوريّةٍ يوم فتحها ... ومعتصم باللّه يصمى الأعاديا
وللجند تكبير يحبط بحصنها ... وللحرب ألهوب يذيب الملاقيا
وجال لها الطائيُّ جولة مجده ... يخلد يوماً بات للخلد غازيا
أطل به «منويلُ» من برج سوره ... وشام جيوش العرب كالبحر طاميا

فيالِحصار يقدح الموت شده		وبالعرب جلجل الأفق عانيا
وحطت على الرومان حمرٌ لواهبٌ		أحالت بياضاً كالنهار اللياليا
كأنك من هول التصاوير واقف		لد الحرب تهتاج الردى والمناديا
وحولك نزّالون للخطب ألبسوا		حديداً وناراً واستطابوا العواديا
تنبّهْ أبا التمام من هامد الثرى		فإني أروى اليوم ما كنت آتيا

قد عشتُ للعرب الميامين حامياً		وللنزعة العرباء في العصر داعيا
كأن ابن طوسيٍّ يجول بفيلق		على الشرق يرمي الصف بالصف ماضيا
بكيتَ عليه بالدموع فأصبحت		تفيض بها عين الزمان مباكيا
وجلبته برد الخلود بسندس		على الأخضر الريان إذ بات داميا
فتى ظل في أفق الوجود فداؤه		سكبتَ له الأبادَ شعرك راثيا
فلله مَرثاة تمنى عيونها		ملوك وسادات فتشري المراثيا
ألم يبك نجواها «ابن عِجلٍ» وجمعه		كأنك للتخليد قد رحت حاديا
فقال: أبا تمام ليتك ضفتها		عليَّ كأكفانٍ وقد متَّ راضيا

* * *

أطلَّ فتى أوسٍ علينا فإننا		بنو الصيد عدنا للعهود عواليا
لنا البحر والأسطول يزحم ركبه		وأمجادنا في الدهر عدن غواليا
وتملأ آفاق السماء نسورنا		قوادمها هالت، وراعت خوافيا
وجيش له مسمع الغرب والدنى		زمازم تفري عزم من جاء غاريا
غد مرتجانا وهو موعد ضيغم		له الآن زأربات للبطش دانيا
لئن نشبت في كفه شوكة العدى		فعما غدٍ تُنضي ويأتيك غاديا
وما لبني صهيون إن حان حينهم		سوى البحر قبرٌ يلفظ الموت طافيا

* * *

فتى طيءٍ أنت النسيب أخو الندى		جعلت لنا القربى فكنا أهاليا
وذا نسب الأشعار أبقى أواصراً		فلا زلت تعطينا ولا زلت باقيا

* * *

أبو فراس الحمداني
الشاعر في صورة بطل

ذكرى سيوفك نشوة لا تخمد		وصدى جيوشك رعدة بك ترعد
أمدجح الفرسان واسمك في الوغى		علم على هام المعارك يعقد

صورت وجهك كالملاك براءة ... وعليك من حلل البطولة أبرد
وبكفك السيف الذي ضمخته ... بدم الفوارس وازدهت فيه اليد
فأبوك علمك الإباء بشرعة ... بقيت لديك على مداها السؤدد
والأم أفرغت الحنان ويا لها ... مكلومة منذ احتواك المولد
تتلو بلوح الغيب خاتمة الأسى ... وتنوح من وجد الفراق وتسهد
أعمامك العرب العفاة وشاركت ... في الخال بيزنطية بك تمجد

* * *

للصيد يوم كنت فيه على الحمى ... في جنب منبج والغوائل ترصد
فدنا (تيودور) الممنع قانصا ... ويطول عجبي كيف صيد الأصيد
فاغتال أمنك حيث بت أسيرة ... مصفود زند كان فيه المعّود
وحللت (خرشنة) فويل بروجها ... لما أطاعك في الخلاص الأجرد

فعلوته وهويت فيه (بآلس) ... نهر يعج بمائه ويعربد
ونجوت للحرب العوان تسوقها ... بحتوفها وتديرها وتجدد
حتى رجعت إلى الإسار مصفدا ... لكنّ روحك حرّة لاتصفد
ونزلت قسطنطينة ضيفا على ... طاغ من الروم العتاة يهدد
نادمته لا شاربا صباء ... لكن مفارعه فخاراً يحلد
ضخم اللغاديد استمع لمقالنا ... فالعرب في أدب وحرب تحشد
ولها الملاحم شعرها وسيوفها ... فالكتب عقل والشعر مهند

* * *

وتداولت ذاك الأسير سرائر ... يشكو البعاد وبالفداء يندد
ما كان سيف الدولة الواني ولا ... نسي الجهاد من ابن عم يجهد
لكنّ (نيسيفور) كان مواعداً ... بلقاء حرب سيفها لايغمد
فبكت على الولد الحبيب بمنبج ... تلك العجوز بدمعة لاتجمد
ولداه أسأل عنك ركبان الملافي ... كل مسى والليالي تشهد
حتى إذا غارت نجوم حوّم ... أودعتها لك لهفة لاتهمد
يا صائغ الشعر الكريم قلائداً ... جيد العروبة من حلاك مزود
ساءلت فيك ملاحماً مضفورة ... فيها تهاويل الحروب تعدّد
تغلي الدماء على التماع شفارها ... ويعاذ فيها بالخلود ويقصد
أو فارس شهد الوقيعة عمره ... ومناه في غمراتها يستشهد

شغلتك لاهبة الحروب عن الهوى ... فيها تثار ولم يثرك الأغيد

وعناقك المرّان كان أحب من ... مقدودة فيها الغرام الأكيد
أجننت في حب الوفادة والوغى ... حتى فؤادك عن سواها الموصد
وجعلت دينك في المروءة والوفا ... فنبالك العاتي وخان الأوغد
لو صبت الأخلاق استقام خيالها ... ببطولة أربابها تتأبد
أعفو إلى (رائية) نسجتها ... بروائع عقيا نهن المفرد
دوّت حماستها كأن زمازما ... للعسكرين إلى التحام تنهد
وهفت بداوتها بمدح أصالة ... عدوية حمدانها بك يحمد
قل لي. وتمتلك الجواب أشاعراً ... قد كنت أم بطلاً يشن وينشد
تلقى نبيّ الشعر في نفحاته ... ملاء الدنى وبه القصائد تعبد
وتظل وحدك شاعراً في عهده ... وتزيد أنك فارس متوحد
الملحمات على بيانك شرّع ... يرو الزمان نشيدهن ويسرد
وأرى بزنطة ركعا أبطالها ... وعلى الدمستق خشية لاتنفد
والدرب من حلب توسد طائعا ... وعصا الخليج وسوره المتمرد
كانت عراب الخيل ترعش مرعشا ... وبهن تنثغر الثغور وتشرد
يا فارساً قدح النجوم بحافر ... من خيله يهفو إليك الفرقد
أشرقت مثل الشمس عند بهائها ... لما الزمان صفا وعاد يغرد
فنضوت عنك عرى الأسر على الفدا ... حتى غدت حمص لحكمك تعهد
وافاك فيها حاسد مستبطن ... غدراً وفي القربى يجول الحسّد
أ (أبا الاداني) ويك يا ذئب الورى ... أتحزّ رأساً للمعالي ينهد

لو أن والدك العظيم مطوّع ... خلف الغيوب وأنت منه الأبعد
لرماك في عقبى الثبور تردياً ... من ذا يجنّ كما جننت ويفند
زين الشباب أبو فراس في الفلا ... يرمى بداهية الخطوب ويجحد
تبكي له في الصبح أخت وفائه ... وعلى المسا أمّ بهول توعد
فقأت عليه العين، ويح ضحيّة ... من عهد (أوديب) عليها الأعهد
قسماً إليك على النوى يا شاعري ... كاثرت فيك بأمة لاتنفذ
إن لم تمتّع بالشباب وزهوه ... فعليك من حلب ومنبج مسعد
ردا إليك صباك في وضح العلى ... في يوم عيد الشعر وهو الأخلد

* * *

إني لأنشق في ثرى شهبائكم عطر العروبة والمعارك ترقد
وأرى على هاماتها من يعرب حصناً وفيه من الروائع شهّد
وبرجعة الذكرى الحفول بواسم عرس يعود بها ويوم أرغد
وخيال سيف الدولة القرم الذي هزّ الدهور وفي حماه القوّد
غنّى به الشعر العظيم وطالما أمنت به أمصاره والفدفد
ضحكت به حلب وفي نشواتها تسعى الحظوظ وللمآثر ترشد
بلد به ثغر العروبة باسم لكنه حصن الحدود المسند
هو مدره الغزوات في تاريخنا وهو الحمام إلى العداة يسدّد
ناجيته بالحبّ وهو مواصل ومحضته شعري وودي مفدد
في سدة الأمجاد وصفحة مجده وبذكره ملح الزمان تردد

١٠ تشرين الأول ١٩٦٣

* * *

ذكرى أبي فراس

هذي الشواهق من ثرى حلالها عند النجوم ضياؤها وطلالها
تعيا الغمائم أن تلوذ بجنبها رفعت إلى هام السماء جبالها
والريح إن عصفت لتبلغ شأوها عادت وفي الأحلام كان منالها
لكن نسراً عبقرياً وحده ملك الفضاء فما عداه وصالها
في أنفها نشر الجناح مرفرفاً يصبيه في نصر العلى إذلالها
ولسيف دولته السوابق في الوغى هو في وقائع دهرها رئباً لها
هرب الدمستق من لقله إلى الفنا والروم تعرف بطشه اقيالها

* * *

يا روعة الحدثان في طرق الفدا هذا فتى حمدان وهو مثالها
عدوية أنسابه من معشر يسمو بهم يوم الخطوب نضالها
قالوا تمرّس بالحسام وبالقنا وأتى المعارك لم ترعه نبالها
زحم الحصون الشم في بيزنطة فعنا لصدمة سيفه مختالها
يا يوم (خرشنة) وهو عراكه وجراحه بشطبالعدى سيّالها
ركب الجواد على الأعالي وارتمى بالنهر فيه وللوغى عذالها
كان الفرار له منال حسة رغم القيود تثيره أغلالها

وعلى الاسار حوته قسطنطينية ولأمه في منبج أعوالها
وقفت على الدرب البعيد لقافل من نحوه يهتاجه نسالها
فاختار في الأسر الحلاوة مرّة والكأس إن حليت روتك ثمالها

* * *

بطل أشمّ حسبته أسطورة يأبى فراس في اللقا أهوالها
قسماً بملحمة الدهور وعولها وبسحر هيلين المخيف جمالها
وبعويس وأشيل لو (هوميرها) رجع العصور تقوده أبطالها
لرأى بني حمدان أبعد عزة ببطولة أعيا الزمان صيالها
ما كانت الحرب العوان وحولها العرب الأباة رماحهم أعوالها
والروم واجفة القلوب كماتها تحت الحصار تصونها أثقالها
بأقل من طروادة وزحوفها يوم الفداء وما حواه قتالها
فاكتب بملحمة العروبة أنها إلياذة كبرى يروع جلالها

* * *

يا شاعر الأبطال كتبت بلاغة صفة الحروب بساحتك مجالها
لم يكف حربك سفها حتى انبرى منك البيان وطوعته أقوالها
تصف الوقيعة وانطلاق رحالها فكأن شعرك جاثم تمثالها
يرنو لك التاريخ في صفحاته زوالهـــا

* * *

ومعي تحد يوم خاتمة الدنى وأبو فراس ترثيه نصالها
وأبو المعالي غادر بعمومة ملء الحروب تلألأت أعمالها
يا ويح نفس ألف نفس كفوها قد سامها سوء الردى مفتالها
أفذاكر دفع الفتاة وشاعري والدفع فيه عن المصير مقالها
في موقف الغمرات قال أبنيتي لا تجزعي كل الأنام تهالها
نوحي بحسرة ثاكلات في الضحى ما كفكفت دمع النوى آصالها
قولي ودوني تربة وجنادل بعد المعارك ضاحك نزالها
زين الشباب أبو فراس لم يعش صفو الحياة وحسبه أحبالها
تروي بذكراه العروبة سيرة يروي الفخار نساؤها ورجالها

* * *

ديكُ الجِنّ

يا (ديك جِنّ) هَدْهِدِ الجِنّا ... ما كنتَ في أهْلِ الهوى مِنّا
نحنُ استَبَقْنا قبلَما خُلِقَتْ ... فيكَ الفنون وأَزْهَرتْ غُصْنا
وأتيتُ «حِمْصَ» مُسائلاً وَلِعاً ... أيّان تَرْقُدُ جَنَّةً عَدْنا
فأجابني النَّهرُ الذي غَبَرَتْ ... شكواهْ منْكَ وهَزّني مَعنى
قد عِشْتَ مجنوناً بغانية ... تَسقيك إلهاماً فنّا
(وَرْداً) تُسَمّى في مطالعها ... كان الربيع يزيدها حسنا
يا أغرَبَ الشعراء في شَجَنٍ ... أبَّدْتَ في أحبابها الحزْنا
كيفَ استطعتَ بحَرْقِها مَدَداً ... ولقد جَرَمْتَ بحتْفها ضنّا
وجعلتَ كأساً من هَوامِدِها ... تسقيك دَمْعاً يملأ الدَّنا
هذا هو الحَبُّ الجُنونُ، له ... بَطْشٌ يُزَلْزِلُ شامِخَ المَبنى
«مجنون ليلى» كان ذا خُلُقٍ ... يا عاشِقاً في طَيْشِهِ جُنّا

* * *

بَلَدٌ يريكَ الصفوَ والأمْنا ... (حِمْصُ) التي تَسمو بروعتها
تاريخُها بجهادِهِم أَسنى ... فيها مناجيدٌ غَطارِفةٌ
أهْلُ البيانِ وهُمْ بِهِ أَغنّى ... وكفاهم فَخراً يتيه به

قَلَمٌ أعَزَّ النَّثْرَ صاحِبُهَ ... وسَما به، بخلوده غنّى
مِصْبَاحُ (زيتونٍ نَظيرُ) عُلاً ... فيه شُقاعُ العُرْبِ لا يفنى
أسجو لدى «الميماس» أنْفَحُهُ ... بمفاتح «القرآن» كي يَهنا

* * *

أشعار محزونة لآل المعلوف

قل للرياحين وراد حزنك تطلع ... منذا رأى الريحان يضوّع
للشجو أزهار كأن عبيرها ... حمل الشميم إلى قلوب تدمع
تبقى الحشاشة حرقتها لوعة ... من غيبة المحبوب منذ يودع
لهفي على الأم التي أنجالها ... ملأت ربى لبنان شعراً يمرع
بالأمس كنت أحيل ذكرى شعره ... فوق الأثير يحن فيه المسمع
لو أمة وعت الحديث لرجعت ... أشعاره العليا بروح تنزع
ما حال موت دون إنشاد لها ... فهي التي فيها الشعور الأبدع
أم العباقر، ما ذهبت من الدنى ... لكن حواك من المعاني أرفع

طوفي السماء كما أطاف بنجمها «فوزي» قولي أي قصد أروع
جاء «الشفيق» إلى الشام يرودها فزواه عني حاسد متوضع
من (عبقر) قد كنت أرصد قربه فعلام أبعد اللئيمُ الأسفع
من غيرنا يأتي بالشعر الذي يروبعلاه وبالتلاقي يطمع
قد كنتَ من بضع السنسن ملازماً للمجمع العلمي، فكري أيفعُ
وأبوه كالملك العظيم، وباسمه «اسكندر» وهو الخطيب المصقعُ

فرأيت فيه العلمَ في نجم الهُدى أدب الشآم برغيه يترعرعُ
إني لأحسبه بفردوس العلى العلا هشّ اللقاء إلى فتاة تهرع
كانت له زوجاً كريمةُ قومها فأتته في الجنات خوداً تسطع

* * *

لذكرى فوزي المعلوف

لا تسلني إذا بلوت همومي أنا طيف الهوى وأنت كلومي
ربما همت في ظلال خيال ضاع مني وراح خلف الغيوم
أرتجي منحة الشعاع ولكن أين مني عواثري وسمومي
ويك يا شاعري سبقت إلى الخلد وخلّفت كل عمر ملوم

* * *

هوّمي لي على (زحيلة) فالليل ينادي إلى بنات الكروم
ورقاق الندى على مهبط الآلاف كأسي بغير سكب ذميم
نبض الماء بالسلاف فقل لي أيّما نشوة تبلّ رميمي
هي كهف للحب والشعر والأنغام حتى مغار كلّ النجوم

* * *

عند (فوزي) في الصمت، في الهيكل الدامس، ماذا ترى به من وجوم

نظرات وراء معنى بلا لفظ يزيح العيوب عبر السديم
شاعري، ما صنعت؟ ما صنع الحتف؟ فويل لكل شعر مروم
كوكباً جئت للحياة وغادرت وحيّا مثل الشهاب العظيم

* * *

الأحبّا أتو وطافوا وماجوا سمعوا في الصميم بوح الرخيم
نفذ الطرف واستجاب التنادي حين أبدعت حاليات الرسوم

في الأساطير أنت، صنو أبو لّون، إلى الشمس في انتقاض الجسوم
إيه يا شاعر الأعالي سلاماً في جناحيك روعة التحويم

دمشق في أول تشرين الأول ١٩٥٧

* * *

في وداع أستاذي الجندي «١٩٥٥»

الأرض منبتنا ونحن جسومها وأديمنا بعد الممات أديمها
يا حفنة الترب المقبّل ثغرها كم فيك من شفة يحنّ حميمها
إنّي أرى الأرواح في زهر الربّى ويشوقني عبر النسيم نميمها
وعيون ماء روّقتني كأسها كانت عيوناً في اللحاظ قديمها
ما لموت إلا حادث عبرت به الدنيا كريح في الفضاء هزيمها
وكأنما الأرياح آهات الجوى يبكي على مرّ الحياة رحيمها
هذي المنية من يزيج رتاجها حتى نرى ما يستفيد كتومها
لولا الأحبة والقلوب وودّها جفّت مواجداها وضاع غريمها
لكنها الذكرى تؤج بأنفس حتى يلفّ الكائنات عميمها
أسليم (ياجنديّ) علم فاتح أنجحت حرباً كان منك سليمها
وبلغت شأو الخالدين بسمعة حفت بها الدنيا ودام نعيمها
حسدوك وانظر حواو خاب دويّهم لما نعمت وللعداة جحيمها
وأمرّ ما يصمى المكارم عصبة طبعة على البلوى ولست ألومها
إن كرّموك فبعض ما يكفي العلى ولأنت من كلم الرثاء كريمها

قل لي عن الدنيا التي غادرتها: ما شأنها وهل استراح مقيمها؟
عصفت بها الأدواء واستشرى لها طبع اللئيم وقد أضيع حليمها
يا واحد الفصحى وكنت إمامها من بعد يومك سفرها وعليمها؟
لبست بعهدك حلّة محبوكة وتنسّم البرء المجير سقيمها
وأطلت وجدك للمعرّة تبتغي رهن المحابس واستباك حكيمها
روّيت في أفق الشآم عظامه حتى أعيد إلى الوجود رميمها
لم يبق صوبك حاجب فانهد له واجمع به قربى عراك وسيمها
من لم يجد عند الحياة خليله وافاه من خلف القبور نديمها
يا نفحة الذكرى وقد مرت على خفق القلوب وما تزال كلومها
كانت ضفاف النيل مسرح خاطري أرنو إلى أمسائها وأرومها

حتى أتاني نعي علاّم الملا ... فلممت آلامي ورحت أديمها

بردى فديتك جئت دارتك التي ... كم بتّ عند الذكريات أشيمها

وخشيت أرقد في البعاد وشاقني ... مثوى الجدود وفي الشآم قرومها

مرّوا على جدث الحبيبة واذكروا ... أن المدامع ما يغيض نميمها

أستاذي(١) في اليتم أين دفاتري ... يا ليته لم ينحسر تعليمها

هاجت لك النجوى وسيلة راحل ... إن الوفاء لأجله تكريمها

واسترجع الماضي مواكب معشر ... حملوا المشاعل لا تغور نجومها

أتكون بعد همو صدى ضلّت به ... عقبى الجهود وقد أثير أليمها

يا واردين البين روحي بعدكم ... ضاعت وما وجد الدروب بهيمها

ما أقبح السّلوان إن نامت على ... أشواكه أرواحنا وهمومها

افتح كتاب الغاربين فمأتم ... صفحاته وكفى الدموع عديمها

والحزن معوان النفوس وما أرى ... مثل المباهج للنفوس يضيمها

١٩٥٥

* * *

---

(١) ألقيت هذه القصيدة بدمشق في غياب قائلها المحاسني بالقاهرة عام ١٩٥٥.

طيف الأمين

يا صورةَ الخُلْدِ مَنْ أبداكِ في الخلدِ ... سحرُ البيانِ أم الطّمّاحُ للأَبَدِ
مثّلْتُ وجهَكِ بالأنوارِ طافِرةً ... من كوكبٍ بمزايا الفكر منفرِدِ
ذابَ الفناءُ على أطرافِ دولته ... ولفلفَ العدَمُ الأصداءَ بالنَّفَدِ
الموتُ أهكومة مرّت مذاقتُها ... يكرِّرُ الدهرُ بلواها على الأمَدِ
لولا تناغِيمُ أرواحٍ مدوِّمةٍ ... ترِفُّ بالصبح مثلَ الطائر الغرِدِ
تُطيف بالعبقريات التي غربت ... عنا لتطلعُ في آفاقها الجُدُدِ
لضاع وجدُ قلوب من شقاوتها ... في عالم ضجَّ بالعدوان والحسدِ
(أمينُ) يا روْعة التاريخ في رجُلٍ ... كأنه أمة موّاجة العَدَدِ
تصنّف الرأي في الآداب حكمتُه ... وتجمع النصَّ من أرجَائِهِ البِدَدِ
من فَجْر إسلامه شَعَّت منارتُهُ ... ومن ضُحاه أتاه الحقُّ بالأيَدِ
تقول آثارُهُ لله ما صَنعتْ ... أقلامُهُ في ليالي الدأبِ والجَلَدِ
لم يُعْنَ في زُخْرُفٍ باللفظ مطلعُه ... فصان تعبيرَه عن لُعْبَةِ الفَنَدِ
اِسْبَحْ بأفكاره من غيرِ ما غَرَقٍ ... واسْعَدْ بكُتْبٍ رعاها الصدقُ بالسَّنَدِ
أعلْمُ جامعةٍ أبقى (الأمين) لنا ... أمْ مكتباتٌ جلاها اليومُ رهنَ غدِ
ما صورةُ الجسم إن زالت معالمه ... وأين أندُبُ أطلالاً من الجَسَدِ
كان المجئ إلى الدنيا ضلالَ هَوىً ... فلا تضّللْ أخا العلياء عن رَشَدِ
نرضى زيادَةَ يومٍ من أحبَّتنا ... فيا حبيبُ ببُعْدٍ منك لا تَعِدِ

هذا الخيالُ وراء النفس يغمُرنُي ... فكيف أُطْلقُه من سِرٍّ مُلْتَحِدِ
ما حقَّ فيكَ زوالٌ جَفَّ مدمُعُه ... وكمْ عَزاء بلا معنىً ولا صَدَدِ
قل لي – وتسمَعُ من خلفِ الغيوب لُغىً – ... ماذا ترى من فراديسٍ ومِنْ بَلَدِ
أمجلسٌ لك في الأرواح تعقدُهُ ... على حديثٍ صفاً أو بحث منتقِدِ
أدِرْ بسُبَّحَةٍ طيبَ الحِوار فما ... فيضُ الخواطر إلا منكَ طوعَ يَدِ
يا (أحمد) الصُّنْع ذكراك التي انبعثت ... حمداً لمسعاك أو وجْداً على الكبدِ
عزّت بها مصر في تشييدِ نهضتها ... كشُعْلةٍ منكَ للأَجْيال والوَلَدِ

* * *

شاكر الكرمي

رثاء تعازي

أديب بعده فقد المثيل   وفن عنده شفي الغليل
ذكرت ضناه وهو به خيال   نودعه يكاد غدا يزول
لعل جماعة وسموا بقد   ستبغص ما بنا قدها أقول
همو سدوا له باب المعالي   وقالوا لا يباح لك الدخول
علام من التراب أزيح عنه   وفوق صباه أرخيت السدول
طواه الموت نادرة غريباً   وقل عليه في البعد العويل

* * *

تنفض من رفاتك يا أديبي   وبين ما هو الأدب الجليل
تقاوى كل مضعو فعليه   وزاحم أهله فيه الدخيل
أرى النقاد للآداب رسلا   وللمثل العظام همو الدليل
ويحيون الحياة أسى وظلما   كما يحيا مع الأمم الرسول

* * *

من المعصوم عن خطأ وعاب   فلا تأخذك في النقد الذحول
وللمثل العلي منى صعاب   يمنينا بها الغرض النبيل
أرقنا في مناجاة الخوافي   ولكن ليت ليلتنا تطول
سنمضي في الدنى أطياف وهم   ويمحو شعرنا الزمن العجول
ويهتف فوق أقبرنا سلو   يصيح لعمقه الروح الضلول

١٧ مايس ١٩٣٥

* * *

رثاء سنوي للصديق العظيم
الإمام الشيخ عارف الزين

إيه شيخي، يا حجة الإسلام ومنار التقى وفخر الأنام
إن تغيب فالجسوم رهن فناء وخلود الأرواح رجع وئام
يا جبينا يشع تقوى كأن الله حلاه بالهدى والسلام
قلت: خلي (نزار) أين ضريح بات يحويه في الثرى والرجام
هو في موئل الجفون تسجى وبلحد القلوب رهن منام
قال: في (مشهد) جواد ولى بات ضيف (الرضى) وخير إمام
يا بعيدا ما كان إلا قريباً طيفه زائر بوجه ابتسام
لكأني أراه والعمة البيضاء تاج لهامه العلام
وسمت لحية عليها وقار زانها أنف أصيد همام
وعلى منكبيه جبة طهر تنفح المسك في مدى الأكمام
كان يأتي بيتي بجلق حينا فأرى العلم فيه غنم اغتنام
راوياً شاعراً وحافظ نص ينتهي للنبي بالأحكام
وخطيباً تجري المنابر فيه وأبياً للغيم عالي المرام
يا هزاراً غني طويلاً على لبنان ثم اكتفى برمز الكلام
لو تبين الأشعار حائر معنى جال في النفس في رثاء الكرام
لسكبت البيان طيع شعري بدموع على الوفاء سجام
يا رعيلا من قومه عند صيداء لذكراه لوعة في غرام
البساتين في الربيع مع الزهر من البرتقال والأنسام
ذكرات له.. أما كان زهرا ضمخ الجو بالشذى المستهام
وثمار العقول أبقى على الدهر ومن دونها ثمار الرغام
ايه يا (عارف) الإله، سلاما خالد أنت أنف الحمام
أنت (زين) الإسلام في أمة العرب فنم في ظلال خير مقام

* * *

من أجل بدر الدين الحامد

كان يرثي العلى فمن يرثيه وبدمع الوفاء من يبكيه
شاعري ماتَ واستراحتْ عواديهِ فمنذا بعدَ الردى يؤذيه
وقفت في الدروب تسأل عنه ملهمات الأشعار في ناديه
سفرةٌ في الزمان خف إليها لم تباعده عن لقاء ذويه
كان عبر الآباد كلَّ رحيل غير ذكرى أحبة تدنيه
ويغيب الفانونَ إلاّ أخا الشعِر فيبقى وفنُّه يحييه
أنشدتني أبياتُهُ كلَّ لحن عبقري خلودُه يرويه
كان ندَّ الأحداثِ في الشام تاريخاً ومجداً على المدى يعليه
ولثوراتنا سجلاً على الدهرِ وفيضا لعزنا توتجيه
لم يمارسُ في الشعر نزوة مختالٍ ولا حاولَ المثالة فيه
عند آدابه العفاف فقلْ لي ما مصابُ الآداب عن سفيهِ
حفظ (الحامدُ) الحبيبُ هوى العربِ وغالي بالصونِ والتنزيه
وحمى حرة الكلام عن البذل بيوم أصابها بكريه
يا قوافيه رددى فيه ذكرى نسجتها الأجيالُ من ماضيه
كان ربَّ البيانِ والسحرِ في الشعر يمتع الألبابَ إذ يلقيه
في ضفافِ العاصي ستطلع أزهارُ شُعور من تربة تحتويه

ولناعورةٍ عليه بكاءٌ كلَّ صبح وكلَّ مسى يليه
وللنواعيرُ في (حماةَ) غناءٌ طاف منه على الحمى شاديه
غلب (بدرٌ) فما أمرّ الليالي وتخلى عن شربه ساقيه
جاءني فقدهُ على ضفةِ النيلِ فحامت روحي على أهليه

* * *

يخجلَّ المجدُ أن نقولَ فقدناه فما زالَ بيننا نفتديه

١٩٦١

* * *

موت الهزار

غنى وطار وفي الأسماعِ نغمتَهُ وصار طيفاً وفي الأحلام زورته
مرت مواكبه في الدمع غارقةً وفي ضمائرها تهتاج قصته
وكان شكلان: شبحٌ فيه حسرته على الهزار وشبح فيه فرحته
أنا الربيعُ الذي جادت مباسمُهُ بوجنتيه ومن عينيّ زهرته
أطلعته كوكباً في ليلتي فإذا بالنور يُطفا والظلماء ليلتهُ
– أسكتْ، أنا الريحُ قد صوّحتْ زهرتَهُ وغلته حين تمت فيه نضرتُهُ
– ماذا جنى – إن لم يجنِ واحدةً لكن هبوبي أتت عمياء غزوتُهُ
أنظر كتابي عن الدنيا فإنَّ به دماً تسطّر بالويلاتِ صفحتُهُ
هذا الحوارُ انتهى والموكبُ انسكبتْ دموعُهُ ثم حانَتْ منه رجعتهُ

* * *

روحِ يرفرف في عليا مخلدة ترى؟ يلوح لنا في الوهم طلعته
هنا على روضةٍ آثارُ وقفتهِ وها هنا أطبقتْ عينيه سكتته
لا تحرموني ربوعاً كان يألفها ووسدوني مكاناً حيث رقدتهُ
لجسمِهِ صرتُ أهوى الأرض من شغفي وانشق الجوُّ روحاً فيه نفحتهُ
فدى لعينيه آهاتٌ يرددها قلبٌ على ذكره تزدادُ لوعتُه

لا أستطيع له نعتاً وقد هلكتْ كل التصاوير لما جئتُ أنعته
مثلته في ظنوني ثم قلتُ له أيا حبيبي فردَّ الصوتُ دمعتَهُ
وضعتُ في جوف نفسي مثل منحطمٍ من الشرابِ طوالَ الليلِ سكرتُهُ
فغنني باسمه تهدا بنا وحتى تكادُ تحرقني في القلب جمرته
وخلّني ألثمُ المرآة فهو أنا وانظر إليّ ففي عيني نظرتُهُ

* * *

الشهابي الخالد بعلمه وعمله

تلقى مجمع اللغة العربية في دمشق من شاعرنا الدكتور زكي المحاسني قصيدة بكى فيها صديقه الرئيس الراحل مصطفى الشهابي لقد جمعت بينهما صداقة أدبية في السفارة السورية ال بالقاهرة حين كان المحاسني الشاعر مستشاراً ثقافياً والشهابي العلامة سفيراً لبلاده السورية، وهذه أبيات من القصيدة:

يا أمير البيان والفكر مهلاً	لم تغادر فينا صديقاًً واهلاً
ما هو الموت؟ إنه كغياب	طال أو سفرة تغادر وصلا
وخلقنا لكي نموت ويبقى	بعدنا الذكر طاب أو ساء فعلا
أبهذا الرئيس عشت كريماً	ولبست الحياة علماً ونبلاً
ويفديك في المجامع عهد	عبقري فيه علاك تجلا
النباتات في مغانيك تحيا	كل لفظ بوصفها قد تحلّى
والعروبات قائمات بمجد	لك إذ كنت تفتديهن أصلا
والبيان الحكيم طوع لسان	منك سلسلته منيعاً وسهلاً
لك في الشام والعراق وفي	مصر مقام سما وقدح معلّى
كان مني إليك آخر لقيا	كنت فيها الخلال شقّت لتجلى
كنت روحاً خفاقةً ضمن جسم	قد براه السقام وازداد نحلا
ولعينيك خلف غيب مجال	بالعين مجالها صار أغلى
وتمثلت صورة لك تبقى	عن كتب لقاؤها ما تولى
لو تبين الأرواح كنت لديها	في رؤى تستزيد علمك فضلا
يا حبيب الوفاء والعز، قل لي	كيف غادرت صحبة لك مثلى
مجمعيين كنت تألف فيهم	كل بان للعلم حارب جهلا
يا (شهابي)(١) كنت فوق شهاب	فعللت القلوب خلقاً وبذلا
ورمى الحاسدون طبعك بالكبر	لقد أخطأوا، فما شئت ذلا
كم مهين يعيش خاضع رأس	برئ الود منه إذ كان صلا
ولعمري خلق العروبة رفم الهام	مهما يكن لها السيف سلا

* * *

(مصطفى) قد صفوت بيتاً وفناً	خالد أنت ليس ذكرك يبلا

* * *

(١) كان الشهابي متعدد المواهب والممارسة، فمن الاختصاص بالزراعة إلى التعمق باللغة والأدب.

* * *

رئيف خوري

هل يوفي دمع الرثاء (رئيفا) حين يغدو عليه حزني منيفا؟
لا تلومي دمعاً كتعبير قول رُبَّ دمع فاق الكلام ألوفَ
والصداح الحزين أجدى على النفس كشدو ناجت فيه الألوفَ
أوليس الرثاءُ توديعَ حبٍّ بعد أن كان في الحياة أليفا
لك رأسُ تفجرَ الفكرُ فيه كتباً ترتضي بك التأليفا
كلُّ سطرٍ فيك يزيدُك حمداً في ذرای الفن تالداً وطريفا
لم تُسمِّم بها ولم تكْ خلاً والتواليفُ يبتغين الشريفا
لك سقيا عام تغييت فيه عن دنى كنت فيها عيوفا
كنتَ فيضَ الأفكار تبسمُ رفاقاً يلقي البيان لحناً عزيفا
عبقري الآداب جنيَ فنٍ من هفوفِ الهوى لبست شفوفا
ولبث الهوى سلوان من قلبي من فتاة تسقي الوفاءَ زعوفا
هل بلوت الهوى كحزِنكَ الذي يملاء السماءَ طيوفا
قمرُ نوره يريقُ على الكو ن أيخفي وقد يشوق الكفيفا
كلما أشرقَتْ به أرضُ لبنا ن دجى بتَّ عنده مألوفا

* * *

رحمات الإلهِ سكب على ذكراك في دار من براها مضيفا
قهقه اليوم للخلودِ فما فيه سوى الذكريات كن وقوفا
وإذا ما تعبن من كر أعوام ملأن القلوب نوماً عنيفاً

* * *

محب الدين الخطيب

مواساة لابنه الوحيد قصي الخطيب

يا خطيبا قد عاش فينا حبيبا ... سكن الروح واستهام القلوبا
في ضفاف النيل استقامت له الدا ... ر، ورفت في الحسن تخلا رطيبا
و (شارع الفتح) كان موطنه الدا ... ثم، سمي به المقام الرغيبا
جئته ساكن الجوار على (الرو ... ضة) أزجي إليه ودا حسيبا
أدهشتني فيه سجايا أمام ... جعل الكتب همه المطلوبا
بات بين الأوراق صفراً وبيضا ... في رحاب للكتب ضمت عجيبا
سلفيا قد كان في منبت الشا ... م، له نفحة تند طيوبا
فأتى مصر بانيا في التوالي ... ف، وأحيا فيها الكتاب المصيبا
نشر الكتب طابعا وأديبا ... كاتبا، وانتحى البعاد القريبا
وبشهرية جلاها من (الزهـ ... ـراء) أقلامها قرعن الخطوبا
إن تسل مصر في تواريخ جد ... واه تقل كان عالما موهوباً
في أحاديثه حلاوة سحر ... ملك السمع واصطفاه حبيبا
عشق الروح واحتواه كراه ... جاهداً دائباً جسوراً منيبا
كان للشعر راوياً يتحدى ... كل حفظ روائعاً ونسيبا
ولنص (الحديث) يرفع لقيا ... ه إلى مصدر (النبي) أريبا

قد تحيرت في صفات له في الو ... صف، هل كان عبقرياً طبيبا
أو تولى روحية الفكر والفن ... وأحيا التراث ندبا أديبا
ناضر الوجه، مشرق النفس تلـ ... ـقاه بجوف الدجى يناجي الغيوبا
كان ملء القريب هدياً وعوناً ... وبتحنانه يضم الغريبا
ذكريات له تعج على الدهـ ... ـر حوت ما عجبت بحراً صبيبا
وعراكاً في الفكر كان قديماً ... وجديداً شهّى إليك الحروب
عالما مؤمنا يفيض حياة ... في سبيل القنوت، عفا مهيبا
زاهداً في اللبوس والمظهر الخالب ... ما أن ترى عليه معيبا
أرح المجد في سبيل المحامد ... د تجده عنوانه المكتوبا
كان ركناً في نهضة الشرق والغر ... ب، ونوراً أضاء جيلاً نجيبا
حن للشام واشتكى لي هواه ... عاشق الغوطتين ماء وطيبا
وعلى (دمر) و (الربوة) الغنـ ... ـاء حب له يشق الجيوبا

كان آل (الخطيب) طرأ يؤدو نك في وجدهم شباباً وشيبا
فاتخذ في العلى مقاما سريا في الفراديس للهداة جنيا
يا (محب الدين الخطيب) تناديـ ـك ديار الخلود فيها خطيبا

* * *

رثاء للصديق الأستاذ أحمد حسن الزيات
الكاتب العظيم

خلّ دمعي للكاتب الزيات ... فلعلّى أبكيه بالآهات
كان في حلبة البيان المجلّى ... قلما يستمد بالآيات
حفظ (الضاد) من هوان وصان ... اللفظ عن ركّة وعن أعنات
إن يقولوا قد كان يسجع فالطير ... على الدوح ساجع النغمات
وجمال التعبير بالفن يسمو ... مثل غيداء ترتدي الزينات
وبليغ الأقوام حرز لغاها ... منذ كان الكلام عزّ اللغات
ذوب (الآم فرتر) يحتوينا ... مذ عرفنا الهوى على الصبوات
والنجاوى من (رافئيل) أتتنا ... في خلال الأسحار بالأنّات
و(دفاع عن البلاغة) وافى ... حرب من نالها بسوء السّمات
يا معيذ الآداب من شر الناس ... نبذوها وأمعنوا في شتات
أنت شيدت (بالرسالة) صرحاً ... عبقري الرّدهات والشّرفات
حين كنا على مقاعد درس ... تطّبنا (رسالة الزيات)
نرقب الجمعة الكريمة والأسبوع ... حتى تطل كالرايات
فنراها كتاب عصر مليء ... بفنون الطرائف المغريات
وعليها (طه حسين وعزّام) ... وكان (العقاد) زين الصفات
الروايات والأقاصيص فيها ... الروائع الناقدات
والمقالات في بديع جناها ... وهي أشهى لنا من الثمرات
معهد كان سائراً من خفاف ... النيل يحتل كل قطر مواتى
بردى ضمّه ودجلة حيته ... ولبنان جاره بالنهماة
وأتانا (وحيّ الرسالة) فيضاً ... بالمقالات كن كالموجبات

* * *

أيها الكاتب العظيم حملت ... السّفر ندباً مقدسّ الكلمات
أكتب اليوم خلف غيب مقالاً ... واخفا فيه وارق الجنّات
واترك القول في الجحيم لناس ... سلكو الفكر في ردى الزّهات
كان (عبد المليك) قبلك زياتا ... فأورثت منه أبقى الهبات

* * *

(أحمد الحسن) خالد أتت في العرس بما قد أثبت من رائيات
حافظ (الضاد) سادت الدهر للقرآن تبقى ذكراه في الخالدات

* * *

توديع لرئيف الخوري

رئيف، أيا زين النهى والفضائل نفديك لو نستطيع رد الغوائل
أأذكر إذ ضمت بلودان عهدنا ومؤتمر الآداب عز الموائل
فكنت على الشام العروبة والحجى هدية لبنان الحبيب المواصل
أسافرت والدنيا مطية راكب فآثرت إيجاز الطريق لراحل
وبالأمس وافينا اللقاء بندوة تدافع فيها الخصم دفع المقاتل
ولا خصم في الآداب والفكر إنما نلاقي بهذا الحب عذل العواذل لنبكي
أيكفيك دمع الحزن منا وإننا نبوغ العبقري المناضل
لقد عشت من خبز ايراع وبؤسنا تصوغ له الأقدار سوء الشمائل
وما مكب الأقلام إلا زهادة لظمآن يروى بالسراب المخاتل لدهر أبى
فيا كاتباً ما كان إلا تعلة التخليد إلا لكامل
أرب البيان العذب ودعت قبلما أراك وما وجدي عليك بزائل
أهذى خواتم الأديب وطالما تهادت له الأحلام في ثوب آمل
وأسأل نفسي ما الحياة وما الفنا فألقى الصدى قد عاد في لفظ سائل
تأوب حزني والليالي طحة بآلامنا والحرب ماجت بصائل

* * *

إذا القمر ازدان الدجى بضيائه سألنا وهل يخفى لديك بماثل
نعم يا شقيق الفكر يخفى كما بدا محياك خلف الغيب في بين عاجل

ستأنس في أوج النعم بشاعر وذي أدب أو فيلسوف ساجل
لعل هناك العقل أوعى لفكرة تخالط قلبا باليقين المغازل
فياسيرة الآداب في حلو شربة تطل على لبنان نبعة ناهل
ويا زهرة نفح العباقر طيبها لقد كان فيها الغصن زهو الخمائل
ويا نعمة ريا الحنان بعازف وأمن بعدها يصفو هديل العنادل
عليك سلام الله في ذروة الدنى بذكرى توافي بالضحى والأصائل

* * *

سعيد البحرة

عادت بي الذكرى السنين رواجعا … أيما كنت من الصبا بيفوع
أمضي وليل فوق رأسي دامس … أرجو الهدى من كوكب بطلوع
حتى بدا وجه أستاذي الذي … أجلى ظلام جهالتي بسطوع
ورنا إلي ببسمة فرأيتني … طير أهم بالترجيع
أتراه خلف الغيب يلقي نظرة … نحوي وهل هو في الضريح ضجيع
أنشدتها حلماً ومرَّ بيقظتي … ففركت عيني من شبحي وهلوع
لو كنت أعرفها خيالاً ينطوي … لجعلتها للهو والتوديع
وملأت عيني بالفقيد وصنته … وضممت لقياه بقلب جزوع
إن اللقاء بنا مثار تحاور … في فلسفات حلوة الموضوع
يضفي عليها أدلة من علمه … ثرارة الجنبات كالينبوع
نطقت يداه إذا شاء ولفظه … من فيض سحر في البيان مطيع

* * *

في نظرة الإصباح كم شاهدته … يمضي العزم كالشباب منيع
حتى إذا حان المسا أبصرته … متهدماً في جسمه المصدوع
كان مثل زنبقة زهت في بكرة … ولدى العشية صوحت بركوع
جسم طوى الخمسين لكن روحه … في عنفوان شبابها المجموع

* * *

نحن الذين نضر شبابنا … لفناء نفس في الوفاء مضيع
إنا نضيء لغيرنا ونتعب في … تحرقنا من أجلهم كشموع
أرأيت من يحنو علينا في الملا … ويجيئونا يوم الشقا بصنيع
تلقى الذي منا مديداً عمره … يحيا من البلوى حياة قنوع
ولرب منقطع ألمّ به الضنى … من بيننا فرمى ذويه بجوع
لو أنصفوا حطوا بنا فوق السها … من غيرنا للموئل المرفوع
دنيا صفت للجاهلين فما ترى … حظاً سوى لمراوغ ورقيع
كما كان فينا زهرة فواحة … قد عوجلت حتى ذوت بربيع

* * *

للأربعين وقفت أرثي فرقداً … قد غاب فما أدري له بضريع

ذكراه في القلب الحزين مريرة   محفوفة من قدره بخشوع

* * *

رثاء المحاسني لابن خالته

خليل جبري

خليل بن جبري ليس في التربة مرقده

ولكن بفرد دون النبيين موعده

محام كبير شاعر يملأ العلى

أديب فقيد في الكواكب مسجده

نمته فلسطين وفي الشام أهله

فيا وطنياً عاش وللعرب مورده

أنا زائراً مثواه رحِمْه، إننا

نعيش على ذكراه والقلب معهده

* * *

كتابة على قبر أمي

في ظلال السفح حيثُ الريح تهوي عند عشبِ مَلَّ من طول الليالي
يطلع النجمُ عليه لا يبالي رحتُ استنجدُ دمعي، كيف يروي
مرت الأيام والأحزان تغلي مرجلاً في القلب، والشجو تراكم
لاتخف، يكثف حزن إن تقادم ويعيد الجرح في نبع وأصل
أقرأ السطر الذي قلت اكتبوه فوق محبوب مضى قبل الأحبهْ
شعر آلام على العمر ونُدبهْ أترى فوق جبيني نقشوهُ
ههنا ترقد أمي بعد عمر لم تمتع فيه من صفو الحياة
أوحدت لي دربها بالذكريات أنشد اللقيا وأجرى مثل نهر
قلت للأحلام هبي من بعادِ لاينام الحلم في نوم العيون
صورة الأم بدت خلف جفوني ليتها تطلع طيّ الرقاد
بسمة منك أنارت لي مصيري في وشاح أبيض الميعة لحتِ
تمسحين الحزن عن جبهة أخيّ ودوائي كنت في يتم عسير
وحدة الروح ومنسول وجودي مَزَجَاْنَا، فأنا مَيْتٌ بقربكْ
وإذا الأرض قست حيناً لجنبك فانفضي الموت وفي شخصي عودي

دمشق في ١٩٥٦/٧/١١

* * *

رثاء بطرس البستاني

إن يكن غاب بطرس البستاني فهو حي الآداب في لبنان

أنا درست كتبه للتلاميذ وقد كان عمري في العنفوان

وتراخى الزمان بعداً وقربا وهو يطفو بكتبه للعيان

أرح الفكر والشعور عصور العرب مجداً من أقدم الأزمان

أرق العين بالتواليف حتى ملأ الدنى ذكره بالبنيان

هو كالبطرس القديم تعالى في حجاه فكان كالتبيان

مشعل في دنى العباقرة يجري من يد في يد كيوم الرهان

يعجب الدهر كيف من (آل البستاني) تشع الأنوار بالعرفان

هل (لدير الأقمار) سر نبوغ يتجلى في منبت الريحانِ

حين يممت ديرهم وتنشقت هواه أنكرت أني فاني

غمروني من نبعه الثر عليٍّ أرتوى في وجودي الظمآن

ودعوني في ظل دوحة فن أتفيا في زهرها الفينان

وقل لرهبانه من القمر البدر بلغتم سكناه قبل الأوان

حاولت نيله دهاقنة العلم بدولاتها وطول افتتان

وغزاة الفضاء في أرض لبنان يعيشون في سحاب دان

رفعوا في حماه ألوية العرب فكانوا للضاد والإيمان

* * *

لذكرى كرم ملحم كرم

أتيت إلى الدنيا لتروي شؤونها روايات فن لاتفيء إلى كذب
لك القلم الأعلى بسحر بيانه تزين به طرسا وتخلد في كتب
أبت (صرخة الآلام) إلا تألما فهل باتت ترثيك بالندب
وقد راح (أبو انطون) يستغفر الحجا حزيناً على يوم أصابك بالضرب
وفي (ألف ليلات وليلة) عاشق ولص وذو شحو أدرت على الشرب
تهاويل أحداث كأن حديثها بلاغة سحبان بإبداعك الغرب
أتذكر فينات لنا ملؤها الندى بدارك في (عاليه) في ضحى الدرب
وزوجك في صمت الصلاح حفية وولدك كالأطيار تمرح بالزغب
تعال انظر اليوم التألق (فيهمو) تجل (ملحما) راعى الصحافة بالحب
ويرضيك أن تلقى (عصاما) محاميا يتيه به الحكام في رائع الخطب
وأطعمك اليراع الرزق بعزمة فذقت حلاوات الحياة بلا حرب
فيالوعتا يوم العيادة فالردى وحيدك إذ زرنا وأقبلت بالرعب
تناشدنا الأشعار في حكمة الرثى من المتنبي حيث وافاك بالطب
فقال (كميد) بالإلهام عبقر تجلى بورد مفعم الكأس بالسكب
وقلت أراها شعلة قبل ظلمة كما يلمع المصباح في آخر الهب

* * *

أذكراك عادت بي؟ وتالله ما سّلا فؤادي ولا أنسيت ودك في صحبي
عليك سلام الله مادام في الملا رواية قصص تجيئوك في السحب
فتهمي على أرض يضمك متنها بلبناك في التكريم والعز والحب
ولبنان شهم في الأبوة والإبا يمجد بالتخليد مثلك في القلب

* * *

مرثية لصديقي الإسباني

الكاتب العظيم الرئيس رامون ميناندزبيدال

ألقاها الدكتور زكي المحاسني في الحفل التأبيني لغروب الرئيس الدكتور رامون ميناندز بيدال بعد أن استوفى مئة عام من عمره الفكري وكانت الصداقة التي نشأت بينه وبين الدكتور المحاسني منذ خمسة عشر عاماً وسيلة إلى تبادل المراسلة ومطارحة الفكر، ولقد قام الأستاذ غوميس ايسكيروو بتكريم الراحل الإسباني العظيم في أمسية ٢٥ آذار ١٩٦٩- بالمركز الإسباني الذي يديره بوعي وإخلاص للأسبان والعرب معاً، حيث ألقيت هذه القصيدة التأبينية:

فديتك يا (رامون) لو ميت يفدى
فما كان إلا الشمس تبدي لك الندا
أتاني منعاك الأليم بجلّق
ومدريد هبت كي تعيد لك المهدا
أليس شبيه القبر مهد لغارب
يعود الفتى فيه كما قد أبدى
سلام على عمر لبست جليلة
به مئة الأعوام تلبسك السعدا
لأنت إذن عصر من العلم والتقى
بفرد هو الإنسان ، كيف إذن تردى
فيا صورة أرسلتها لي مطرفا
لديها كتاب (السيد) يطرفك الحمدا
جلست بها في قمة الطود ناظراً
إلى الأفق الأعلى تناجي به الفرد ا[١]
بأندلس فارقد إلى يوم معشر
مضمخة ذكراك من طيبها ندا

---

(١) كتب الدكتور زكي المحاسني منذ سبع سنين قصيدة لمرور ثلاثة وتسعين عاماً في حياة الدكتور الرئيس رامون ميناندز بيدال أديب إسبانيا ورئيس المجمع التاريخي فيها وأرسلها إليه تهنئة واتفق أن قام سفير سورية بمدريد مأدبة لهذا الرئيس لتكريم حياته بإدراكه هذا العمر السخي فأخرج المحتفى به من جيبه قصيدة المحاسني وكانت مترجمة إلى الفرنسية أيضاً ودفعها للسفير السوري الأديب ليقرأها على الحضور وقد كتب السفير للمحاسني يقول له: لم أشعر في عمري بإعزاز كما شعرت حين علمت أن كاتباً إسبانياً عظيماً صديق لمواطني الدكتور المحاسني، وقد نشرت تلك القصيدة بمجلة الأديب ببيروت التي يصدرها أحد بناة النهضة الأدبية المعاصرة الأستاذ الكبير (ألبير أديب) وفوق القصيدة الصورة التي يصفها الدكتور المحاسني بقصيدة الرثاء هذه.

سآتي إلى مثواك أنشر طاقة
من الزهر بالأشعار قد أعولت وجدا
نمت ديار العرب عند جدودهم
وفيك دم منهم فخذ عندهم لحدا
فيا رمز أزهار الوئام على الصفا
مع العرب والإسبان زدتهما ودّا
أبكيك من خلف البعاد وأنني
لودك يا (ريمون) لاأعرف البعدا
أكنت ترى الجوزاء ترسل غمزة
إلى قلب الريان تملؤه رعدا
تأمل بهذا الليل مطلع كوكب
فأنت بمماه وتخفى لدى المغدى
عددت لك الكتب الخوالد في الدّنى
فأوقت على عمر بأعوامه عدا
وألفّت (للسّيد) المحارب سيرة
بملحمة راحت إلى مجده تهدى
فقلت: بعصر السيد هبت مغانم
لاسبانيا كانت لتاريخها مجدا
فقلت لك: (السيد) المذبذب تارة
يكون على الأسبان حربا لهم تعدى
وحينا يجئ الغروب يبقى قيادهم
إلى النصر، والأسبان تنعته العبدا
فيرتد ، تصلى العرب منه بجحفل
يبدد ما قد كان يبنيه مرتدا
ألا سمّ ذاك العصر تسمية الحجى
بعصر ابن عبّاد هو المرتجى جهدا
فقط وأنت الندب والشهم في النهى:
سأطلق هذا الوصف لا أبتغي معبدي

* * *

عليك سلام الله وقفا مخلدا

فأنت الذي للعرب أنصافه أسدى

الثلاثون في السنين نقضت

ولك العمر خالد التأليف

كتبك الروم ملء عين البرايا

قصص في وفاء ذكر عطوف

عالم الحياة بعدك يبقى

أنت أبدعته يزين الحروف

* * *

تلك ذكرى أثيرها لعزيز

عاش رمزاً للكاتب الفيلسوف

* * *

قل (لسلمى) من آل لاغرلوف ... شغل الحب خاطري وطيوفي

بعد كرّ السنين ناديتُ روحاً ... سبَّحتْ في الفضا بجنحِ هفوفِ

فتنتة الشرق باسمها ، فهي منّا ... غَنِيَتْ في الهدى عن التعريف

أنتِ في الخلدات مالفناءِ ... من سبيل إليك أوِ من مطيف

خلقت نسوةٌ كفاءَ رجالٍ ... عبقرياتهنَّ غير زيوف

فاستهانوا بهن في مطلع الدهر ... وقالوا لبنت حواء عيفي

للرجال النصيب في الكدّ والكدح ... وللدار أنت والتنظيف

واستحر الزمان بالقيد والعسف ... فمنذا يغيث ذاتَ الشفوفِ

معولُ السحر في يديك أبا (سلمى) ... لقد هدّ كل سد عنيفَ

أنت حررت بالعقول ذوات الخدر ... من سوء منزل وسدوف

قلمُ الحقِّ في أناملِ طهرٍ ... زينة فيك بالأعّز المنيف

كان من حرر العبيد غنيّاً ... بالمروءاتِ قبل والمعروف

وأتاك الحجي بحرية الفكر ... ومجد البيان والتوصيفِ

من ديار الشآم ناجاكِ خلٌ ... حامدُ فيك تالداً بطريفِ

ولذكراك في هواه وجودٌ ... دون هزّ القنا وقرع السيوفِ

ملحماتٌ من جلّق عبر دنيا ... هي للعرب شادياتُ عزيفِ

تنثرُ الزهرَ فوق مرقدِ (سلمى) ... بسلامي ولهفتي ورفيفي

* * *

طاغور شاعر الهند

شيخ بعيد الدار		بالأمس قد ماتا
غنى به المزمار		للدهر أبياتا
هيهات للأزهار		تحكيه هيهاتا
من بعده السمار		يمسون أشتاتا
يبكون للأشعار		من شاعر الهند

* * *

الكوكب الهادي		قد غاب في الليل
والرائح الغادي		هبّ مع الويل
يا أيها الشادي		والموت كالسيل
طفّ على الوادي		وازداد بالكيل
وأقفر النادي		من شاعر الهند

* * *

٨- في المديح

إلى شاعر العرب جورج صيدح

يا ساكب الشعر من سحر ومن راح … تعيش كأسك ماجادت بنضاح
عليك رقّت بنات الشعر هائمة وشائقة … ترنو لخلدك في مفتان لمّاح
أخت الأساطير هذا شاعر غرد … منمنم الفن لم يوصم بمدّاح
لما سمعت نشيداً من معازفه … حسبت أني في مغمور أفراح
ونشوة الفن إن مرت بخاطرة … كانت نسيماً على أزهار تفاح
أبا البيان إذا خوّفت مصرعه … فمن قوافيك تحميه بسماح
أولئك الزّغب ذاقوا حصرماً عصروا … منه مدامتهم في سوءِ أقداح
لو احتسوها لكفّوا عن بوادرها … لكنهم قد أداروها لمزّاح
ترى السكارى بها هزّوا رؤوسهم … من نشوة الجسم لا من نشوِ أرواح
مافات شوقي ولا مطران بارحنا … فقد وجدنا الغنى في شعر (صيداح)
هو العروبة في موروث طابعها … من بعد ماضل فيها قول طمّاح
نمتّك جلّق من صوب الفؤاد هوى … وما عدتك عواديها بجرّاح
حلفت حين أبحت الشعر خاطرتي … أنت النسيم صبا نحوي بإفصاح
موتي ونبعث في جنب المسيح فقل … حتى نرى ليلنا يتلى بإصباح
خلت ديار العلى من شعر صاحبها … وأقفر الروض لا فرسان في السّاح
وللغوى غّلاة شأن جمعهم … أنّ البيان لديهم غير وضّاح
مناكر لحلاوات ومنقصة … لكل تمّام غايات وإصلاح
تبارك الفنّ مالاذت بهيكله … على زحام التناجي ذات أشباح
وميسم الخلد لم يطبع على كلم … إلا التي أنزلت من وحي منّاح

عودة العندليب

(مهداة إلى أخي الكاتب الكبير
الأستاذ وديع فلسطين)

يا هزارا غنّى لنا واستسرّا … يحزن الروض بعد مغناك دهرا
شيمة الزهر في الربيع، ولكن … ربّ عام طغىفصوّح زهرا
يارفيق الآداب عشت عفيفا … قلم في النجوم ينضح طهّرا
ما عرفنا على الصحيفة شرواك … ولا كاتبا تكلل فخرا

عاش حُرٌّ في الأقلام مثل جنود
حاربو ثم غادروا الحرب صبرا
ما أرى فيهمو نداء يواليك
بشكوى ولا أرى لك هجرا
ياحبيب النبوغ والصدق قل لي
ما حساب الذي أفادك ضراً
لا يصاغ الورد النّديّ سلاما
كان هفهافه لدارك أسرى
مضى قبلك الحكيم المعرّي
وحيداً في محبس الفكر عمرا
غير أن الوفود راحت إليه
دراسات فما تخلّف ذكرا
ولهجر اليراع منك عذاب
للألى قد علوا بعلمك قدرا
عد إلينا واسكب مدادك كالعهد
بفن نوّلت دنياه برّا

حكم أقدارنا بأنا شموع
ما ملكنا إطفاءها نحن قسرا
كوكب أنت يا (وديع) فلا تطفيء
سناه فلست تملك عذرا
قد شربنا كأس الإساءة من أيدي
الأحبّا وصيّروا الحلو مرّا
وملأنا في الجامعات رؤوسا
لهمو بالحجى لنحدث أمرا
فجزاؤنا الذي أصاب سنمّار
فذقنا بما بنيناه غدرا
وأنا ابن الضفاف من بردى
الحلو الذي قد جرى بقومي درا
وفؤادي ملء السماء وملء الأرض
لا يحتوي انتقاما وشرا

* * *

يا (فلسطين) عد إلينا لفال
في فلسطين إذ تسترجع نصرا
لاتدعنا نندب هواك وقتلك
مثلك الهجر حيث نشبع قهرا

دمشق حزيران ١٩٦٦

* * *

الصدق والإلهام إلى الصافي النجفي

حي البداة فمنهم كان ميدانا ... هم مثال الندى شيباً وشبانا
واهتف على مائج البيداء أغنية ... يرقص لك الرمل في البيداء نشوانا
تهوى النسيم من الصحراء ينفحنا ... به العرار أو القيصوم ريانا
وبي حنين إلى الأنجاد إن طلبوا ... يجررون عباءات وأردانا
أين الرباب أيا محبوب تنطقه ... معنى تضيق به الألفاظ أحيانا
هل حدثوك عن (الصافي) ونغمته ... شعر تصفى فكان الوزن ألحانا
شبح تخلف عن ماضي عروبتنا ... أو فاتنا عصره في العمر أزمانا
أطل من عالم طلق مجردة ... دنياه سالمة من قيد دنيانا
ولاح في ملبس الأعراب مكتئباً ... يشكو إلى الناس بالأشعار أحزانا
أنظر بديوانه، إن شئت، صورته ... ففيه مرآته تعطيك أفنانا
صدق الشكاية والبلوى التي جرحت ... بكى بها الناي رناناً وتحنانا
بكى لنا فأجبناه بأدمعنا ... ندان في الشجو شكواه وشكوانا

وضمنا الشعر في نكباء محنته ... فليتنا لم نكن نشقى ولا كانا
يا شاعري أنت ذو عسر ومتربة ... لكنما أنت أغنى الخلق إنسانا
كم مثقل بدنانير يحاربها ... بيتا من خوفه في الليل يقظانا
وأنت تهدأ لاهم ولا فزع ... وملكك الحلم تملأ منه أجفانا
يكفيك كالطير من ماءو من بلغ ... حمد الإله له ريان شبعانا
وجدت في شعرك الصدق الذي نطقت ... سيماء وازداد منه الناس فقدانا
لورد في البشر ديوجين كنت له ... خدنا وما نظرت عيناه أخدانا
وأطفأ النور في مصباحه وسعى ... إلى لقائك كالمجنون فرحانا
منحت شعرك إلهاماً وأعطية ... وليس كلفة نظام وأوزانا
ويل من الناظمين الشعر زخرفة ... بنوه ميتا فما أوهاه بنيانا
يموهون فلا أشعارهم نطقت ... صدقاً ولاعرفوا بالفن تبيانا
الشعر فن سماوي به برزت ... حلى الطبيعة أرواحاً وريحانا
لغاه مؤتلف الأنغام تسمعه ... كأن داود في المزمار غنانا
كم قطعة ملكوت الفن يخلقها ... شعراً إذا أنشدت أصبحت نشوانا
تنسى وجودك في مفتون عالمها ... لما تراه دنى شتى وأكوانا
يقولها عبقري لا تحس به ... أنسا ولكن ترى جنا وشيطانا

يشب إلى هيكل الآباد ينشدها دينا ويجعلها للحب قربانا
ياويح شقوة أهل الفن إنهمُ شمع لغيرهم يصلون نيرانا
حظوظهم بؤسهم حتى إذاغربوا كانت حظوظهم في الموت نسيانا
تأملوا بخلود الذكر فاحتملوا من المتاعب أشكالاً وألوانا
ورب نقد لئيم يدفنون به يجيء من حسد النّقاد بهتانا
ما أجمل النقد في علم وفي خلق يكون رائده نورا وعرفانا
أرى التحدث عن هم الأديب جوى حسبي لئلا يقول القوم أشجانا
ياأحمدالشاعر الصافي صفوت فما بغيرك منظرك البسام تلقانا
كم مجلس ضمنا والشعر تنشده عفوا تعطر في تجواه مسانا
في كل ناديك الأشعار هاتفة تملكت من كرام الناس آذانا
بلغ سلامي أرض الرافدين فما أبهى جناناً بها رفت وشطآنا
ربع الميامين أحرار مناذرة عاشوا على صفحة الأحقاب غرانا
لو لم يكن غيرك المعدود شاهرهم لقد كفيتهم نبلاً وإحسانا
فأحل على (بردى) به تجد بأهليه خير الناس جيرانا
منازل العرب الشمّاء هامتها من آل جفنة أو من آل مروانا

* * *

رسالة تحية وشوق

مهداة إلى الصديق الأديب الكبير الدكتور
محسن جمال الدين، أستاذ الأدب الأندلسي
بجامعة بغداد، الذي كسبه العراق ولم يخسره لبنان

أمُحْسِنُ يا مَجدَ الثقافةِ والأدَبْ ... وزَيْنَ الخَلاقِ الحُلْوِ في سامِقَ الرتَبْ
ويا مُوجِداً خُلدَ التُّراثِ الذي به ... لأنْدَلُسٍ تجديدُ ما فاتَ مِن حُقَبْ
محضتُكَ ودّي قبلَ أنْ يجمع اللقا ... كلينا على مَحضِ الوِدادةَ والحَسَبْ
وقَبْلَكَ قلَّبتُ الفؤادَ بـ «مَكةٍ» ... على الجَمْرِ حتى عفْتُ ما حزتُ مِنْ نَشَبْ
وبَرَّدَ قلبي ما لَقِيْتُ بأهْلِها ... مَنَ الحُبِّ والعِرفانِ للشِّعرِ والخُطَبْ
فكَم شاعرٍ قد كان فيها مُقيَّداً ... فكَكْت له الأصْفادَ فارتدَّ للغَلَبْ
أَعَدْتُ بها في موسمِ الشِّعرِ والحِجى ... عُكاظاً.. فَسَلْ عني «الحُسَين أخا العَرَبْ»
و«سرْحانَ»، ذا الفكرِ المجلّي، كأنَّني ... أرى فيه «غُوتاً» أو«شكسبيرَ» في النَّسَبْ
أرى «الكعبةَ» الغرّاء آي عبادَةٍ ... إليها تحيّاتي على الشَّوقِ والطَّلَبْ
أحِنُّ إلى رَوْحائِها وإخالُني ... أطُوفُ بإحرامي بها في هَوىً وَجَبْ
فيا «مُحْسِناً» زانَ «الجَمالُ» خَلاَفَهُ ... وكَلْلَهُ « الدِّينُ» الحَنيفُ بما أحَبْ
ودادُ السِّكاكينيُّ تُقْرِي سَلامها ... إليكَ معي. .. والكأسُ نَخْبُك بالحَبَبْ
والمزوَّجِ ذاتِ الصونِ، ندَّكَ في النَّدى، ... «شهابيِّةٌ» حسناءُ تَلْمعُ كالشُّهُبْ
وولْدكَ في عزٍّ السعادةِ والعُلى ... بظِلِّكَ والعُمرُ المَديدُ لكُمْ سَبَبْ

دمشق

* * *

إلى صديقي الإمام السيد محسن الأمين

يا محسن بن الأمين ... عليك فيض العيون
أنت الإمام المفدى ... ومجد دنيا ودين
إني لأذكر يوماً ... ما أن له من قرين
قد زرت ناديك فيه ... وفيه جل يقيني
وجدت فيك (عليا) ... وابنيه قرة عين
أنتم وقاء الليالي ... وحصن عز حصين
العلم حط رحالا ... في عقلك الميمون

فيا لكتب توالت ... بكل فصل مبين
ألفتها للمعالي ... صنفتها للقرون
تراجم الفضل فيها ... لكل ندب قمين،
بخالدات أدكار ... ناجتك بالتحنين
أرض الشآم توفي ... إليك بعض الديون
ففي قلوب ذويها ... بالجوهر المكنون
تراك في كل يوم ... تعيش غير دفين
عليك مني سلام ... يفوح بالنسرين
تحياتي به ذكرياتي ... مزدانة بفنون

* * *

رسالة إلى العقاد

يا واحد الكتاب والأدب ... سكنت فنونك موطن الشُّهُبِ
من غير أن تنفضَّ شعلتها ... إلا على من جَدَّ في السَّلَبِ
سبعون عاماً حثحثت طلباً ... عمر الخلود وأنت في الطلبِ
ويراعة بشبابها نتجت ... لك في الدفى مئة من الكتب
قالوا هو «العقاد» فارتقصت ... أعناق آلاف من الحِقَب
المارد الجبار منفرد ... وكأنه في عسكر لِجبِ
يامنحة العصر الحديث لنا ... كاثرت فيك عوالِم النُّجُبِ
وقطفتَ من نسيان زهرته ... يهفو لها بردى بمنسكب
لتجيء شط النيل وارفة ... تهدى هواي بشوقه الطِّرِبِ

* * *

أطريتَ آدابي قد وردت ... مني الحروب بشعرها الحِرَب(١)
فملأت أعطافي برائعة ... أزهى بها في ثوبها الذهبِ

ياحامي الأفكار في قلم ... هو بالبيان مؤلف العرب
تأوي لمجدك كل سابقةٍ ... صاحت بها الأحرار في الخطب

* * *

وسوست بالأشعار أحفزها ... لتطول مجدك والعلى أربي
يامن سكبتَ الشعر صافيةً ... أنغامه وعلوتَ في النسب
خفر الحماة عهوده فأنت ... جُباك تَفْريه باللَّعِبِ
لمِحَنٌ نزلت بساحة ولقد ... صاح النذير بسوء منقلب
بك نجدة الفن المهيض وذا ... صوت الغياث بمنقذ الأدب

دمشق في نيسان ١٩٦٢

* * *

(١) إشارة إلى مقال الكاتب العربي العظيم الأستاذ عباس محمود العقاد عن الدكتور زكي المحاسني في كتابه (شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي عن سيف الدولة) ودراسته وقد صدر حديثاً في طبعة دار المعارف في القاهرة– راجع هذا المقال المنشور في عدد شهر فبراير ١٩٦٢.

الأدب والفكر في عيد التسعين

(رامون) روضك تصبيه الرياحين   وملء أزهاره تحوي الأفانين
ناجتك آفاق إلهام موشوشة   قبل الوجود فما أعياك مكنون
فإن جلست على الآكام ترقبها   وافتك والقلب مهموم ومحزون
تود لو عدت في شرخ الشباب لها   وأنت في حبّها الأسمى (أبو للون)
هدهد خلودك في كرّ السنين فذى   تسعون عاماً على فردوسها عين

* * *

يا ساكبا ملحمات حمر أذيال   هذي ملاحم (رامون بن بيدال)
غنّت هواها على القيثار غانية   كانت بأندلس في سحر تمثال
(السيّد) اهتاج فيها فوق صهوته   يهزّ رمحاً له مسنون أغوال
وفي بني هود فرسان قساورة   تسمو إليه بنيران وأثقال
لفّت مغاويرها زند السوار على   حبّ أناشيده ترداد أجيال

* * *

يا نفحة من أمسيّات بمدريد   نادى الثّرى بعضه يصغي لمنشود
أرى النسيم الذي يهفو على ربض   الحمراء أرواح أعراب من البيد
زانو الحضارة في تاج الزمان على   أوربّة وأغاثوا بالمناجيد
فإن تجدهم غدو أطلال أعصرهم   أسيافهم بين مثلوم ومغمود
فهذه الهبّة الكبرى قد اندفعت   من التراث وعادت رهن تجديد

* * *

احتفلت إسبانيا وبلاد اللاتين في أمريكا بمرور تسعين عاماً على حياة الكاتب والمؤرخ الإسباني العظيم الدكتور (رامون مينا نديز بيدال) رئيس المجمع الأدبي والتاريخي بمدريد والحائز على خمس عشرة دكتوراه من جامعة مدريد وجامعات العالم وله سبعون كتاباً في أدب الملاحم وتاريخ العرب في إسبانيا وفقه اللغة والتاريخ الإسباني، كما قام العرب بتكريمه في الجمهورية العربية المتحدة وبالمركز الثقافي العربي في مدريد.

١- إلى جاك بيرك

«تهدى إلى الصديق القديم المستشرق العظيم الأستاذ جاك بيرك بكلية فرانسة بجامعة السوربون».

أفديك يا (جاكي) وإني لك الحاكي ... وقيدني المهوى لديك بأشراك
تظل ضفاف النيل ترعى لقاءنا ... على رفرف الذكرى بأذكار نسباك
نذرنا لأسفار نداوي سطورها ... شباباً وعمراً في وسيلة هُلاك
أذبنا سراج الروح فوق متونها ... وراحت حواشيها لعين بفتاك
نؤلف كتباً من سوانح عقلنا ... قرائحنا فيها ترص بمدماك
وخاضت بنا الأقدار في خوض مَعْرَكٍ ... فيا ليت أنا ما أبهنا لعرُّاك
وماذا أفدنا بعد طول تجلد ... سوى حسد الحساد في درب أشواك
أنبكي على ما فات من حول قوة ... تهاوت لدينا عند موئلنا الباكي

* * *

أتذكر بالشام الحنانَ بلقية ... لدى متحف حاضرت فيه بإدراك
صاحبي «والضاد» يحيطُ سلامها ... كأنك فيها كوكب بين أفلاك
أقول فرنسيا خلقت ويعرب ... نماك إلى عليائها النسب الزاكي
وما كنت أبغي أن أغني نشيدهم ... ولا سَجْلهم سجلي فأرمى بضحاك
أنا الشاعر الغريد في حومة العلى ... أنَضِّدُ فيها (الملحمات) بأسلاكي

إليك سلام الود و«السين» هادر ... وذا «بردى» للحب فيك بنزاك
فيا عبنَ (برك) يا تحية أنسنا ... عليك سلام الله رف لِمرآك

* * *

تحية المحاسني

حدث بنا الفن والأفكار والكتبا ... عن «الأديب» الذي أعلى لنا الأدبا
بعد السنين التي تطوي الحياة بنا ... يبدو محياه في أوج السنا عجبا
إن الثلاثين في الأعوام خالدةٌ ... عندي لأنك فيها كنت لي نصبا
يا ناسك الفكر ما أولعت في نسب ... فكان خلقك فيك المال والنسبا
ما فاتني الشهر في نشر «الأديب، به ... شعري ونثري وما يوحي النهى سببا
أكاد ألتهم التبيان من يده ... كجائع ليس يرضى عنه منقلبا
مجلة ما عراها الوهن واتشحت ... أبرادَ عرس لفكر يلبس القشبا
عرفت فيها صحابا من عباقرة ... قد صار موردهم بالروح منسكبا
تنادموا حول كاسات الحديث على ... خوان معرفة تطفو بهم حببا
بريدهم يلتقي فيهم بشافية ... من الوصال تزيد الملتقى طلبا
يطارحون سجاياهم خوالجهم ... مثل العنادل يرغو دوحها طربا

* * *

أحب لبنان لا تشفى شآميتي ... إلا به فأنا فديته رغبا
قطفت منه «ودادا» وانتعشت به ... صهراً فألبسني غمراً يفوح صبا
من قال لا يسع الخفاق ضعف هوى؟ ... أنا المحبُّ اثنتين العين والهديا؟
لبنان روحي والشام الحبيب دمي ... كلاهما في حياتي بالهوى دأبا
من قمة الشعر في ظل الصنوبر لي ... تعبد لجمال للفؤاد سبى

تلك المظلات عند السفح حالية ... نسيمها اهتز من طيب الندى وربا
هذى الجِنان بها حور النعيم بدت ... رواقص في الأعالي تلثم السحبا

* * *

لم أبتعد عنك يا «البير» في كلمي ... ففيك لبنان يزهو ساحلاً وربى
سجلت شعري به في كل خاطرة ... كأنه الزهرُ في وجه الربيع حبا
فلو تنشر ديواني لجاء به ... لبنان والشام أماً للعلى وأبا
«أديب» قل لي «لمن» قد رحت تسألهم ... والشعر محدثه أضحى لهم لعبا
أصبت وحدك توفيق الجديد به ... لكن غيرك أوهى نظمه تعبا
لو أن للمتنبي رجعةً لبكى ... حظ القريضِ بما قد ناله عطبا
قول تهاوى بلا معنى، يمور سدى، ... هو الأسيف عليه لفظه ندبا
خل القوافي لشوقي وعترته ... من بعده الشعر والإلهام ما ذهبا

نحن الرعاةُ له عهداً وسادنة — نعيش نحميه ممن رامَهُ كذبا
وغضبة الحر للعرفان ما صبرت — على الهوان ولكن فجرتْ غضبا
«أديب» يا ركن نهضاتِ البيان، لنا — في يوم تكريمك العزُّ الذي رحبا
وشعرُ غادتكَ الحسناءِ وهي «هدى» — أبياته طلعت في وحيها نسبا

* * *

لبنانُ يا زينة الدنيا وجنتها — أعلامُ فضلِكِ لاحت في الدجى شهبا
وإنما هي العليا كواكبها — ثوابت العهد تهدي نورها صببا

* * *

ختمُ الكلام إذا طاب البيانُ، ففي — «أديبه» ما يزّيلُ الغمَّ والريبا
لئن أصابتْ جوادَ العرب كبوته — فهو الأصيل ولو يوم اللقاء كبا
والعرب ما قبلوا ضيماً يراد بهم — ونبع نخوتهم في الثأر ما نضبا
وشعلةُ السبقِ في أيديهمو رفعت — توارثوها عصوراً أشرقت ذهبا
ورب سيف نبا والضرب من بطل — فلا تلم بطلاً منه الحسام نبا
لحافظ الشعر قولي في تمثله — «العزم جد ولكن الزمان أبى»
وللشعوب غلاب قد يصيبهمو — ويعرب في صميم الدهر ما غلبا
من يعرف العرب في تاريخ مجدهمو — يؤمن برب كريم ينصر العربا

* * *

تحيتي لابن سينا

أنا من مواليد الفناء كنَسْمَةٍ
تمضي بها ريحُ الوجود ولا تعِى
فيمَ العفاءُ على الجسوم مقدرٌ
بعد الحياة وبعد عُمْرٍ مُمتعٍ
يا من سبرت الروح في أغوارها
روحي تحوم على الهوى المُتَقَطِّعِ
أ أبا عليٍّ أين طبُّك مُسْعِفي
فإتنه أدويةُ الزمان المسرعِ
أتَرى الجمالَ وكنت تَنْشِق طيبَه
تسبيحةً من هائم متولِعِ
داويتَ في طبّ النفوس جوانحاً
مالت لتلثُمَ منكَ حدَّ المِبْضَعِ
وكَرَعْتَ في الحزْن السُّلافَ وما أرى
صحواً تعتَّق مثلَها لم يُكْرَعِ
هاتِ «الشِّفاء» لخافقٍ متولِّهٍ
كالطير في قفص الصدور مُرَوَّعِ
لم يكفه حملُ الهموم وجَرْحُها
حتى تعلق من هواه بمصرعِ
مِنْ حُبِّ رَبِّكَ كلُّ حُبٍّ في الدُّنى
كان البديعُ مُسَلْسَلاً مِنَ أبدعِ
أسفينةً فَرَدَتْ شراع هيامها
رفقاً بمن محض الهوى لا تُقلعى
أشقى المحبّة ما حُرِمْتُ مذاقَها
وتأيتُ مجهولاً بغير مودِّعِ
قل للألى أوردتَهمْ نبعَ الحِجى
فَزَهَوْا به والشرقُ رَهْنُ المضجعِ
شَرَف الوفاءِ بُعادُهُ عن مِنَّةٍ
وأعَفُّ مَنْ أعطى الذي لا يَدعى

* * *

أحمامةَ الذكرى إذا هَبَّ الصّدى

فقِفي على قبر ابنِ سينا واسْجَعِي

هَمَدانُ لا هَمَدَتْ وأنتَ بأُفْقها

نورٌ يَشِعُّ على الفضاءِ الأوسِع

* * *

هبط النسر على سطح القمر آية

الإنسان من عصر الحجر

رددت الحاني على الواتر   والشّعر منّي ثائر سائر

(محمود يا خلّ النّهى، عندي   حسد الوفاء لودّك (الشاكر)

كنا نزورك في مؤبّدة   للكتب صفّف فنّها ماهر

ما تلك صومعة لعابدها   لكنها برج الحجي الزاهر

يا واحد الآداب ما صنعت   ذكرى تلاقينا على السّامر

لكأنني، والليل يشملني   أسجو وأسمع لفظك السّاخر

جزت الخليل على أعارضه   فتركته في الوزن كالحائر

ونبوت عن حدث وما عرفت   منك الخطى مهزومة العاثر

ناجيت فكرك والفضا قمر   للرائدين دعاهما القاصر

هبطا عليه ببحر ساكنه   أتراه يسأل: من هو الدامر

ما أغلب الإنسان أن له   حبّ الغمار على المدى الغامر

أيظل وجه البدر مبتسماً   عجب العجاب أو القضا السّاخر

لم يفرغ الإنسان من أمل   في الأرض وهي منالة القادر

فعلام راح يشيد في قصر   دنيا العلوم وظلمها باتر

والحرب فوق الأرض مائجة   لا سلم فيها للردّى الغادر

قل لي فديتك كيف في غدنا   نلقى الهلال بحبنا الفاتر

انّا لنفقد كلّ رائعة   غزلا به مذ رأسه العابر

يا من عشقت التمّ تلثمه   حباً عظيماً ما به هاجر

وكشفت أقنعة الهوى قدماً   عن (خولة) وحبيبها الشاعر

ما حيلة الآداب في قمر   العلم نال جماله الباهر

لملم قصائدنا لمعتزل   نبكي به محبوبنا الغابر

ونحتحث الأشعار رائدة   حبالنا في كوكب ظاهر

* * *

تحية للشعراء في الجزيرة العربية

ما زالت أصداء موزونات من القريض تتجاوب مع الأستاذين الكبيرين حسين سرحان ومحمد حسن فقي وهذه تحية يبعث بها الأستاذ المحاسني إلى ثلاثة الشعراء مشيداً بمقدوراتهم الأدبية في روائعهم التي نشرت هنا تباعاً...

والقوافي ربما استهرتهن القوافي.. والأوزان ربما استمالتهن الأوزان ومن يدري لعل الغد يتكشف عن تجاوب جديد..

نأتني عواد في العلى لا أريحها ... وجلّقُ داري ما نآني سموحُها
فجئت لأرضِ الوحي والرّوح ثرّة ... يفيض بإلهام الإلهِ طموحُها
تغمّرتُ منها عند زمزم شربةً ... على كأسِ إسماعيلَ لاحَ ذبيحُها
كأني وقد طوّفت بالبيت غاسلٌ ... حياتي وما دارتْ عليه جروحها
أرى كعبة الحجّاج موطنَ ألفةٍ ... تضمُّ شعوبَ المسلمينَ صروحُها
يلوذ بها العبّادُ من كلِّ والهٍ ... يرجّى مثوباتٍ ينالُ ربيحها
وعاش بأظلالٍ لها كلُّ شاعرٍ ... وراءَ المعاني نفسُهُ وسبوحُها
إذا خالطَ النجم (الحسين بن يعرب) ... وحنّت قوافيه وطاب سنيحها
حسبت عكاظ العصر أقبل منشداً ... يجدد أشعاراً تهادى فصيحها
فهل لعبت في خاطري سامريّة ... من الشّعر تذكار الأحبة روحها
فأين (عريف) الشعر في حفظ مكة ... يناجي الليالي حين زار مليحها

وما فترت في (شيخ غزّة) همّة ... هي الزهرة الريّا يطيب نفوحها
إذا ما شدى (السرحان) جاوبه (الفقي) ... فشاق غبوقاً في النّدامي صبوحها
تدور بأفكاري الجبالُ بمكّةٍ ... بيوتٌ أعاليها فدتها سفوحُها
تفجّر منها نبع (أحمد) راوياً ... أقاصي ظمأي إذ رواها بطيحها
رعاة القوافي في الحجاز فديتكم ... ونجد وطابت (بابن إدريس) ريحها
لقد كانت الأشعار فيكم سجيّة ... كخيلكمو العربا محال جموحها
رعيتم ذمام الشعر في أرض نبعه ... ومن غيركم للمأثرات يبيحها
إذا لم تكونوا سادة بقصيدكم ... فأين أعاريب شتيت نزوحها
وجدت (حسيناً) ماثلاً بنبوغكم ... وندّا لآداب يحقّ مديحها

* * *

طه حسين في دمشق ١٩٤١

من قصيدة للمحاسني في الزيارة الأولى للدكتور طه حسين إلى دمشق

علم أنت توَّجوه بنار | يا شعاع الحجا وصفو الدراري
حمل الشرق نوره وأتى | العرب فكانت عجيبة الأخبارِ
يابن مصر بل يابن منارة | العرب لقد أنبتتك خير ديار
لو درى النيل أي نابغة | أنت لسالت أمواهه بالنضار
ترك الغابرون في ضفتيه | منذ (خوفو) روائع الآثار
نطحوا جبهة السحائب بالأهرام | واستوثقوا بأعلى جدار
ومضوا في الثرى رهائن دنيا | يخبئون الرموس في الأغوار
كل هذا فإن (سوى عبقري) | حرر الفكر ثائراً على الأحرار
رب ليل سهدت فيه على كتبه | حتى هوّمت في الأسحار
ولكم طاح بي الخيال فخاطبته | إذ لاح لي على الأسكار

* * *

زرت لبنان فازدهر بك | لبنان يباهي بأفضل الزوار
رقصت في السفوح أفوافه | الخضر ابتهاجاً بالصيب المدرار
فانزل اليوم في دمشق على | الرحب وأمتع سكانها بالفخار
هذا قلبها يحويك حتى | ما يجاريه في أهلها الوداد مجار

جاء شوقي فجدد العهد مخضلاً | وأعز البلاد بالأشعار
وضمته الجنان من بردى الحلو | ذوات الريحان والأنهار
ومن الهامة الجميلة والربوة | ناغاه ساجع الأطيار
تصف الشيء ليس تقوى عليه | في تهاويله ذوو الأمصار
تنطق اللفظ عنه ذات لحن | ما حواها الإنشاد في مزمار
لو ترى شاعراً لقلنا المعري | وزعمنا تناسخ الأعمار
أو ترى الفيلسوف قلنا أريسطا | طاليس قد عاد بعد طول السفار

غير أنا نراك فينا أديباً | بل مليكاً والعرش من أسفار
فأرى ناقداً يطيق حيالاً | معه أو يفوته بغبار

فإذا جلق الحبيبة هشت لك واستقبلتاك باستبشار
فأبو النهضة الرئيس(١) أتاها بكريم من أغر الديار
دخل الشام آمنا بسلام ومواكب الخير والأحرار
فنسينا به الردى وعراك(٢) البغي والقهر في زحام الشرار

* * *

(١) هو المرحوم محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في دمشق.

(٢) بعد الحرب العالمية الثانية.

٩- اجتماعيات

في مهرجان الشباب

الشباب

يا شباب الحياة أطلعت وردا ... هو أصفى من النسيم وأندى
زهرة أنت في ربيع وحيد ... ما أطقنا له إذا فات ردا
ومضاء الشباب أعجوبة العصر ... مضى في علاه يمعن بعدا
لا يبالي كبرى الصعاب إذ هبّ ... طموحاً وليس يحفل سدا
إن يكن هازلاً يقول فان ... الفصل في حومة الوغى بان جدا
قد حوى الشيوخ إلى قلب ملئ ... بالعزم وازداد وقدا
عند حل العقود كانوا يقولون ... شباب ما حلّ في الأمر عقدا
ومتى تخفق البنود يجيئوه ... ليحمي الحمى ويخفق بندا
لا عليهم قد كان بالأمس نضواً ... وغدا اليوم في الملمات جلدا
هو أسطورة الزمان فما أمضاه ... عزماً وما أحلاه رشدا
فيه من نفحة الخلود تهاويل ... جمال بكل غال مفدى
هي في قسمة الرعابيب تبدو ... قسمات فيها الفتون تبدى

* * *

يا شبابي إني منحتك ودي ... أترى أنت حافظ بعدي ودا
فيك جدت بنا المطامح عدوا ... ليس يدرين في مداهن حدا

رب ليل للهو لم نله فيه ... بل قطعناه بالتدارس سهدا
ما عرفنا فيه حبيباً سوى العلم ... ولم نأل في هوى الكتب جهدا
وملأنا الصبا وقاراً لنمشي ... في سبيل العلم ونكسب حمدا
هل أطعنا وصل الفواتن حتى ... نشتكي همنا ونلطم خدا
هل خسرنا الرهان؟ أحسب أنا ... ما تركنا جواده فيك يهدا
لو أردنا الهوى تبعناه في الوادي ... فضفنا عليه ممسى ومفدى
لو لحقناه في الهضاب الرطيبات ... غزالاً يستهد في العدو شدا
فرمانا بعينه واتقانا ... بجفون وسل عنقا ونهدا
وغدونا أسراه نرسف في العدو ... من ذاق منك في الحب قدا
نحن أدرى بالحب فهو شقاء ... وهموم ويترك القلب وجدا
الهوى للصباء خصم ولكن ... منه لابد للصبا لابدا

* * *

مهرجان الشباب جددت في جلق الخضراء جددن من مواضيك عهدا
عهد حسان في البريص ومروان مجدا يعود فمجدا
بردى وارف الضفاف وآذار ضحوك بالزهر يلمس بردا
يا ربيع الشام موكب سحر أنت للهائمين أطلعت سعدا
ربوة النيربين والغوطة الغناء كادت في الأرض تحسب خلدا

* * *

تحية للمؤتمر النسائي في دمشق

حيوا النساءَ مكرماتِ ... في جمعهن مؤيدات
الناهضاتِ بقومهن إلى ... العلا والناشئات
يمشينَ في حللِ التعفف ... والخلاق مزينات
يخطبن في النادي بآياتِ ... الحماس المحكمات
الباعثاتِ لمجدنا من ... بعد بالية الرفات
في ضعفهن عزيمة ... تزجي الفلول إلى الكماة
هن الطريق إلى أمانينا ... العذاب الساميات
يحفظهن الله في ... هذا الجهاد من الشتات

* * *

لهفي على الوطن المفدى ... سابحاً في الغائلات
ينتاشه الحدثان في ... نزع يقفي بالممات
ويحي على استقلالنا ... حلم وأخيلة السبات
صوت المطارق في المعامل ... بذ صلصلة الظبات
وطريق حرياتنا ... بين اليراعة والدواة
وانظر لناهضة الشعوب ... تر المهيب السيدات
فحجورهن مدارس ... أولى لغالية العظات
كم في أهازيج الطفولة ... من معان بالغات

يا نسوة العرب اجتمعن ... ولا يؤخركن عات
وامشين في هذا الجهاد ... الحر يحمي بالثبات
هذي دمشق، نساؤها ... اللبؤات خير مؤيدات
يفدين من غيد غوال ... كالشموس مكرمات

* * *

المعلمة

معلمتي يبكى الحمام إذا غنى فهاك نشيدي فرحة ملؤها شجنا
رويت لك الأشعار من فيض خاطري فرويتها دمعاً وأشبعتها حزناً
جنيتُ على عمري فبعت ثمينه وفي حرفة التعليم لم ألق ما يجنى
وصوَّحتُ أزهار الشباب نديةً وأتبعتها من بعد أزهارها غصنا

* * *

أحاملةً في ظلمة العصر شعلاً أسحرك هذا أم تزيدينه فنا
مضينا على درب الحياة وكلنا فدا نغم زادته أشواقنا لحنا
نصلي له كالعابدين تراتيله درس وآياته معنى
فنحن به رهبان دير تبتلوا وفاتوا حياة ما أقاموا لها وزنا
لنا في كل يوم في المعارك وقعة نطاعن فيها من جيوش الردى جنّا
يقولون حرب الجهل أشرى تمردا فيا وحنا منها ويا ويلها منا
شقينا لكي تحيا الشعوب سعيدة كذلك تروى التضحيات إذن عنا

* * *

معلمتي يا شمعة فوق محمل من العاج يغني الشمع والعاج لا يفنى
بكيت بدمع كاللهيب حسبته وبت على الليلات مصفرة وسنى
أنورك هذا أم تلألؤ أنجم على الأفق الحيران في الليل نورنا
فيا حرفة أبليت فيها نضارتي فدمعي على حالي يقرح لي جفنا

أحبك مهما كنت أصل شقاوتي فلم أتخذ إلاك في صحبتي خدنا
حملتك في حلو الصبا تاج مفرقي تلقيني مجداً وتعلين لي شأنّا
أنا الصانع الأبطال للوطن الذي بذلت له روحي ومن أجله أفنى
فكل فتى أنشأته كان عصمة وكل فتاة قد أقمت لها حصنا
أعلم نسيج الخلد والزهد شيمتي فأعرضه في السوق لا أبتغي له غبنا

* * *

أبنت بلادي يا معلمة العلى أكنت سعاداً أو زهيرة أو لبنى
بمعهدك الوضاح تاريخ أمة وكل فتاة فيه قد جعلت ركنا
فإن تفتحي للعلم داراً فإنما داراً يحطم الهول فتحها سجناً
ويمنحك التعليم مجداً ورفعة وتعطينه عمراً وتعطينه حسنا

أرى الناس يبلون السنين وإنما		نجدد في التعليم من عمرنا سنا
كذلك دارت في الحظوظ حياتنا		ولكننا في حلبة العلم ماهنا

* * *

أراني إذا فارقت دارك في غد		كأني حبيب صوب أحبابه حنا
وما كانت البشرى سوى رونق الضحى		وإلا الخزامى والرياحين والمزنا
شآمية زينت بعلم وعفة		فلا الدهر وفي توصيفها القلب الأذنا
يحف بها زين النساء ومعشر		من الصيد كانوا للنهى والندى وهنا
فيا جنة في الأرض حملت ناظري		وزهدتني أن أبتغي جنة عدنا

* * *